٨١٦
٤٤٤٠٠
١٤٧٣

ديوان الكعبي

مؤسسة الجواد للعلوم
مؤسسة الإمام الجواد للعلوم

ديوان الكعبي

« قسم المراثي الحسينية »

للحاج هاشم الكعبي

قدم له وعلق عليه وصححه

فضيلة السيد محمد حسن آل الطالقاني

الشابك : X ـ ٣٨ ـ ٦٠٤٦ ـ ٩٦٤

ISBN : 964 - 6046 - 38 - X

الكتاب : ديوان الكعبى

المؤلف : الحاج هاشم بن حردان الكعبى

الناشر : انتشارات الشريف الرضي

عدد الصفحات : (١٩٩) صفحة وزيري

الطبعة : الأُولى

سنة الطبع : ١٣٧٨ ـ ١٤٢٠ ـ ١٩٩٩

المطبعة : شريعت

السعر : ٩٠٠٠ ريال

كلمة الناشر

كانت المطبعة الحيدرية قد أخرجت هذا الديوان بالطبع لأول مرة على عهد مؤسسها الخالد الذكر والدنا المرحوم الحاج شيخ محمد صادق الكتبي أجزل الله مثوبته، وذلك عام ١٣٥٤ هجعلى عادته من نشر الكتبَ الدينية والعلمية والاسهام في خدمة الثقافة وإعمام المعرفة، وقد لاقى رواجاً يعتد به ونفدت نسخه في فترة قصيرة. وظلت الطلبات منهالة على إدارة المطبعة والمكتبة مطالبة باعادة نشره وتجديد طبعه منذ سنين طويلة، إلّا أننا كنا نقدم الأهم من الآثار والأنفع من بين الاسفار فنكرس الوقت عليه ونبذل الجهد في إخراجه.

ومن دواعي فخر المطبعة ومكتبتها هذه الرعاية والعناية التي تقابل بها من جانب العلماء والادباء في هذه المدينة المقدسة، فلديها في الهيئة العلمية الموقرة من العلماء والباحثين والأدباء المحققين اصدقاء مخلصون تغبط عليهم وتعتز بهم، وهم مستعدون دائماً لتلبية رغباتها وإجابة طلباتها، وتكريس الوقت وبذل الجهد على منشوراتها من تحقيق وتقديم وتصحيح، مع ما هم فيه من زحمة العمل وتراكم الأشغال، وإن دل ذلك على شيء فانما يدلّ على فهمهم الجيد وإدراكهم لما تهدف اليه المكتبة من أغراض شريفة سامية في خدمة الاسلام وعلومه وثقافته الحرة، وعلى روح التضحية التي استمدوها من صاحب القبر الذي لاذوا بجواره وعكفوا بحماه، ومن يتصفح منشوراتنا ير البحث الأصيل والتحقيق العلمي الذي زينها به اولئك الاعلام الافاضل، والدراسات الواسعة والمعلومات القيمة التي صدروها بها.

وعندما عزمنا على إعادة طبع ديوان الكعبي كلفنا فضيلة الاستاذ السيد

محمد حسن آل الطالقاني باعادة النظر فيه وتحقيقه. نظراً لما نعهده فيه من الخبرة وسعة الاطلاع، والصبر والجلد على البحث، وقد نزل عند رغبتنا مشكوراً فحقق الديوان بما لا مزيد عليه وذيله بفوائد علمية وتاريخية ولغوية يقف القارئ فيها على معلومات متنوعة وأنظار دقيقة تبرهن على علو ثقافته ومدى إطلاعه ومعرفته ويمكن اعتبارها كتاباً مستقلاً بذاتها.

فنحن نشكر الاستاذ الطالقاني وندعو الله ان يمده بالعون ويزيد في توفيقه. كما نرجو من فضيلته أن يجعلنا عند حسن ظنه دوماً وأن يضاعف من رعايته لمنشوراتنا التي يعرف هو وإخوانه أهميتها وما نضحي في سبيلها من مال وجهد.

وفق الله العلماء العاملين لمواصلة الجهد في خدمة الاسلام والعلم، ووفقنا لاقتفاء آثارهم وتتبع خطواتهم في صالح الثقافة الاسلامية والمعرفة الحقة، وأمدنا بالعون والصبر على ما تنهض به ـ منفردين ـ من أعباء، إنّه حسبنا ونعم الوكيل.

محمد كاظم الكتبي

مقدمة

بقلم: محمّد حسن آل الطالقاني

تمهيد ـ الإستشراق والمستشرقون ـ الأدب وأثره في الحياة ـ مكانة الأدب عند العرب ـ عناية الإسلام بالشعر ـ موقف الفقهاء من الشعر ـ فضل الشيعة على الأدب العربي ـ تأثير واقعة الطف على الأدب العربي ـ مكانة العراق الأدبية قديماً وحديثاً ـ مركز النجف الثقافي والأدبي ـ الحاج هاشم الكعبي ـ أُسرته ـ هجرته إلى كربلاء ـ مشايخه وأساتذته ـ الأخباريّون والأُصوليّون ـ الحديث بين الشيعة والسنّة ـ شعر الكعبي وشاعريّته ـ رثاء الكعبي ـ أقوال العلماء والأُدباء فيه ـ وفاته ـ أولاده ـ آثاره ـ ديوانه المخطوط ـ ديوانه المطبوع ـ ملاحظات ـ خاتمة.

تمهيد :

لمؤرخي الأدب العربي وفقهاء اللغة كلام طويل في لفظة «الأدب» وأصلها ومصدر اشتقاقها، فجدالهم فيها عنيف وأقوالهم متباينة، وقد نفى الدكتور طه حسين وجود نص عربي جاهلي صحيح ورد فيه لفظ «الأدب» كما لم يجدها في القرآن الكريم، أمّا الحديث النبوي المشهور «أدّبني ربّي فأحسن تأديبي» فهو يرى أنّه لا يثبت حكماً لغويّاً إلّا إذا ثبت ثبوتاً لا يقبل الشك[1] ولعلماء التأريخ واللغة المعاصرين آراء معروفة في ذلك، ومؤلفات قيّمة كفلت التفصيل وتضمّنت التدليل.

أمّا ما ذهب إليه العلّامة الكبير طه حسين من أنّ لفظة «الأدب» لم ترد في كلام عرب العصر الجاهلي فهو بعيد عن الصواب، إذ قد روي في غير موضع من كلامهم. ومنه على سبيل المثال لا الإستقصاء، قول أمامة بنت الحارث ـ زوجة عوف بن محلم الشيباني ـ في وصيّتها لابنتها حين زفّت إلى دار زوجها الحارث ابن عمرو ملك كندة: «أي بنيّة إنّ الوصيّة لو تركت لفضل أدب تركت لذلك منك، ولكنّها تذكرة للغافل ومعونة للعاقل...»[2].

ومنه قول إحدى بنات أقيال حمير[3] لملكة اليمن في وصف يعلى بن ذي

---

(١) في الأدب الجاهلي: ١٩.

(٢) مجمع الأمثال: ٢/٢٦٣، وآثار ذوات السوار: ١٤، وعصور الأدب العربي: ١٦.

(٣) كان حكّام مملكة معين ـ من الممالك اليمنيّة قبل الإسلام ـ على قسمين: ١ ـ الملوك المتوجون. وكانوا تابعين لملوك آخرين، ويسمون أقيالا، ويقال لواحدهم: قيل. ولم

هزال بن ذي جدن، الذي اختارته زوجاً لملكتها: «مصامص النسب، كريم الحسب، كامل الأدب، غزير العطايا...»[1].

ومنه قول عتبة بن ربيعة لابنته هند وهو يصف لها أبا سفيان بن حرب بعلاً من غير تسمية له: «يؤدب أهله ولا يؤدبونه» وقولها في جواب أبيها: «إنّي لأخلاق هذا لوامقة، وإنّي له لموافقة، وإنّي لآخذته بأدب البعل...»[2].

ومنه قول أكثم بن صيفي خطيب بني تميم، فقد قال أبو هلال العسكري في كلام على المثل المشهور «ويل للخلي من الشجي» ما نصّه: «المثل لأكثم بن صيفي، وذلك أنّه ذكر له رسول الله ﷺ فكتب إليه «... باسمك اللهمّ وأدّبني بآدابه التي أدّب بها، من العبد إلى العبد»[3].

وقد ورد لفظ الأدب كذلك في غير موضع من كلام أميرالمؤمنين وإمام البلغاء عليه السلام، منه قوله: «... وأقرب بقوم من الجهل بالله قائدهم معاوية، ومؤدّبهم ابن النابغة ـ يعني ابن العاص ـ...»[4]. ومنه قوله يصف رجلاً: «... قد لبس للحكمة جنّتها وأخذها بجميع أدبها»[5]. كما ورد في كلام بعض صحابة الرسول ﷺ فقد

➲ يكونوا مستقلين استقلالاً تامّاً اللهمّ إلّا إذا استثنينا بعض ملوك اليمن في عصر ازدهارها.
٢ ـ رؤساء العشائر وقد كان لهم ما للملوك من المزايا، ولكنّهم لم يكونوا أصحاب تيجان، وقد كان بعضهم مستقلاً تمام الإستقلال، وبعضهم تابعاً لملك متوج. ولمزيد الإطلاع يراجع كتاب «اليمن البلاد السعيدة» للدكتور حسن إبراهيم حسن: ١٤ و٢١، وهو الحلقة ٥٢ من سلسلة: اخترنا لك.

(١) الآمالي للقالي: ١/ ٨٠، وآثار ذوات السوار: ١٧.
(٢) الأدب ومذاهب النقد فيه، لرشيد العبيدي: ٧.
(٣) جمهرة الأمثال: ٢٠٣ طبعة بمبي سنة ١٣٠٦ هجـ.
(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢/ ٥٢٦ و٥٣٥.
(٥) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢/ ٥٢٦ و٥٣٥.

روي عن أُمّ سلمة رضي الله عنها أنّها قالت: «تزوّجني رسول الله ﷺ وفوّض أمر ابنته ـ تعني فاطمة عليها السلام ـ إليّ، فكنت اؤدّبها؛ وكانت والله آدب منّي...»[1].

وقال حجر بن عدي للإمام علي عليه السلام: «يا أميرالمؤمنين نقبل عظتك ونتأدّب بأدبك...»[2]. وكتب عبدالله بن عامر إلى معاوية: «ولنعم مؤدب العشيرة أنت...»[3] إلى غير ذلك ممّا لم نتصدّ إلى استقصائه بل اكتفينا بالإشارة إلى بعضه.

وقد اعتمد الدكتور طه حسين في رأيه المذكور على المستشرق الأُستاذ نالينو الذي لم يجد مادة «الأدب» في غير اللغة العربيّة من اللغات السامية، كما لم يجد لها عند العرب مصدر اشتقاق معقول[4] والتبس عليه فخلط بين الدأب والأدب، والآداب والتأديب[5] وما من شك في أنّ المستشرقين مهما بلغوا من فضل وتحقيق قاصرون عن استكناه كلّ ما عند العرب، وما في كتبهم وآثارهم، فأهل البيت أدرى بما فيه كما يقولون.

الإستشراق والمستشرقون:

إنّ مصيبة المسلمين والعرب بالمستشرقين من أعظم ما منوا به، إذ أنّ لهم في تراثهم الخالد ـ بمختلف فنونه وفروعه ـ تصرّفات وألاعيب واجتهادات واستنتاجات عقيمة في الغالب، جرّت الكثير من المتاعب، وولدت العديد من

---

(١) بحار الأنوار: ١٠/٥ طبعة تبريز سنة ١٣٠٣ هجـ.

(٢) شرح نهج البلاغة: ١/٢٨١.

(٣) المصدر السابق: ٢/٥٧٣.

(٤) ذكرى أبي العلاء المعرّي: ١٢٠.

(٥) يراجع: أساس البلاغة للزمخشري: ٢/٢٦، والنهاية في غريب الحديث لمجدالدين المبارك ابن الأثير: ٢/٩ و١٠، وخزانة الأدب للبغدادي: ٢/٩٢ وغيرها للوقوف على منشأ الوهم وعقم القياس والإستنتاج.

المشاكل، ونحن لا نريد بهذا القول إنكار فضل الإستشراق والمستشرقين، ولا نقصد الحط من قيمة هذه الحركة العلمية الضخمة وما قامت به من خدمات جليلة خلال القرون العديدة، لولا أنّ مساوئها في القرنين الأخيرين قد أربت على محاسنها وأوشكت أن تضيع ما كان لها من فضل واحسان؛ فبعد أن كانت الحركة ثقافية محضة من لدن ظهورها في القرن العاشر للميلاد وإلى قرون من عمرها، انقلبت بعد الحروب الصليبية إلى حركة دينية بعناية روما والبابوات، لانصرافهم إلى إعداد الرسل والدعاة والمبشّرين وتنشئتهم على العلوم الشرقية ولاسيّما العربية والعبريّة والسريانيّة، ونشطت حركة الترجمة وكثر خلال ذلك الدس والإفتراءعلى المسلمينوالعرب وحضارتهم، والطعن في مقدّساتهم وتاريخهم وثقافتهم.

وقد تطوّرت حركة الإستشراق خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر مع اشتداد الإتّصال بين الغرب والشرق الأدنى، وخلصت تدريجياً ممّا علّق بها من النوازع الدينية، وحلّت محلّها أغراض ومآرب توسعية استعمارية، وسياسية اقتصادية، حتّى أصبحت في القرن التاسع عشر تيّاراً علميّاً ضخماً نشأت أصوله وتكوّنت مجاريه في عواصم الممالك الأُوربية الكبيرة والصغيرة[1].

ويضاف إلى ذلك ظهور فئة من المتأدّبين والمتعلّمين السطحيين الذين

---

(١) يراجع البحث العلمي الممتع «الإستشراق» الذي ختم به صديقنا العلّامة الأُستاذ الجليل يوسف أسعد داغر الجزء الثاني من معجمه القيم «مصادر الدراسة الأدبيّة»: ٢/٧٧١ ـ ٧٨٧، ويراجع كتاباه الجليلان «دليل الأعارب إلى علم الكتب وفنّ المكاتب»: ١٥٩ و«فهارس المكتبة العربية في الخافقين»: ١٥٩، وخاتمة تاريخ الأدب العربي للزيات، في الإستشراق والمستشرقين: ص٥١٢ ـ ٥١٦ وكتب الأُستاذ محمود الغول المحاضر بمعهد اللغات الشرقية بجامعة لندن مقالاً قيّما تحت عنوان «المستشرقون أقل دراية بأسرار اللغة العربية» نشر في مجلة «العربي» العدد الرابع: ١١٨ ـ ١٢٢.

فقدوا القابليّات وعدموا المؤهّلات[1] فبعد أن كان المستشرق من ينقطع إلى دراسة الحضارات القديمة ويتخصص فيها حتى يتمكّن من معرفة القوى الروحية التي أثّرت على تكوين الثقافة الإنسانيّة والتمدّن في القرون الوسطى أو النهضة الحديثة، انتسب إلى هذا الحقل من اقتصرت ثقافته على معرفة بعض اللغات الشرقية، وكان كلّ بضاعته إلمام بسيط ببعض الدراسات التافهة والمواضيع التي لا تستحق أدنى اهتمام:

وقد يتزيّي بالهوى غير أهله وما آفة الأخبار إلّا رواتها[2]

أمّا رأي الدكتور بالنسبة إلى القرآن فصحيح، وكذلك في الحديث النبوي الشريف حيث يعتقد المحققون بأنّه لا يبنى عليه أساس لغوي ولا استشهاد، فقد نقل البغدادي كثيراً من أقوال العلماء في هذا الباب، ومعظمهم يذهبون فيه ذلك المذهب[3] وصرّح أبو سليمان الخطابي وغيره بأنّ في الذين تناقلوا الحديث أعاجم أفشوا فيه اللحن، وحرفوا بعضه عن مواضعه، واستحال الإحتجاج والإستشهاد بألفاظه المخالفة إذ كانت همم المحدثين منحصرة في حفظ المعاني لا ضبط الألفاظ، لذلك أجازوا نقل الحديث بالمعنى وترجمته[4].

---

(١) راجع «صفحة من رحلة الإمام الزنجاني وخطبه...»: ١/٤١٩ و٤٢٠ و٤٣٥ و٤٣٦ و«الإمام علي صوت العدالة الإنسانيّة»: ٥/١٢٢٧ ـ ١٢٢٨.

(٢) تحدّثنا عن بعض المستشرقين الالمان الذين التقينا بهم في المانيا في كتابنا المخطوط: «جولة في المانيا الاتحادية».

(٣) خزانة الأدب: ١/٢٣ ـ ٢٨ وكثير غيره.

(٤) المصباح المنير: مادة وسط.

الأدب وأثره في الحياة :

عرف معظم القدماء «الأدب» وعرفوه: بأنّه التحلي بالأخلاق الحميدة ودرس علوم السلوك. وبتعاريف أُخرى متقاربة، أمّا الغربيّون فقد أفاد بعض معاني الكلمة عندهم: ما يكتب أو يلقى أو يلقن في مختلف ضروب العلوم والفنون، والذي نقصده بالأدب ضرب من الكلام يصور بطريقة فنية حياة الناس من ناحية الإحساس والشعور، والعواطف والتفكير، والمثل العليا ونحوها ـ نثراً كان أو نظماً ـ.

وسواء أكان هذا الكلام مقالة هادئة، أو قصّة رائعة، أو قصيدة جائشة، أو خطاباً حماسياً، فإنّ الدافع وراءه احساس في نفس صاحبه غمرها وفاض عنها فنسجه كلاماً وأفرغه في قالب من الألفاظ، وأذاعه على الناس، وكذلك كانت إلياذة هوميروس، وشاهنامة الفردوسي، وإينياد فرجيل، ومهابها راتة فياسة، وقصص شكسبير، وشعر المتنبي، ونظرات المنفلوطي، ونظائرها. فإذا كان الإحساس بهجة وإعجاباً استمتع به السامعون، وإن كان انفعالا وتأثراً شارك السامعون في الألم والتأثر وإن كان استنهاضاً شحذوا عزائمهم للسير في طريق الرفعة والخلود مع الخالدين.

وقد لعب الأدب في تاريخ كلّ في الأُمم المختلفة دوره الخاص، وذلك لأنّه كغيره من الفنون؛ مرتبط بحياة الأُمّة التي يظهر فيها ارتباطاً خاصاً، بل إنّ صلته بها أقوى من صلة سائر الفنون، وهو من هذه الناحية يختلف كثيراً عن العلم والفلسفة لأنّهما في الغالب تراث مشترك بين جميع الأُمم يسهل انتقاله من واحدة إلى أُخرىٰ ويصعب تمييزه، بينما الأدب إرث خاص بالأُمّة الواحدة له لونه الخاص وملامحه البارزة وفوارقه عن غيره من أدب الأُمم الأُخرى، ويطول بنا

الكلام إذا أردنا تبيان أثر كلّ فرع من فروع الأدب وأهميّته في تاريخ الأُمّة العريقة، وحسبنا أن نشير إلى أنّه الأداة الفعالة في أداء الرسالة والآلة التي لابد منها لإذاعة كلّ ما يراد إعلانه للجمهور، وإعمامه بين الناس، وهو الثوب الذي يكسو كثيراً من العلوم والفنون، فلم تستطع الفلسفة على بعد مراميها الإستغناء عنه، ولم يستطع الفلاسفة على كرههم لمراميه إلّا اللجوء إليه، وما يقال عن الفلاسفة يقال عن علماء التاريخ والسياسة والدين.

وقد أدرك فلاسفة الاغريق أثره في التوجيه القومي والخلقي فأولوه كثيراً من الإهتمام حين بحثوا القضايا القوميّة، فقد عرض له أفلاطون في جمهوريّته وأنكر سقراط على هوميروس بعض المواقف في الياذته لأنّها تسيء إلى حريّة النفس التي يقدّسها سقراط وتمتهن الأبى الذي يؤثر الموت على الإستعباد. وقد ارتأى أن يحذف منها كلّ ما يمثّل الندب والعويل والذعر والضعف والخور، وأن يبقى ما يمجد الحريّة والرجولة والحماسة والنبل والحق والصلاح، كلّ ذلك لإيمانه بتأثير هذا الأدب في نفوس القرّاء والسامعين، وكذلك الحال بالنسبة لتأثير الأدب في غير اليونان والرومان من الأُمم الّتي زها فيها الأدب. فقد هزّ «كورني» فرنسا برواياته التمثيلة، حتّى اعترف نابليون بعده بأن فرنسا تدين له بجزء كبير من مآتيها المجيدة، ويعتبر الأدب التمثيلي مدرسة عظمى لكبار الرجال، ويرى أنّ من واجب الملوك مناصرته وتشجيعه ونشره. أمّا شكسبير فهو ابتسامة عجب وفخر على فم كلّ انكليزي يذكر اسمه، وما لنا نذهب بعيداً وهذه الحقبة من عصرنا تمدّنا بأقوى البراهين، فهؤلاء زعماء الأُمم المتضاربة أرباب قلم وبيان، وهذه محطّات الإذاعة أداة لنشر الخطب وتوجيه الأُمم كما يريد زعماؤها، وهي من أعظم العوامل لبعث روح الجهاد المعنوي الذي دلّل أنّه أعظم أثراً من أفتك السلاح.

مكانة الأدب عند العرب:

وقد قدر العرب في سائر مراحل تاريخهم الأدب حقّ قدره، وأدركوا خطورته، فقد كان له في العصر الجاهلي مقامه الأوّل ومكانه الرفيع، وكان للشعر في نفوسهم تأثير كبير، وكانت القبيلة تفخر إذا ظهر فيها شاعر فتباهى به وتباهل، وتقدمه في مجالسها كما تفعل مع الرؤساء والزعماء، معتقدة بأنّ لسانه سلاحها الذي تهاجم به الخصوم وترد غائلة الأعداء، وهكذا كان. فقد كانت القصيدة الواحدة ترفع ذكر الخامل وتسمو به، وتضع الشريف وتنزل به إلى الدرك الأسفل، وقصة المحلق مع الأعشى معروفة، وهي أنّه كان من مغموري العرب وفقرائهم، وكان أباً لثماني بنات عوانس لم يتقدم لخطبتهنّ أحد لمكان أبيهنّ من الخمول والفقر، فاقترحت عليه زوجته أن يضيف الأعشى لعله يشيد بذكره في شعره فينبّه فأضافه ونحر له ناقة على فقره فمدحه الأعشى بقصيدة بليغة وأنشدها في سوق عكاظ، فلم يمض عام حتّى لم تبق جارية من بناته إلّا وهي زوج لسيّد كريم، ومن القصيدة قوله:

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة ... إلى ضوء نار باليفاع تحرُّق
تشب لمقرورين يصطليانها ... وبات على النار الندى و«المحلق»
رضيعي لبان ثدى أم تقاسما ... بأسحم داج عوض لا يتفرق
ترى الجود يجري ظاهراً فوق وجهه ... كما زان متن الهند وأنّى رونق
يداه يدا صدق فكفّ مبيدة ... وكفّ إذا ما ضنّ بالمال تنفق[1]

وكذلك ما يروى عن بني عبدالمدان الحارثيين فقد كانوا يفخرون بطول

---

(١) تاريخ الأدب العربي للزيات الطبعة الأخيرة: ٤٣ و٥٧.

أجسامهم وقديم شرفهم حتّى قال فيهم حسان:

لا بأس بالقوم من طول ومن عرض جسم البغال وأحلام العصافير

فقالوا له: والله يا أبا الوليد لقد تركتنا ونحن نستحي من ذكر أجسامنا بعد أن كنّا نفخر بها! فقال لهم: سأصلح منكم ما أفسدت وقال فيهم:

وقد كنّا نقول إذا رأينا لذي جسم يعد وذي بيان

كأنّك أيّها المعطى لساناً وجسما من بني عبدالمدان[1]

وكانت قبيلة بني نمير من أشراف قبائل العرب، وكان الرجل منهم إذا سئل: ممّن الرجل؟ فخم لفظه ومدّ صوته وقال: من بني نمير... فلمّا قال فيهم جرير:

فغضّ الطرف إنّك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا

صار الرجل منهم إذا سئل عن نسبه ترك الإنتساب إلى نمير وتجاوزه إلى أبيه عامر بن صعصعة، ولهذه القصص أشباه ونظائر تضمّنتها كتب الأدب والتأريخ.

عناية الإسلام بالشعر:

وجاء الدين الإسلامي فاستعان به على نشر الدعوة. وكان النبي ﷺ يقرب بعض الشعراء ويستنشدهم. وحديث ارتياحه لشعر عمّه أبي طالب واستنشاده كعب بن زهير وحسان بن ثابت وغيرهما مشهور[2] وكان يأمر أنصار الدعوة الإسلاميّة من الشعراء الذين عناهم الله تعالى بقوله ـ كما نصّ عليه ابن كثير ـ: ﴿ ... **إلّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما**

---

(١) العقد الفريد: ١٢١/٣ طبعة سنة ١٣١٦. وفيه قصص طريفة في هذا الباب، وقد ذكر فيه قصة المحلق بن خيثم برواية اخرى.

(٢) الشعر والشعراء: ٩٦، ومستدرك الحاكم: ٤٧٧/٣.

ظلموا ...﴾[1].[2] كان ﷺ يأمرهم بهجاء الكفار والمشركين ومناوئي الدين، فقد قال لحسان: «شن الغطاريف على بني عبد مناف فوالله لشعرك أشد عليهم من وقع السهام في غبش الظلام وتخبط يمشي فيه». قال: «والذي بعثك بالحق نبيّاً لأسلنك منهم سل الشعرة من العجين». ثمّ أخرج لسانه فضرب به أرنبة أنفه وقال: «والله يا رسول الله إنّه ليخيل لي أنّه لو وضعته على حجر لفلقه أو على شعر لحلقه». فقال النبي ﷺ: «أيّد الله حسان في هجوه بروح القدس»[3].

ولمّا أمر النبي ﷺ ابن عمّه عليّاً عليه السلام بضرب عنق النضر بن الحرث بن كلدة ابن علقمة بن عبد مناف بين يديه ﷺ قالت أُخته قتيلة بنت الحرث ترثيه بأبيات ذكرها ابن عبد ربّه؛ فلمّا بلغ رثاؤها النبي قال: «لو بلغني قبل قتله ما قتلته»[4].

وقد سار أئمّة أهل البيت عليهم السلام على نهج النبي ﷺ في ذلك ففتحوا أبوابهم للشعراء وأجزلوا لهم العطاء وقدّموا لهم الهبات والجوائز وندبوهم إلى بيان كراماتهم وما اختصّهم الله به من علم وحكمة، وحثوهم على ذلك. قال الإمام الصادق عليه السلام: «ما قال فينا قائل بيتاً من الشعر حتّى يؤيّد بروح القدس»[5]، كما ورد عنه الحثّ على تعلّم شعر سفيان بن مصعب العبدي، فقد روى عنه سماعة قوله: «يا معشر الشيعة علّموا أولادكم شعر العبدي فإنّه على دين الله»[6].

---

(١) الشعراء: آية ٢٧٧.

(٢) تفسير ابن كثير: ٣/٣٥٤.

(٣) العقد الفريد: ٣/١٠١، ١٠٢.

(٤) العقد الفريد: ٣/١٠١، ١٠٢.

(٥) عيون أخبار الرضا عليه السلام للصدوق: ١/٧ طبعة طهران سنة ١٣٧٧ هجرية، وبحار الأنوار للمجلسي: ٧/٣٣ طبعة أمين الضرب سنة ١٣٠٣.

(٦) رجال الكشي: ٢٥٤ طبعة بمبي.

موقف الفقهاء من الشعر :

وبالرغم ممّا أسلفناه من بالغ عناية النبي ﷺ بالشعر، وكبير اهتمام الأئمّة من أهل بيته عليهم السلام بالشعراء، اتخذ فقهاء المسلمين وعلماؤهم عبر القرون والأجيال، موقفاً سلبيّاً منهما، مع اعترافهم باليد البيضاء التي أسداها الشعر والشعراء للرسالة الإسلاميّة، وتقديرهم البالغ لموقفهما المشرّف في الحفاظ على السنّة النبويّة، واستشهادهم في تآليفهم غالباً بأقوال الشعراء، واعتبارها إحدى الحجج في مقام الرد والمناقشة، وقد احتجّوا بآراء واهية ونظريات غاية في التطرّف، فهم يرون الشعر نقصاً لأنّ النبي ﷺ لم يتعاطاه، ولأنّ الله تعالى نزّهه منه بقوله: ﴿ وما علّمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلّا ذكرٌ وقرآن مبين ﴾[1] ويكفي دلك للإستدلال على كونه نقصاً، ومقام النبوّة أسمى من أن تنوشه النقائص، وتلوث ساحته العيوب. ومن أقوالهم المشهورة وأمثالهم السائرة في الباب قولهم: «الشعر يكمل الناقص وينقص الكامل» وقد عزوا إلى الإمام الشافعي البيت المعروف:

ولولا الشعر بالعلماء يزري لكنت اليوم أشعر من لبيد

وكتب الفقيه الكبير المحقق الحلي صاحب «شرائع الإسلام» إلى أبيه أبياتاً من جيّد الشعر فكتب له أبوه ما صورته: «لئن أحسنت في شعرك لقد أسأت في حقّ نفسك، أما علمت أنّ الشعر صناعة من خلع العفة ولبس الحرفة، والشاعر ملعون وإن أصاب، ومنقوص وإن أتى بالشيء العجاب، وكأنّي بك قد أوهمك الشيطان فضيلة الشعر فجعلت تنفق ما تلفق بين جماعة لم يعرفوا لك فضيلة غيره

(١) يس: آية ٦٩.

فسمّوك به، وكان ذلك وصمة عليك آخر الدهر، ألم تسمع:

ولست أرضى أن يقال شاعر تبّاً لها من عدد الفضائل

قال المحقق رحمة الله عليه ـ وعلى أبيه أيضاً ـ: «فوقف خاطري عند ذلك حتّى كأنّي لم أقرع له باباً، ولم أرفع له حجاباً»[1] ونظير ذلك أنّ الشيخ جعفر كاشف الغطاء الصغير أتلف شعره في حياته فقد أمر بعض خدامه بالقائه في البحر ترفعاً عن الشعر ورعاية لمكانته العلمية[2].

وإذا رجعنا إلى تفسير الآية الكريمة وجدناه برهاناً على أهميّة الشعر، ودليلاً على أنّه مقياس الفطنة والذكاء، قال شيخ الطائفة الطوسي في تفسير الآية «... وما علّمناه الشعر لأنّا لو علّمناه ذلك لدخلت به الشبهة على قوم في ما أتى به من القرآن، وأنّه قدر على ذلك لما في طبعه من الفطنة للشعر...»[3] فهو صريح بأنّ الشاعرية موهبة وفيض نفسي، وعون على الإبتكار والإبداع لما أودعه الله في صاحبها من فطنة وقابلية.

وقد استمرّت الفجوة بين الفقهاء والشعراء عبر القرون المتطاولة واعتبر كلّ منهما فنّه قائماً بذاته وبعيداً عن الآخر غير مفتقر إليه، مع الفقهاء دوماً محتاجون إلى الشعر لتسهيل تناول العلم وتداوله، وتيسير حفظه، فقد نظموا الأراجيز المطولة في مختلف العلوم والفنون، وأعانهم ذلك ـ كثيراً ـ على نشر العلم وإعمامه، ومع ذلك فقد بقوا على كبريائهم ولم يتنازلوا إلى الإعتراف بقيمة الشعر

---

(١) أعيان الشيعة: ١٥/٣٨٧، وتاريخ الحلة: ٢/٢٠، والبابليات: ١/٧٢، وشعراء الحلة: ١/١٩٩ وغيرها.

(٢) ماضي النجف وحاضرها: ٣/١٤١.

(٣) التبيان في تفسير القرآن للطوسي: ٨/٤٧٣ ـ ٤٧٤ الطـ ٢، ومجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي: ٢٣/٣٧ ـ ٣٨ طبعة داري الفكر والكتاب.

وأهميّته، وقد أجمع مؤرخو الأدب على بعد الفقهاء عن الشعر وأنجز ذلك إلى اتهامهم بعدم فهم دقائقه وأسراره، وضعف شاعرية من تداوله منهم، وصار ذلك مضرب المثل حتّى أنّهم إذا أرادوا أن يقلّلوا من أهمية إنتاج بعض الشعراء، أو يحكموا بأنّه دون الجيد أو المتوسط، قالوا: إنّه شعر فقيه، وكانوا قد قسّموا أرباب المنظوم إلى أربعة أقسام: أشعر، وشاعر، وشويعر، وشعرور[1] وقد كان الأخيران من شعراء الفقهاء في نظر المؤرخين والناقدين. ومن طريف ما ذكره ابن خلدون في الفصل الثاني والأربعين من مقدمته في أنّ حصول ملكة النظم إنّما هو بكثرة المحفوظ، وجودتها بجودة المحفوظ، قال: «أخبرني صاحبنا الفاضل أبوالقاسم ابن رضوان كاتب العلامة بالدولة المرينية، قال: ذكرت يوماً صاحبنا أباالعباس بن شعيب كاتب السلطان أبي الحسن، وكان المقدم في البصر باللسان لعهده، فأنشده مطلع قصيدة ابن النحوي، ولم أنسبها له، وهو هذا:

لم أدر حين وقفت في الأطلال ما الفرق بين جديدها والبالي

فقال لي على البديهة: هذا شعر فقيه. فقلت له: ومن أين لك ذلك؟ فقال: من قوله: ما الفرق إذ هي من عبارات الفقهاء وليست من أساليب كلام العرب. فقلت له: لله أبوك إنّه ابن النحوي...»[2].

وقد عرف دعبل الخزاعي بشاعر العلماء وعالم الشعراء[3] لإحاطته بالأخبار والأنساب، وحفظه للتاريخ وغيره من العلوم. ووصف ابن دريد بأنّه:

---

(١) العراقيات: ١/٤.

(٢) المقدمة: ٥٧٩.

(٣) تاريخ الأدب العربي للزيات: ٣٧٤.

آفقه الشعراء وأشعر الفقهاء[1] لبراعته في العلم والأدب. فكأن ذلك من الغرائب عندهم، واجتماع الفضيلتين من المحالات والنوادر، وقد تسرب ذلك إلى نفوس الفقهاء والشعراء وكادوا أن يعترفوا به على أنفسهم كما يتّضح لنا من قول القاضي الأرجاني ـ أحمد بن محمّد ـ المتوفى سنة ٥٤٤ هجـ:

أنا أشعر الفقهاء غير مدافع ... في العصر أو أنا أفقه الشعراء
شعري إذا ما قلت دونه الورى ... بالطبع لا بتكلّف الإلقاء
كالصوت في ظلل الجبال إذا علا ... للسمع هاج تجاوب الاصداء[2]

فهو يعترف بأنّه لم يتجاوز دائرة «شعر الفقهاء» إلى شعر الشعراء وأيّده في قوله حول شعر الفقهاء الدكتور جواد علي الطاهر[3].

وقد سها سيدنا الإمام السيد محسن الأمين فنسب هذه الأبيات إلى شيخ الطائفة بوقته الشيخ الأكبر جعفر كاشف الغطاء النجفي المتوفى سنة ١٢٢٨ هجـ[4] ونقل عنه ذلك الأُستاذ الجليل على الخاقاني عند ترجمته لكاشف الغطاء[5] وقد نبّهنا الأخ الخاقاني إلى ذلك على أثر صدور كتابه مع ملاحظات أُخرىٰ ممّا يخصّ ابن خلّكان وغيره.

ورأي مشايخنا الأعلام بعيد عن الصواب كلّ البعد، وهو يخالف الواقع وينافي الحقيقة، لأنّ فقه الكتاب المقدس والحديث الشريف يفتقر إلى الذوق

---

(١) رسائل الإنتقاد للقيرواني: ٢٣.
(٢) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ١/٤٨ الطبعة القديمة.
(٣) الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي: ١٩٩ ـ ٢٠٠.
(٤) أعيان الشيعة: ١٥/٤٣٥.
(٥) شعراء الغري: ٢/١٢٦.

السليم والسليقة المستقيمة، والأُفق الواسع والذهن المتقد، وذلك ما لا يتأتى غالباً لغير الأُدباء ولا يوجد ـ إلّا ما شذّ ـ عند غير الشعراء. فالعالم الأديب هو الذي يجدر باستنباط الأحكام، ويقدر على معارضة الأدلّة والأقوال، لأنّه يجيد التعليل، ويحسن التوجيه. قال ابن عباس: «إذا قرأتم شيئاً من كتاب الله ولم تعرفوه فاطلبوه في أشعار العرب...»[1]. وقال الإمام الشافعي: «طلبت اللغة والأدب عشرين سنة لا أُريد بذلك إلّا الإستعانة على الفقه...»[2]. وقال الإمام الحجة الشيخ محمّد الحرّ العاملي في الفائدة الحادية عشرة من مقدمته: «وقد ذكر بعض علماء المعاني والبيان أنّ العالم إذا كان شاعراً كان أفصح تقريراً وتحريراً وأحسن فهماً لدقائق المعاني، وأعلم بنكت الكلام، وأشدّ تحقيقاً من العالم الذي ليس بشاعر، وكذلك المعرفة بالإنشاء، وتتبع مؤلفات العلماء شاهد بصحة هذا الكلام. فإنّ الأثر دالّ على المؤثر. وقد روي بطرق معتمدة عن النبي ﷺ أنّه قال: «إنّ من الشعر لحكمة، وإنّ من البيان لسحراً». وعن الصادق عليه السلام «سمّي البليغ بليغاً لأنّه يبلغ حاجته بأهون سعيه»[3].[4] وقال الإمام شيخ الإسلام البهائي: «العلم بلا أدب كالبنيان بلا أساس»[5]. وقال الحجة المتضلّع الشيخ عبدالحسين الحلّي: «أين طالب العلم الأديب عارف بأخبار الأئمّة إذ أنّ لديه ذوقاً أديباً يميّز به خبر الإمام عن غيره، ويعرف بذوقه سبك العبارات وتراكيبها، فالعالم الأديب

---

(١) تاريخ الأدب العربي للزيات: ٣٦٠.

(٢) تاريخ الأدب العربي للزيات: ٣٦٠.

(٣) تحف العقول الطـ ٣: ص ٢٦٧.

(٤) أمل الآمل في ذكر علماء جبل عامل: ١٤٢٦ الطبعة الملحقة بـ «منهج المقال».

(٥) الكشكول.

أعرف بكثير من العالم غير الأديب»[1].

تلك أقوال لعلماء أعلام لهم في الأوساط الدينية ودنيا الإسلام ذكر محمود ومكان سامق، لكنّها لم تكن لتملك القوة التي تمكنها من السيطرة على الأفكار، والقابلية التي تخضعها لتقبلها، فلا تزال نسبة الشعر إلى زعماء الدين ومراجع التقليد أمراً يكاد يذهب بالعدالة ويسلب الثقة، «وطالما طعن العلماء من يريدون الوقيعة به من زملائهم بوصفه بالأدب، وكثيراً ما نفى الأُدباء من أهل العلم عنهم صفة الأدب حرصاً على مكانتهم العلمية وصيانة لها...»[2]. وفي النجف الأشرف اليوم عشرات الأفذاذ والنوابغ من الشعراء الذين تغبطهم البلاد العربيّة بأجمعها عليهم إلّا أنّهم مع الأسف يعيشون بعقلية خاصة، فقد أدّى بهم انتقاص الشعر والإستخفاف بأهله إلى ترك النظم وإسدال الستار على حياتهم الأدبيّة، بل أدّت الحال ببعضهم إلى نفي شاعريّته وإنكار انتاجه الفكري وفيه ما هو كفيل بإخلاد ذكره، وقد عرفنا كثيرين من الأعلام كانوا يهملون انتاجهم ولا يحفلون به، ولا يهتمون بجمعه او يرضون بإذاعته، بل عمد بعضهم إلى إتلاف شعره وتتبع المتفرق منه للقضاء عليه جميعاً، وبالأمس القريب كان الإمام السيد عبدالهادي الشيرازي ﷺ[3]، يجمع بين النقيضين، فقد كان يؤمن بالروايات الواردة في فضل

---

(١) شعراء الغري: ٥/٢٦٨.

(٢) مجلة المعارف للكاتب، العدد ١٠ من السنة ١: ٤.

(٣) من شيوخ الإجتهاد وزعماء الدين الأشراف، ومن بيت زعامة وعلم وتقوى؛ تولّى تدريس الفقه وباقي العلوم الإسلاميّة في النجف قرابة ثلاثين سنة وتخرج عليه المآت ورُجع إليه في التقليد منذ سنين وتوسّعت مرجعيّته كثيراً في الأعوام العشرة الأخيرة إذ كان للجماهير المؤمنة في بلاد المسلمين ثقة به لم ينلها سواه، وأوشكت أن تنحصر فيه الزعامة الدينية العامة بعد وفاة زعيم الشيعة وفقيه أهل البيت المرحوم البروجردي عام ⊂

النظم في مدح أهل البيت ورثائهم فيقدم عليه، ويداري في الوقت نفسه العقلية السائدة في الأوساط العلمية فلا يحب أن يعرف ذلك عنه أحد أو يذاع شعره وينشد فكان ينظم ويتلف ليحظى بالأجر ويسلم من الشهرة بالشعر، ولولا يقظة بعض أعلام العلم والأدب من أصدقائه ومريديه كالحجّتين المرحوم الشيخ محمّد علي الأُوردوبادي، والشيخ عبدالحسين الأميني حفظه الله، اللذين احتفظا ببعض شعره لخفت شاعريته وأغفلت، ونظائر الإمام الشيرازي كثيرون لا يأتي عليهم عد.

فضل الشيعة على الأدب العربي:

ولشيعة أهل البيت عليهم السلام قديماً وحديثاً، على الأدب العربي ـ ولاسيّما الشعر ـ فضل كبير وتأثير عظيم، ولئن استطاع خصومهم أن ينكروا بعض فضائلهم وسبقهم إلى المآثر والمكارم فلن يستطيعوا بحال من الأحوال إنكار ما كان لهم من الأثر البالغ في تطويره ورفع مستواه، فليس لأحد أن يماري في هذه الحقيقة، أو يحاول الشك فيها، فقد وسعوا دائرته وفتحوا له آفاقاً جديدة رحبة وأصبحت البراعة والنبوغ في هذا الفن من أبرز صفات الشيعة، وأكبر دليل على ذلك قول ابن خلّكان في ترجمة علي بن الجهم: «وكان مع انحرافه عن علي بن أبي طالب عليه السلام وإظهاره التسنّن مطبوعاً مقتدراً على الشعر عذب الألفاظ ...»[1]. «وإذا أرادوا أن

١٣٨٠ لولا أن اختار الله له جواره عام ١٣٨٢ فانهارت به إحدى دعائم الدين والتقى والعلم في النجف. وقد نظمت تاريخاً لوفاته نشر في ترجمته في «طبقات أعلام الشيعة»: ١٢٥٥/٢.

(١) وفيات الأعيان: ٣٤٩/١ ـ ٣٥٠ من الطبعة القديمة مصر سنة ١٣١٠، وعنه في المراجعات الريحانية: ٣١/٢، والغدير: ٢٦٧/٣.

يبالغوا في وفور حظ بعض الشعراء من الشعر والأدب قالوا: فلان يترفّض في شعره، وقالوا: «وهل ترى من أديب غير شيعي»...»[1].

وحسب الأدب الشيعي فخراً أن يكون من رجاله كعب بن زهير ابن أبي سلمى، والنابغة الجعدي، وأبو دهبل الجمحي، والفرزدق، وكثير عزّة، والكميت، وأبو تمام، والبحتري، ودعبل الخزاعي، وديك الجن، وابن الرومي، والحميري، وأبو فراس الحمداني، وابن دريد، وابن منير الطرابلسي، وابن الحجاج، والمتنبي، والشريف الرضي، ومهيار الديلمي، وكشاجم الرملي، وابن هاني الأندلسي، والناشيء، والبديع الهمداني، والطغرائي، ومآت غيرهم كفلت تراجمهم وتفاصيل أحوالهم وروائعهم الخالدة معاجم التراجم وكتب الأدب، وقد عقد الإمام الجليل السيد حسن الصدر﵀ فصلاً خاصّاً في تقدم الشيعة في فنون الشعر وطرائفه، وذكر عظمائه ومشاهير رجاله من هذه الطائفة[2] كما أفرد الإمام البحاثة السيد محسن الأمين رضوان الله عليه بحثاً قيّماً لطبقات شعراء الشيعة[3] ونقده الحجة المتضلّع السيّد علي نقي النقوي[4] على التوسع فيه والإختصار في طبقات المفسرين والمحدثين والفلاسفة والمتكلمين وغيرهم مخافة أن يظن غير المطّلعين من القراء بأنّ الشعر أهم ما كان عند الشيعة، وأوسع مجالات ظهورهم، وللحجة المجاهد الشيخ عبدالحسين الأميني حفظه الله تعالى بحث مهم تحت عنوان «الشعر والشعراء في السنة والكتاب» أفاض فيه القول في الشعر المذهبي وما فيه من الحاج والدعوة إلى الحق، وبثّ فضائل أهل البيت﵈، وما كان له من

---

(١) المراجعات الريحانية: ٢/٣١ طبعة الأرجنتين، وأصل الشيعة وأصولها الط ٩: ٤٩.

(٢) تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: ١٧٤ ـ ٢٢٩.

(٣) أعيان الشيعة: ١/٣٦٢ ـ ٤١٢.

(٤) مجلة الرضوان السنة ٣ العدد ١٠: ٣٥.

تأثير في النفوس فاق كلّ دعاية وتبليغ، وضرب مثلاً بميمية الفرزدق وهاشميّات الكميت، وعينية الحميري، وتائية دعبل، وميمية أبي فراس، وغيرها[1] وللسيد الأمين أيضاً بحث طويل في فضل الشيعة على الأدب العربي استعرض معظم رجاله عبر القرون، وأشار فيه إلى ملوك الشيعة وأمرائهم الذين عملوا على نشره وتشجيع أهله[2] ولغيرهم من المؤرخين والأعلام بحوث قيّمة وكتب مهمّة لا يسع هذا المختصر الإشارة إليها جميعاً، ويراجع ما كتبه الأساتذة محمّد سيّد الكيلاني[3] والدكتور محمّد جابر عبدالعال[4] وعبدالحسيب طه حميدة[5] وغيرهم ممّن لا تحضرنا آثارهم، على أنّ فيما كتبوه تطاول على الحق وتجن على الواقع والتاريخ.

تأثير واقعة الطف على الأدب العربي:

يمتاز الرثاء بصدق العاطفة ورقّة الشعور ودقة الإحساس، لأنّه يعكس الصور النفسية وآلامها، ويفيض بما تجيش به من لوعة وحزن، وتطفح به من ألم ومرارة، وبديهي إنّه يسمو على غيره من فنون الشعر وأنواعه لبعده عن التكلّف وخلوه من التصنّع: قال الأصمعي: «قلت لأعرابي: ما بال المراثي أشرف أشعاركم؟ قال: لأنّا نقولها وقلوبنا محترقة»[6].

---

(١) الغدير: ٢/٣ ـ ٢٣.

(٢) أعيان الشيعة: ١/٤٢١ ـ ٤٣٤.

(٣) أثر الشيعة في الأدب العربي، القاهرة، دار الكتاب العربي، ١٩٤٧.

(٤) حركات الشيعة المتطرفين وأثرهم في الحياة الإجتماعيّة والأدبيّة لمدن العراق، القاهرة، مطبعة السنّة المحمّديّة، ١٩٥٤.

(٥) أدب الشيعة إلى نهاية القرن الثاني الهجري، القاهرة، مطبعة السعادة، ١٩٥٦.

(٦) العقد الفريد: ٢/٢ طبعة مصر سنة ١٣١٦ هجـ.

وقد كان الرثاء أحد فنون الشعر المعروفة في العصر الجاهلي، ومن الأغراض السامية التي كان لها عند العرب أهمية بالغة ومنزلة كبيرة، حيث يعدد الشعراء مناقب النابهين، ويطرون صفات أهل المآثر من الموتى، ويظهرون التفجع عليهم، ويستعظمون مصابهم، وقد خلّد الرثاء بعض رجال العرب وشجعانهم، أمثال صخر بن عمرو السلمي الذي خلّدته مراثي أُخته الخنساء له[1] فلولا ما قالته فيه لما كان له ذكر في الغابرين ولما احتفظ التاريخ حتّى باسمه، ومثل صخر كثير.

وقد اختلف فقهاء السنة فيه فحرموا منه ما اشتمل على مدح الميّت وذكر محاسنه، وأباحوا ما عدا ذلك[2]. أمّا فقهاء الشيعة وأتباع أهل البيت عليهم السلام فقد أباحوه دون قيد أو شرط مستندين في ذلك على عدم نهي النبي صلى الله عليه وآله عنه أو استنكاره له مع حدوثه أمامه وتلاوته بين يديه غير مرّة[3] وقد تسابق أصحابه في رثائه. وممّن رثاه أميرالمؤمنين عليه السلام[4] وبضعته الزهراء عليها السلام[5] وأُم سلمة وصفيّة

(١) ظهرت عن الخنساء دراسات قيّمة منها (الخنساء) للدكتورة بنت الشاطيء وآخر ما صدر عنها «الخنساء في مرآة عصرها» الأُستاذ الحاكم إسماعيل القاضي وهي دراسة علميّة ممتعة بذل صديقنا القاضي في سبيل إعدادها جهداً مضنياً فجاءت آية في الإبداع والإصالة والرصانة وقراءتها تكشف عن مدى خبرة المؤلف الفاضل وثقافته. صدر الجزء الأوّل منها عام ١٣٨٢ ـ ١٩٦٢ في ٣٠٨ صفحات.

(٢) إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري، للقسطلاني: ٢٩٨/٣.

(٣) مقدمّة المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة لشرف الدين: ٩ ـ ١٠ طبعة صيدا سنة ١٣٣٢.

(٤) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: ٢٠٤/١ و٢٠٧ و٢٠٨ طبعة النجف سنة ١٣٧٦.

(٥) العقد الفريد: ٥/٢، وإرشاد الساري: ٣١٨/٣، ومناقب آل أبي طالب: ٢٠٤/١ و٢٠٧ و٢٠٨، وأعيان الشيعة: ٤٩٩/٢.

بنت عبدالمطّلب، وكعب بن مالك، وحسان بن ثابت وغيرهم[1] كما رثى الإمام علي حليلته فاطمة[2] ورثى علياً ولده الحسن[3] ورثى الحسن المجتبى أخواه الحسين ومحمّد بن الحنفيّة[4] وغيرهم من أهل بيت النبي فقد رثى بعضهم بعضاً.

إنّ أدب الرثاء عند العرب قبل الإسلام وبعده بقليل أيضاً، كان محدوداً لا يستطيع الشاعر أن يتجاوز حدوده لضيق دائرة المتوفى إذ مهما بلغ الفقيد ـ يومئذ ـ من الأهميّة فصفاته معدودة، لذلك يرى بعض مؤرخي الأدب بأنّ فنّ الرثاء أضيق دائرة من غيره، ويرى كثير من الأُدباء بأنّ من أحسن ما قيل في الرثاء قول ليلى بنت طريف ترثي أخاها الوليد:

فيا شجر الخابور مالك مورقاً ... كأنّك لم تجزع على ابن طريف؟
فتى لا يريد العزّ إلّا من التقى ... ولا المال إلّا من قناً وسيوف
فقدناه فقدان الربيع فليتنا ... فديناه من ساداتنا بألوف
خفيف على ظهر الجواد إذا عدا ... وليس على أعدائه بخفيف[5]

أو قول تماضر ترثي أخاها صخراً:

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ١/٢٠٩.

(٢) دلائل الإمامة للطبري: ٤٧ طبع النجف سنة ١٣٦٩، وأعيان الشيعة: ٢/٤٩٦، وكشف الغمة للاربلي: ١٤٩، ومناقب آل أبي طالب للسروي: ٣/١٣٩، والمناقب للخوارزمي: ٨٤/١، والمستدرك للحاكم: ١/١٦٣، وآمالي الشيخ الطوسي: ١/١٠٨ طبعة النجف سنة ١٣٨٤، والعقد الفريد: ٢/٧، وروضة الواعظين للفتال: ١٣١، والآمالي للشيخ المفيد: ١٦٥، وبحار الأنوار: ١٠/٦٢ ـ ٨٣ طبعة تبريز سنة ١٣٠٣ وغيرها.

(٣) مقاتل الطالبيين: ٣٤ طبعة بيروت سنة ١٣٨٠، والإرشاد للمفيد: ١٦٧، وتاريخ ابن الأثير: ٣/١٧٤.

(٤) مقتل الحسين للخوارزمي: ١/١٤٢، وزهر الآداب للقيرواني: ١/٥٥، وتاريخ اليعقوبي: ٢/٢٠٠ طبعة النجف سنة ١٣٥٨ وغيرها.

(٥) العقد الفريد: ٢/١٦ ـ ١٧.

وقائلة والنعش قد فات خطوها لتدركه: يالهف أُمّي[1] على صخر

ألا ثكلت أُمّ الذين مضوا به إلى القبر ماذا يحملون إلى القبر؟[2]

ونحن إذا نظرنا إلى أدب الرثاء بعد واقعة الطف المروعة، وما نزل فيها بأهل بيت رسول الله ﷺ من خطوب وكوارث، من استشهاد الحسين بذلك الشكل المفجع وقتله على أيدي اولئك اللئام «قتله لا يزال يرعد من هو لها الدهر» كما قاله الأُستاذ الزيات[3] وإبادة أهله وأولاده وأصحابه، وسبي نسائه الخفرات من ودائع النبوة وعقائل الوحي، تلك الفجائع المؤلمة والأحداث الكبار التي خرجت على كلّ التقاليد، وسحقت النواميس البشرية بهتكها الحجب وأباحتها الحرمات، واستهانتها بالإنسانيّة وكلّ ما يمت إلى الشرف والمثالية بصلة؛ إنّنا إذا نظرنا إلى أدب الرثاء بعد تلك المآسي وجدناه قد اكتسى ثوباً جديداً وظهر بصورة تختلف عن سابقتها بما فتح فيه من أبواب جديدة وما دخل عليه من توسع في الأُفق وتطور ملحوظ؛ فقد جاء بوصف دقيق وتصوير حي يكاد يحس القارىء منه أن دم النبوة ما يزال ينزف في كلمات البيت وحروفه؛ حيث أصابت تلك النازلة قلوب العلويين وسائر شيعة أهل البيت فأقرحتها؛ وفجرت قرائحهم فجادوا بالروائع الخالدة؛ وفاضت نفوسهم بالألم واللوعة والحزن والمرارة؛ ونظموا في وصف تلك المجزرة الفضيعة والمواقف المشجية؛ والمشاهد المؤلمة؛ ما يصدع القلوب؛ ويفتت الجلاميد؛ ويبعث الوجد؛ ويستنزف الدمع.

وليس غريباً أن نرى المجال وقد أصبح ذا سعة أمام الشاعر بعد أن كان يشكو ضيق الدائرة؛ فآل محمّد يختلفون عن سواهم من المخلوق كلّ الإختلاف؛

---

(١) وفي بعض المراجع: نفسي.

(٢) أنيس الجلساء في شرح ديوان الخنساء للأب لويس شيخو: ٩٢.

(٣) تاريخ الأدب العربي: ١٣١.

لأنّهم مهبط الوحي؛ ومعدن العلم؛ وملتقى نوري النبوة والإمامة؛ ومجمع الفضائل والمناقب والمكارم؛ ومجال القول فيهم غير متناه ومنطلقه رحب واسع؛ لذلك جالت فيه النفوس الشاعرة والطباع الثائرة والقرائح المتفتقة؛ فلم تترك شيئاً ممّا يجول في الخواطر أو يختمر في الأذهان إلّا نظمته شعراً ضمنته الشعور الرقيق والوصف الدقيق؛ والأخيلة البديعة والصور المؤثرة.

ولم تقف القضية مع النبي وذريته عند واقعة الطف ولم تنته المأساة بما جرى فيها؛ بل ظلّت الأحداث منهالة على آل رسول الله كالسهام؛ والرزايا منصبة على بني علي كالسيل الجارف؛ فقد طردوا بشكل لم يعهد له التاريخ مثيلا؛ وتتبعهم الحاكمون في الزوايا والمخابىء أملا في استئصال شأفتهم؛ فعلقوهم على الأعواد؛ وزجوهم في السجون؛ ودفنوهم أحياء؛ وألقوهم للسباع؛ وتفنّن الأُمويّون والعباسيون في محاربتهم وتعذيبهم؛ وتوسعوا في ذلك فطاردوا شيعتهم وأتباعهم ومحبّيهم فهرب البعض على وجوههم في الصحاري والقفار؛ وشردوا في أقاصي البلدان ونائى الأصقاع وانتشروا في شرق الأرض وغربها؛ وتواروا عن العيون متنكّرين حفظاً لأرواحهم؛ وتبرّأ البعض من علي وآله صيانة لدمائهم حين رأوا المدى تحزّ النحور وتقطع الأوداج بوحشيّة وهمجيّة؛ ودون رحمة أو رأفة؛ لا ترحم شيخاً لهرمه، ولا طفلاً لصغره، إلى ما هنالك من فضايح وأعمال بربريّة يخجل القلم من إثباتها ويندى جبين الإنسانيّة من ذكرها، كلّ تلك المصائب المتوالية والأحداث المتعاقبة أبقى الجذوة مستعرة على الدوام والدمعة لا ترقى بحال من الأحوال.

وقد توارث شيعة أهل البيت عليهم السلام آلامهم المضنية وآمالهم الجسام خلفاً عن سلف، وجيلاً بعد جيل، وظلّ شعراؤهم عبر القرون يرسلون العبرات وينفثون الأحزان، ويرثون سادة البشر وقادة الأُمّة، وينعون مجد الرسول الذي أضاعه

شرار أُمّته، وودائعه التي خانتها الأيدي المجرمة، ودم ذريّته المهراق ظلماً وعدواناً... فقد فتقت تلك المآسي قرائحهم وألهبت الفجائع عواطفهم فاستنبطوا معاني جديدة ونهجوا مذاهب شتّى أفادت الأدب ولغة العرب.. ولا بأس من الإشارة إلى آراء بعض كبار الكتاب ومؤرخي الأدب المعاصرين في الموضوع:

قال الدكتور أحمد أمين: «وشيء آخر لون الشعر الشيعي بلون خاص وهو كثرة ما توالى بينهم من الأحداث الفظيعة من قتل وحبس وتشريد، فحادثة علي والحسين وغيرهما من الحوادث الكثيرة جعلت شعرهم في كثير من الأحيان شعراً حزيناً باكياً، يستثير البكاء ويستنزف الدمع فجمع أدبهم بين القوّة والضعف واللين والعنف، فبينما ترى شعراً قويّاً يحرّض على قلب الدولة ويثير الغضب ويبعث على القتال ويشهر بالأعداء إذ ترى شعراً ليّناً باكياً يعدّد مآثر المظلومين...»[1].

وقال الأُستاذ أحمد حسن الزيّات: «على أنّ من شعراء الأحزاب من قالوا الشعر عن عقائد دينية وعواطف نفسية، ونوازع عصبية، فكان لشعرهم جمال الإخلاص، وروعة اليقين، وقوّة الحقيقة، اولئك هم شعراء الشيعة والخوارج»[2].

ولسنا في معرض الرد لنناقش الزيات الحساب، لعدّه الشيعة من الأحزاب، ومقارنتهم بالخوارج، فذلك ديدن قومه، واللهجة التي ألفوها فيما كتبوه، فقد اجترها المعاصرون اجتراراً، ومن استعرض ما كتبه مؤرخو القوم المعاصرون، وتتبع كلماتهم في مختلف المناسبات وجدهم اتخذوا نفس اللهجة، ونهجوا ذات الأُسلوب، واتبعوا عين الطريق، فما مرّ اسم الشيعة إلّا وعطف عليه الخوارج، وما

(١) مجلة الرضوان، العدد ٦ و٧، السنة ٣: ٢٦.

(٢) تاريخ الأدب العربي: ١٣٠.

ذكرت الأحزاب والمنظمات السياسيّة إلّا كان اسم الشيعة في طليعتها.

وقال الأُستاذ محمّد كامل عجلان: «شعر الشيعة في كلّ عصر ومصر تكاد تجمعه نغمة واحدة، ويضمّه غرض واحد وهدف لا يتعدد، يمتزج بالقوة والشدة والصرامة والتطرف على من أرهقوا أهل البيت وشنئوهم؛ وأقصوهم عن حقّهم المشروع، ونصيبهم في الخلافة والحكم، وحظّهم من الإمرة والملك، وشعراء الشيعة لا ينضب لهم دمع، ولا تتبلّد قريحة في سح العبرات، وإرسال الشعر المتضمّن لمآسي العلويين، بما يجدّد الحزن في كلّ عام، ويبعث الدفين من الذكريات»[1].

وقال الأُستاذ الزيات أيضاً: «ثمّ قتل مظلوماً في محرابه ـ يعني الإمام عليّاً ـ فكان محياه ومماته تاريخاً دامياً للفضيلة المعذّبة والنفس المطمئنّة الشهيدة، ثمّ ورث بنيه وأهليه ذلك العزم الثائر وهذا المجد العاثر فدب الموت للحسن سرّاً في كأس مذعوفة[2] وقتل الحسين قتلة لا يزال يرعد من هولها الدهر، وتلاحقت الفجائع الأُمويّة فصرع زيد[3] وقتل يحيى، وافتنت المنايا

---

(١) مجلة الرضوان الهندية: العدد ٨ و٩ من السنة ٣: ٢٧.

(٢) لمّا مات الحسن عليه السلام بكاه الرجال والنساء في المدينة سبعة أيّام، واستمرّت نساء بني هاشم في النياحة عليه شهراً، ولبسن الحداد والسواد سنة كاملة؛ كما بكته مكة سبعة أيّام رجالاً ونساء، وعطّلت الأسواق والحوانيت والمكاسب فيهما أُسبوعاً، وكذلك الكوفة وغيرها من مدن المسلمين، راجع: أُسد الغابة: ٢/ ١١، والبداية والنهاية: ٨/ ٤٤، وتاريخ ابن عساكر: ٤/ ٢٢٨، وشرح نهج البلاغة للمعتزلي: ٤/ ١٨، ومستدرك الحاكم: ٣/ ١٧٣، وأعيان الشيعة: ٤/ ٨٠.

(٣) لمّا قتل زيد لبست الشيعة عليه السواد؛ وأوّل من لبسه شيخ بني هاشم في وقته الفضل بن عبدالرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطّلب كما ذكره المقريزي في الخطط: ٤/ ٤١٤ ورثاه بقصيدة طويلة كما ذكره المرزباني في معجم الشعراء: ٣١٠.

الرواصد في اختلاج بني علي وهم يقابلون هول الغوائل الظاهرة والباطنة بالشجاعة والصبر والإحتساب، حتّى اسفرت حول وجوههم طفاوة من التنزيه والتقديس، وتخلّلت محبّتهم قلوب المسلمين ولاسيّما الشيعة... فاعتمدوا على استمالة القلوب وترفيفها بالبكاء والندب، وتصوير الآلام واعلان الفضائل، فاصطبغ شعرهم بالحزن العميق والرثاء النائح، والمدح المبتهل والعصبية الحاقدة، على أنّ هذه الخصائص لم تكن واضحة في شعر أوائل الشيعة وضوحها في شعر الأواخر منهم، فإن تغلغل الفكرة في أصل العقيدة، وتنكيل الحاكمين بآل البيت واضطهاد الولاة للشيعة، إنّما تدرّجت قسوة وقوة مع الزمن فضلا عن قلّة شعراء الشيعة في هذا العصر، لا فساد الأُمويين الضمائر بالذهب والحديد، فشعرهم بدأ ولاء صادقاً، ومدحاً خالصاً، وهجاء مرّاً، ثمّ اشتدّ فصار مفاضلة جريئة؛ ومعارضة شديدة؛ ومناقشة فقهيّة؛ ودعاية حزبيّة»[1].

هذه نبذة يسيرة ونموذج بسيط من آراء المفكرين؛ تؤيد رأينا في الموضوع وتعزز ما ذهبنا إليه؛ وإلّا فالبحث أوسع من أن تفيه هذه العجالة حقّه؛ ويلم هذا المختصر بأطرافه؛ وعسى أن تساعدنا الظروف على الوقوف عنده وقفة أطول لإيفائه حقّه من القول والبسط. وقد كتب الأُستاذ الجليل علي الخاقاني مقالاً[2] اقترح فيه على الكاتب الكبير العلّامة الشيخ عبدالله العلايلي أن يخصّ تأثير مقتل الحسين عليه السلام على الأدب العربي بفصل من كتابه الخاص بتأريخ الحسين الذي كان يوالي نشر حلقاته يومئذ... وكتب بعد ذلك بزمن مقالا تحت عنوان «وقعة الطف وتأثيرها على الأدب العربي»[3] وعاد إليه في ترجمة السيد

(١) تاريخ الأدب العربي: ١٣١ ـ ١٣٢.

(٢) مجلة الغري: السنة ١ العدد

(٣) مجلة البيان: العدد الخاص بالحسين من السنة الأُولى: ٧٨ ـ ٨٣.

حيدر الحلي رحمة الله عليه[1] وألف كتاباً في تراجم شعراء الرثاء سمّاه «شعراء الحسين أو أُدباء الطف» في أربعة أجزاء ترجم فيه لـ «٣٣٥» شاعر مع نماذج من شعرهم[2] ولم أقرأ لكاتب من المعاصرين في الموضوع ما يفي بالمرام ويؤدي حقّ البحث وعسى أن يكون ما لم أقف عليه وعلى أية حال؛ فهو جدير بأن يدرس دراسة تحليلية لخطورته ومزيد أهميته.

مكانة العراق الأدبية قديماً وحديثاً:

يلزمنا ـ لمعرفة أسباب تفوق العراقيين في الشعر على غيرهم من أبناء البلاد العربية الأُخرى ونبوغ شعرائهم ـ أن نتعرف على طبيعة أرضه ومناخه؛ ونلم بأحوال سكانه؛ لأنّ تأثير البيئة الطبيعية لا يقتصر على تطور المدنية فحسب بل له الدخل القوي والعلاقة الوثيقة في تكوين الأجسام ورقي العقول؛ كما هي الحال في عامل الوراثة وأثره في الأخلاق والأمزجة وغيرها.

لقد ذهب أكثر المؤرخين إلى أنّ العراق أعرق من غيره في سائر المزايا الطيّبة؛ والفضائل الكريمة؛ قال اليعقوبي عند وصفه بغداد وتربة العراق: «وباعتدال الهواء وطيب الثرى وعذوبة الماء حسنت أخلاق أهلها؛ ونضرت وجوههم؛ وانفتقت أذهانهم؛ حتّى فضّلوا الناس في العلم والفهم والأدب؛ والنظر والتمييز والتجارات والصناعات والمكاسب؛ والحذق بكلّ مناظرة وإحكام كلّ مهنة؛ وإتقان كلّ صناعة؛ فليس عالم أعلم من عالمهم ولا راوية أروى من راويتهم؛ ولا أجدل من متكلمهم؛ ولا أعرب من نحويهم؛ ولا أصح من قارئهم؛

(١) مقدمة ديوان السيد حيدر الحلي؛ تحقيق الأُستاذ الخاقاني: ١١ ـ ١٥، وشعراء الحلة: ٣٣٥/٢ ـ ٣٣٦.

(٢) الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ١٩٣/١٤.

ولا أمهر من متطببهم؛ ولا أحذق من مغنّيهم؛ ولا ألطف من صانعهم، ولا أكتب من كاتبهم، ولا أبين من منطيقهم، ولا أعبد من عابدهم، ولا أورع من زاهدهم، ولا أفقه من حاكمهم، ولا أخطب من خطيبهم، ولا أشعر من شاعرهم...»[1] ومن أراد التوسع ومزيد الإطلاع فعليه بمراجعة ما كتبه المسعودي[2] والحموي[3] وغيرهما من المؤرخين والجغرافيين.

هذا ما يخصّ طبيعة الأرض وتأثيرها، وحالة البيئة وخصائصها، وأمّا ما يخصّ السكان وأحوالهم فأمره في الوضوح لا يقل عن موضوع البيئة، فهم عرب أقحاح والعرب معروفون بسلامة الفطرة وصفاء القريحة وسعة الخيال، وسرعة البديهة، وفيض الخاطر، ورقّة المشاعر. قال أمين الإسلام الطبرسي في تفسير قوله تعالى: ﴿ لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنّتان ... الخ ﴾ ما نصّه: «ألقت طريفة الكاهنة إلى عمرو بن عامر الذي قال لها مزيقياء بن ماء السماء، وكانت قد رأت في كهانتها أن سدّ مأرب سيخرب وأنّه سيأتي سيل العرم فيخرب الجنّتين، فباع عمرو بن عامر أمواله وسار هو وقومه حتّى انتهوا إلى مكة، فأقاموا بها وما حولها، فأصابتهم الحمى وكانوا ببلد لا يدرون فيه ما الحمى، فدعوا طريفة وشكوا إليها الذي أصابهم، فقالت: قد أصابني الذي تشكون وهو مفرق بيننا. قالوا: فماذا تأمرين؟ فقالت: من كان منكم ذا هم بعيد، وجمل شديد، ومراد جديد، فليلحق بقصر عمّان المشيّد، وكانت أزد عمان، ثمّ قالت: من كان منكم ذا جلد وقسر وصبر على أزمات الدهر فعليه بالأراك من بطن مر، وكانت خزاعة، ثمّ قالت: من كان منكم يريد الراسيات في الوحل؛ المطعمات في المحل؛ فليلحق بيثرب ذات

---

(١) البلدان: ٤ ـ ٥ الطبعة الثالثة النجف الأشرف سنة ١٣٧٧ هجـ.

(٢) مروج الذهب ٢/٦٣ الطبعة الثالثة.

(٣) معجم البلدان: ٦/١٢٥.

النخل، وكانت الأوس والخزرج؛ ثمّ قالت: من كان منكم يريد الخمر والخمير؛ والملك والتأمير؛ وملابس التاج والحرير؛ فليلحق ببصرى وغرير، وهما من أرض الشام؛ وكان الذين سكنوها آل جفنة بن غسّان؛ ثمّ قالت: من كان منكم يريد الثياب الرقراق؛ والخيل العتاق؛ وكنوز الأرزاق؛ والدم المهراق؛ فليلحق بأرض العراق، وكان الذين سكنوها آل جذيمة الأبرش؛ ومن كان بالحيرة والمحرق»[1].

وقال الدكتور حسن إبراهيم حسن: «... فسارت قبيلة ثعلبة بن عمرو نحو الحجاز؛ وانتهوا إلى يثرب... وسارت حارثة بن عمرو «وهم خزاعة» فاقتحموا الحرم واجلوا عنه سكّانه من جرهم الثانية؛ وهي قبيلة قحطانيّة قديمة من اليمن؛ وسارت عمران بن عمرو نحو عمّان فاستوطنتها وهم أزد عمان؛ وسارت جفنة بن عمرو إلى الشام ونزلوا بماء يقال له غسان فنسبوا إليه؛ ومنهم ملوك الغساسنة؛ وسارت لخم بن عدي إلى الحيرة وسكنوها؛ ومنهم نصر بن ربيعة أبو الملوك المناذرة...»[2].

هذه أقوال عابرة عن العراق والعراقيين أوردناها بإيجاز للإشارة إلى ما لهذا البلد وساكنيه من مزايا وخصائص؛ وليس غريباً أن يتعاون عاملا البيئة

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن: ٢٣/٢٠٠ ـ ٢٠١ طبعة داري الفكر والكتاب، ومجمع الأمثال: ١/٢٧٦ ـ ٢٧٧.

(٢) اليمن البلاد السعيدة: ١٠ وللكاتب الإيطالي المعروف سلفاتور أبونتي رحلة ممتعة لليمن قام بها في سنة ١٣٥٣ هجـ على عهد الإمام يحيى بن محمّد وترجمها إلى العربيّة الأُستاذ طه فوزي اسمها «هذه هي اليمن السعيدة» وأصدرتها دار الآداب في بيروت بدون تاريخ إلّا إنّها بعد قيام الحكم الجمهوري في سنة ١٩٦٢ كما يظهر من المقدمة وقد عقد الرحالة فصلا تحت عنوان «نبأ من سبأ»: ١٨٦ ـ ١٩٥ لا بأس بمراجعته. وانظر دروس التاريخ العربي من أقدم الأزمنة إلى الآن للأُستاذ محمّد عزّة دروزة الطـ ٧: ٩ ـ ١١.

والوراثة على تكوين شخصية الفرد العراقي وتزويدها بالمؤهلات والقابليات؛ وجعله نموذجاً للعربي الأصيل؛ ونحن إذا تصفّحنا التأريخ بإمعان وجدنا العراقي قد عرف بالفطنة واللوذعية والعبقرية منذ كان؛ وقصة واحدة تدلّنا على مبلغ إشتهار أبناء الرافدين منذ التاريخ السحيق بالذكاء «قال الإسكندر لأُستاذه أرسطو: لقد أعياني أهلَ العراق؛ ما أجريت عليهم حيلة إلّا وجدتهم قد سبقوني إلى التخلّص منها فلا أستطيع الإيقاع بهم؛ ولا حيلة لي معهم إلّا أن أقتلهم عن آخرهم فماذا تقول؟ فأجابه أرسطو: لا خير لك في أن تقتلهم ولو أفنيتهم جميعاً فهل تقدر على الهواء الذي غذى طباعهم؛ وخصّهم بهذا الذكاء؟ فإن ماتوا ظهر في موضعهم من يشاكلهم فكأنّك لم تصنع شيئاً»[1].

تلك قصة إن صحّت ـ فإنّها لتدلّ دلالة واضحة على ما يتمتّع به الفرد العراقي الذي تناسل من اولئك القوم وأنبتته هذه التربة الطيّبة من قديم الزمان وآلاف السنين؛ وهذا الذكاء الفطري هو الذي برز به في حلبات السباق وميادين المفاضلة، ومازه عن غيره من أبناء العرب.

وإذا أردنا أن نستعرض تاريخ الأدب العربي ونتتبع مصادره وجدنا أنّ الحيرة ـ عاصمة المناذرة ـ قد سبقت ما سواها إلى إنشاء أول مجمع للأدب الجاهلي، لأنّ النعمان بن المنذر أمر بنسخ أشعار العرب في الكراريس فنسخت له المعلقات ودفنها في القصر الأبيض بالكوفة، ولمّا وثب المختار بن أبي عبيد في الكوفة سنة ٦٦ هجـ أخبر بأن تحت القصر كنزاً فحفره واستخرج الأشعار[2] ولذلك كان أهل الكوفة أعلم بالشعر من أهل البصرة، كما أنّ النسّابة هشام ابن الكلبي

---

(١) مجلة الهلال: الـ ج ٦ المجـ ٦٢: ٨٨.

(٢) تاريخ الكوفة: ٤٤١ الطبعة الأُولى.

استخرج أخبار ملوك الحيرة عن بعض صحفهم وألّف كتابه «الحيرة» وكما أنّ الخط الكوفي قد تفرّع عن الخط الحيري المعروف قبل الإسلام[1].

مركز النجف الثقافي والأدبي :

إنّ هذا وغيره ممّا ذكره علماء الأدب لأكبر دليل على ثقافة الحيرة وأدبها وما كان فيها من تدوين وصحف وقد كانت النجف أيام التنوخيين واللخميين والمناذرة مأهولة بالسكان، وكانت الحضارة فيها قائمة، وكان سكّانها نصارى نساطرة بقيت أديرتهم إلى ما بعد الإسلام، كما كانت مأهولة عند الفتح الإسلامي أيضاً فقد وقعت فيها معارك مهمة منها ما كان عند فتح الحيرة سنة ١٢ للهجرة لأنّ خالد بن الوليد نزلها وكانت معسكراً له ووقعت بينه وبين أهل الحيرة حوادث قتل فيها بعض المسلمين من النجف[2] ولمّا تحصّن أهل الحيرة في القصر الأبيض وغيره من قصورهم نزل بالنجف وأرسل إليهم: أن ابعثوا إلى رجلا من عقلائكم فأرسلوا إليه عبدالمسيح بن عمرو بن قيس بن حيان بن بقيلة الغساني وكان من المعمرين فقاوله[3]. ولا ننسى صلة النجف الأكيدة بمراكز الثقافة فقد كانت في العصر الجاهلي جزء لا يتجزء من الحيرة عاصمة العرب قبل الإسلام يوم كانت تفد على المناذرة فحول الشعراء من أقصى نجد والحجاز، كالنابغة الذبياني زعيم

---

(١) الفهرست لابن النديم: ٧ طبعة سنة ١٣٤٨ هجـ، والمقدمة لابن خلدون: ٤١٨ ـ ٤٢٠ وغيرهما.

(٢) تاريخ الطبري: ١٢/٤، وفتوح البلدان، وغيرهما.

(٣) حياة الحيوان، مادة الحية، ومحاضرات الراغب الاصفهاني: ٢٢٥/٢، وعيون الأخبار: ٩١/٤، ومقاتل الطالبيين: ٨٣، وتاريخ الطبري: ١٩٨/٩، وشرح نهج البلاغة: ١٦٣/٣، وصبح الأعشى: ٣٣٣/٤ وغيرها.

شعراء سوق عكاظ، وصاحب المعلقة والإعتذارات المشهورة، وحسان بن ثابت الأنصاري شاعر الرسول ﷺ وغيرهما، هذا عدا من نبغ من الشعراء والخطباء الذين أنجبتهم قبائل الحيرة المشهورة كأياد والعباد.

هذا ما كان من أمر النجف في العصر الجاهلي وأوائل ظهور الإسلام، أمّا بعد الفتوح ودخول العراق في حوزة المسلمين فقد أصبحت الكوفة عاصمة الإسلام والنجف قطعة وجزء منها، ولمّا فتر المسلمون عن الحرب وسئموا كثرة القتال مالوا إلى الأدب واتّجهوا إلى الثقافة وعقد المجالس والمحافل، وقد اتّجهوا إلى ذلك بكلّهم وبالغوا فيه حتّى خاف قائدهم الأعظم الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام من استفحال الأمر وغلبة الضعف على رجولة أصحابه وجنده، فقال في إحدى خطبه: «... تركتكم عدتم إلى مجالسكم حلقاً عزين، تضربون الأمثال وتناشدون الأشعار، تربت أيديكم نسيتم الحرب واستعدادها وأصبحت قلوبكم فارغة من ذكرها..».

وهكذا كانت الكوفة موئل العلم والأدب، وملتقى الفضلاء والشعراء يزدحمون في المساجد والنوادي، وتضيق بهم مجالس المناشدة، وحلقات المفاخرة، وليس أدلّ على ذلك من تخرج المآت من النحويين واللغويين، والمحدثين والمفسرين، والأُدباء والشعراء، وغيرهم منها، ومنذ ذلك التاريخ قررت الخطط ووضعت المناهج للدراسة والتعمق في الشعر واللغة وتوسعوا في ذلك كما اعترف به كلّ من ألف في تاريخ آداب اللغة، حتّى أنّ بعضهم قد صرّح بأنّ الشعر ميراث في الكوفة، وإنّها مدرسة الثقافة التي عنيت برواية الشعر واللغة والأنساب والأيام والأخبار[1].

(١) تاريخ الكوفة للبراقي: ١٤٨ ـ ١٤٩، والشعر في بغداد للجواري: ١٧١ ـ ١٧٢ و١٧٤، ومسلم بن الوليد لتزدي: ٢٤ ـ ٢٧.

وحاضر النجف اليوم لا يختلف عن ماضيها إن لم يتفوق عليه فمعظم شعراء العرب النابهين من أبناء النجف، وفي الجيل الطالع شباب لامع سوف يؤدي الرسالة على أكمل الوجوه ويربط بعض حلقات المجد والفضيلة ببعض إن شاء الله. وقد سبق لنا التحدث عن ذلك بصورة أوسع مع التحدث عن مركز النجف العلمي فليراجعه طالب التفصيل[1].

الحاج هاشم الكعبي:

من أعلام الأدب والفضل، وشيوخ القريض وفحول الشعراء في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري والربع الأول من القرن الثالث عشر، وهو أحد شعراء الحسين المشاهير، فقد أكثر من رثائه وتفنّن في النوح عليه، حتّى عرف اسمه وذاع صيته، وحفظ الذاكرون مراثيه، وهي اليوم تتلى على المنابر في أغلب مدن الشيعة مقرونة بالإعجاب وحسن الذكر.

أسرته:

كعب ـ وتنطق بها العامة في الأرياف بالجيم الفارسية «چعب» ـ طائفة مشهورة وقبيلة كبيرة، لها فروع كثيرة وأفخاذ متعددة، معظمها في خوزستان، وهيي تشغل قسما واسعاً من أراضيها، وفي العراق ولاسيّما نواحي الغراف مآت من البيوت تنتسب إلى كعب، وكذلك في الفرات الأوسط[2] وفي النجف الأشرف

(١) ديوان السيد موسى الطالقاني، المقدمة: ١٨ ـ ٢٥.

(٢) نشرت مجلة «العدل» النجفية في هذه الآونة ـ والديوان تحت الطبع ـ «العدد ٣: ٢٦ ـ ٢٩» مقالا للأُستاذ المتتبع الشيخ حمود الساعدي تحت عنوان: «آل لطيف رؤساء قبيلة

بيوت متعددة منهم أيضاً، كان أحدها علمياً أدبياً في القرنين العاشر والحادي عشر وكان له شأن ووجاهة، ولرجاله فضل وثراء وسمعة، فقد مدحهم الشعراء النابهون في عصرهم، ولهم مقبرة معروفة ومسجد مشهور بجانبها صلّى فيه علماؤهم، وخلفهم عليه بعض أعلام آل مظفر؛ ويعرف بـ«مسجد المسابك» ـ مسابك التمر ـ وقد ذكر بعض أعلامهم العلامة المتتبع الشيخ جعفر آل محبوبة ﷺ ومن طريف ما ذكره: أنّ السيد رضا البحراني قد أثبت سيادتهم وألزمهم بشعار العلويين لشبهة انتسابهم إلى الشجرة العلوية؛ واعتماده على صخور قبور لأسلافهم بزعمه.

وليس في المراجع التي تحضرني ما يساعد على معرفة أصل الكعبيين ومرجع انتسابهم وانتمائهم، فكعب علم لعدة رجال ذكر الإمام القزويني ثلاثة

➲ كعب الفراتية» وهو بحث امتاز بالإضافة إلى فائدته ـ بالصراحة التي هي سجية كبار الرجال ـ وشهداء الحق والعلم والحرية في كل زمان ومكان حيث صرح بأنّ إدّعاء الكعبيين للنسب العلوي غير صحيح، وأيّد ما هو معروف عن السيد رضا البحراني من الوضع والتلاعب والإرتزاق بالأنساب.

ويعجبني في الأُستاذ الساعدي دقّة البحث وصدق اللهجة فالأديب الحق هو الذي لا يخدع الناس بأقواله أو يعكس حقائق الأُمور فيملأ سجل حياته بالمغالطة والمحاباة والمماحكة، كما هي الحال في كثير من أُدبائنا اليوم، وهو الذي يبدي رأيه بصراحة واخلاص فلا يضلّل ويؤارب في المسائل العلمية أو الأدبية أو الإجتماعيّة، وبذلك يدلّل على مبلغ تقدمه في الرقي وتجاوزه للدعايات الكاذبة في المسائل الأدبية التي أصبح الأجانب يعدونها من غرائزنا الشرقية.

وللأُستاذ الساعدي بحوث عن الفرات الأوسط وتتبعات فيما يخصّ البقاع والأنهار، والعشائر والأحداث؛ وقد سبق له وإن نشر قسماً منها في مجلة «الحضارة» البغدادية عام ١٣٦٤ ـ ١٩٤٥ تعقيباً على بعض البحوث التاريخية التي كتبها العلامة الشيخ محمّد رضا الشبيبي؛ ونشر أخيراً قسماً منها في مجلتي «الإيمان» و«العدل» النجفيتين؛ وهي بحوث جديرة بالقراءة.

منهم[1] أشهرهم كعب بن لوي بن غالب، أحد أجداد النبي ﷺ وأبو بطون من قبيلة قريش، منها: بنو سعد، وبنو سهل، وبنو العاص وبنو نفيل وغيرها[2]، وكعب ابن كلاب، وكعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، ويقال للأخيرين الكعبان[3] والكل جد جاهلي.

ومن تصفح «سبائك الذهب» و«جمهرة الأنساب» يجد الكثير ممّن سمّي بذلك في الجاهلية وصدر الإسلام؛ كما أنّ المتصفح لـ«معجم الشعراء» يجد الكثير منهم ممّن سمّي بذلك في الجاهلية والإسلام أيضاً وقد أنهى الأُستاذ المتضلع خيرالدين الزركلي الجاهليين منهم إلى واحد وعشرين؛ والذين أدركوا الإسلام أو ظهروا في أوائل أيّامه إلى ثلاثة عشر؛ وهم بين جد وجواد وفارس وشاعر[4].

وصاحب الديوان ليس من البيوت الكعبية التي عاشت في النجف أو في العراق وإنّما هو من القبيلة الأصليّة التي تعيش في خوزستان، والتي كانت لها الإمارة في تلك المنطقة، في الدورق والفلاحية ومقاطعة الأهواز والتي انتهت على يد الشيخ خزعل خان بن الشيخ جابر خان الكعبي في سنة ١٣٤٤ عند ما استولت حكومة ايران على المحمرة وسائر بلاد الأهواز وسمتها خوزستان[5]

---

(١) أنساب القبائل العراقية وغيرها: ١١٤، الطـ ٢.

(٢) سبائك الذهب في أنساب العرب: ٦٢.

(٣) جمهرة الأنساب: ٢٧١ ـ ٢٧٥، وتاريخ ابن خلدون: ٦/١١، وسبائك الذهب: ٤١ وغيرها.

(٤) الأعلام: ٦/٧٩ ـ ٨٦.

(٥) أعيان الشيعة: ٢٨/١٣٠ ـ ٢٣٤، والأعلام: ٢/٣٥٠ ولمزيد الإطلاع يراجع كتاب محاضرات عن الخليج والعلاقات الدولية للدكتور محمود الداود الذي أصدره معهد الدراسات العربية العالية بجامعة الدول العربية عام ١٩٦٠، ولاسيّما البحث القيم المعنون: الملاحة البريطانية في نهر الكارون وأهمية المحمرة: ٥٧ ـ ٨٤.

والغريب أنّ الذين تقربوا إلى الشيخ خزعل[1] وألفوا له الكتب من العلماء والأُدباء لم يكتبوا شيئاً عن قبائل كعب، ولم يمهدوا لذكره بالتحدث عن أُسرته وقدمها وأهميتها، فقد ألف فيه عبدالمسيح الإنطاكي صاحب مجلة «العمران» المصرية كتابه «الدرر الحسان في منظومات ومدائح خزعل خان» وألف الشيخ عبدالمجيد البصري البهبهاني «الرياض الخزعلية في السياسة الإنسانية» كما نظم له «العلوية المباركة» وشرحها الإنطاكي، وألف العلامة الأكبر الشيخ جواد الشبيبي كتابه «حياة الشيخ خزعل خان» إلّا أنّه لم يطبع[2] ولم يتصد أحد من اولئك إلى ذكر أُسرته، وقد ذكره السيد الأمين أنّ الشيخ خزعل ألف في تاريخ أُسرته كتاباً طبع ولم يقف عليه[3] ونحن لم نقف عليه أيضاً ولعلّ فيه شيئاً من ذلك، كما يحتمل أن يكون قد قصد «الرياض الخزعلية».

وقد أفاض الأديب الإيراني المعروف السيد أحمد الكسروي في: الحديث عن الكعبيين في كتابه الفارسي الذي وضعه عن تاريخ خوزستان خلال ٥٠٠

---

(١) ترجم السيد الأمين عليه الرحمة للشيخ خزعل في «أعيان الشيعة»: ٢٩/ ٢٣٠ ـ ٢٣٤ وجاء اسم أخيه الشيخ مزعل في ترجمته فرعلا وهو من أخطاء المطبعة وقد نبّه عليه السيد المؤلف في جدول الخطأ والصواب في آخر الكتاب: ٢٨٤ ولكن الأُستاذ الفاضل خيرالدين الزركلي نقل ذلك عنه على خطئه: الأعلام ٢/ ٣٥٠ ظاناً أنّه اسمه.

(٢) أنكر الأُستاذ محمّد حسين الشبيبي على الأُستاذ الزركلي ذكره لهذا الكتاب في ترجمته لوالده الجواد في الأعلام: ٦/ ٣٠٢ في ملاحظة له نشرت في مجلة (العرفان) المجـ ٤٨ الـ ج ٢: ١٩٣ ونفى نفياً باتاً أن يكون والده قد ألف كتاباً بهذا الإسم أو أنّه خطر بباله، وأنكر كلّ مدائح والده للشيخ خزعل التي نشرها الإنطاكي زاعماً بأنّ ذلك منحول. وتساءل عن مصدر صاحب الأعلام في ذلك، مع أنّه ذكر في هامش ترجمة الشبيبي من مصادرها الذريعة ٧/ ١٢٠ ولو وقف الأُستاذ على الذريعة لقرأ هنا بأنّ الكتاب موجود بخط والده العلامةالجواد عندالشيخ عزالدين الجزائري في النجف الأشرف، وهو في خمس كراريس.

(٣) أعيان الشيعة: ٢٨/ ٢٣٤.

سنة[1] حيث خصهم بالفصل الثاني منه وقد استغرق حديثه عنهم أكثر من مائة وثلاثين صفحة[2] واستعرض تاريخهم وأطواره ولاسيّما منذ أيام الصفويين حتّى أيام الشيخ خزعل خان ونهايته، ونقل عن كتاب عربي لبعض مشايخ كعب في تاريخ القبيلة سمّاه «تاريخ كعب»[3] ولم يذكر أنّه مخطوط أو مطبوع.

وقد ذكر في مستهل حديثه أنّ عشائر كعب التي في خوزستان من قبيلة خفاجة العربية المشهورة، وأنّ خفاجة كانت في أواخر القرن السادس الهجري فرعان بنو كعب وبنو حزن[4] وأنّ المصادر لم تتحدث بوضوح عن تاريخ هجرتهم ومصدرها، لولا أنّه توصل بنتيجة تتبعه إلى أنّهم هاجروا إلى خوزستان أيام كان أفراسياب باشا الديزي حاكماً[5] في البصرة وأبان سلطنة الشاه عباس الكبير.

(١) تاريخ پانصد ساله خوزستان، مطبعة مهر، سنة ١٣١٢ ش.

(٢) ١٤١ ـ ٢٧٢.

(٣) المصدر المذكور: ١١٩.

(٤) تاريخ ابن الأثير: حوادث سنة ٥٦٨ وفيه أنّهم كانوا قطاع طرق ولصوصاً يعيشون على سلب الناس.

(٥) آل أفراسياب حكام البصرة في القرن الحادي عشر الهجري وما بعده، لهم ذكر في بعض كتب التاريخ، وقد مدحهم شعراء عصرهم، كما ذكرهم غير واحد من الرحالة الأوربيين وأشهرهم علي باشا بن أفراسياب، وقد جاء في فهرست مخطوطات فينا «المطبوع سنة ١٨٦٥»: ١/٤٨٠ «في وصف مخطوط رقمه ٤٩٠» ما نصّه: «علي بن أفراسياب أحمد بن فرخشاد بن أفراسياب بن سنادست التركي المعروف بعلي باشا ابن أفرسياب ولعلي باشا نظم قصائده عبد علي بن ناصر الحويزي المشهور بابن رحمة».
وفي التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية ط ٢: ٢٧٢ ـ ٢٧٣ أنّ علي باشا خلف أباه في سنة ١٠١١ او ١٢ هجـ «١٦٠٢ أو ٣ م» وبقي حاكماً في البصرة حتّى وفاته في سنة ١٠٥٧ «١٦٤٧» وفي خلاصة الأثر: ٢/٤٢٧ في ترجمة الشيخ عبد علي الحويزي قصيدة في مدح علي باشا وفيها يستأذنه بالحج؛ وفي رحلة تافرنية: ١/٢٤٨ طبعة ١٧١٨ بمرور

كان الكعبيون من أنصار أفراسياب ودعاته، ومحبيه وأعوانه، ولذلك نقلهم من العراق وأسكنهم قبان وخصهم بخوزستان وجعلها منازل ومساكن لهم لسببين: الأول مكافأتهم بهذه المنطقة الخصبة التي تطيب بها السكنى وتحسن المعيشة، والثاني جعلهم على حدود البصرة لحفظ الثغر له والمرابطة على الحدود لرد غائلة العدو وصد هجمات الغزاة، وقد حققوا ظنّه ووفوا له، فعند ما استولى الشاه عباس على العراق وفتح بغداد كان موقف الشيخ بدر بن عثمان رئيس كعب يومئذ مشرفاً من علي باشا ابن أفراسياب، فعند ما أمر بتسليم نفسه إلى إمام قليخان أُسوة بغيره أجاب بأنّه ما زال علي باشا حيّاً فإنّه لن يسلم.

وتوفي في الأثناء الشاه عباس فتنفس علي باشا الصعداء وانتصر على محاربيه، وقدم الشيخ بدراً أكثر من قبل، وألقى القبض على عماله الذين استسلموا لخصمه وانضموا إلى أعدائه فسلمهم للشيخ بدر وأمره بقتلهم، فحجزهم

➲ صاحبها بالبصرة يروي ضرب السكة لحاكمها حسين باشا من هذا البيت وقد كان اجتيازه بها عام ١٦٥٢ ـ ١٠٦٣ هجـ «عن هامش مقال للأُستاذ المحقق المعروف المرحوم يعقوب سركيس عن حكيم زاده البغدادي مع تصرف يسير: مجلة الإعتدال النجفية السنة ٥: ١٥١».

أقول: وللشيخ فتح الله بن علوان الكعبي الدورقي رسالة مختصرة سمّاها «زاد المسافر في واقعة البصرة» طبعت في ٥٦ صفحة ـ كما في جامع التصانيف الحديثة: ٤٦/١ وقد شرح فيها ما جرى لحسين باشا حاكم البصرة ووالياها ابن علي باشا ابن أفراسياب الديزي عند فتح العثمانيين لها وانتزاعها من أيدي آل أفراسياب، وفراره بعياله إلى الهند في سنة ١٠٨٨ هجـ ـ كما في الذريعة: ٨/١٢ وأعيان الشيعة: ٢٦٠/٤٢ ـ وللوقوف على تفصيل الواقعة يراجع «تاريخ البصرة» للأُستاذ على ظريف الأعظمي: ١٢٥ و«العراق بين احتلالين» للأُستاذ العزاوي وغيرهما، والغريب أن يغفل ذكرها الأُستاذ الشيخ عبدالقادر باش أعيان العباسي في كتابه: «البصرة في أدوارها التاريخية» ولعله أرجأ التفصيل إلى كتابه «البصرة العظمى» الذي أشار إليه في المقدمة.

بدر واسترضى علي باشا ورجاه أن يعفو عنهم ويتركهم أحياء، ونظم قصيدة مدحه فيها وشفع لهم فنزل عند رغبته وعظم بدر في عينه فأكرمه وأقطعه الجزائر وظلّت تحت تصرفه حتّى أيام حسين باشا ابن علي باشا.

وتقلبت الأيام فهوجم حسين باشا وهرب وضعفت شوكة الكعبيين وتضاءلوا وغمروا بعض الوقت وهاجر معظمهم إلى بندر معشور فلم يقدروا على العيش فيه لشدة المجاعة فعادوا إلى قبان، وتفرق بعضهم في البلدان، وتبدلت عاداتهم وأخلاقهم خلال تلك الفترة وتأثروا بجيرانهم المشعشعين وجوار فارس، وأصبحوا يختلفون كلّ الإختلاف عن سلفهم الخفاجيين من رجال الشر وعصابة السوء، وتخلصوا تماماً ممّا اتّصفوا به من لصوصية ومساوىء أخلاقية وعيوب، واتّجه بعضهم إلى الفضائل والتحلي بالعلم والمعرفة فظهر بينهم أفراد نالوا حظاً من الفضيلة كالشيخ علوان الكعبي، وولده الشيخ فتح الله الكعبي[1] الذي درس سنين طوالا في شيراز ثمّ ولي قضاء البصرة. وتشيّعت القبيلة في تلك الفترة متأثرة بالجوار وغيره بعد أن لم يكن لها عهد بالتشيع من قبل.

وفي سنة ١١٠٦ حدث في البصرة ونواحيها طاعون جارف أهلك الألُوف وخرب الديار[2] ودخل قبان فأفنى معظم أهلها فتولى الحكم فيها علي بن ناصر ابن محمّد فقتلته كعب، فحكم بعده أخوه عبدالله بن ناصر فقتل أيضاً، فحكم سرحان ورحمة بالتوالي فقتلا أيضاً. وفي سنة ١١٣٥ حكم الشيخ فرج الله الكعبي

---

(١) له ترجمة في أعيان الشيعة: ٤٢/٢٦٠.

(٢) كتبنا عام ١٣٨٠ ـ ١٩٦٠ حديثاً للإذاعة العراقية عن طواعين العراق أُذيع من راديو بغداد، ثمّ أضفنا له خلال هذه المدة ما جدّ لنا من معلومات وما اطلعنا عليه في المصادر المطبوعة والمجاميع المخطوطة فأصبح كتيباً يقرب من ثمانين صفحة سمّيناه «أثر الطواعين في القضاء على التراث العلمي والأدبي في العراق» وقد نوفق لنشره قريباً.

وكان ذلك في عهد سلطنة نادر شاه في إيران، وفي سنة ١١٤٦ ثار محمّد خان بلوج وتحت لوائه أعراب تستر وخوزستان فنهض الكعبيون بوجهه وظهروا على مسرح التاريخ الفارسي من جديد بعد أن خبأ نجمهم واختفوا ردحاً من الزمن، واتجهوا إلى الدورق، فهبط نادر شاه خوزستان من أجل ذلك وبعث محمّد حسين خان القاجاري لإخضاع آل كثير وكعب فحاصر جيش كعب في قبان وأعادها إلى إيران بعد أن ظلّت تحت حكم ولاة البصرة «١٤٠» عاماً وظلّ الكعبيون يخضعون لإيران ويتظاهرون بالولاء لحكومتها إلّا أنّهم كانوا يمدّون يد المساعدة لحكّام البصرة باسم الجوار؛ ولمّا وقعت الحرب بين شيخ المنتفك وحاكم البصرة عام ١١٤٧ كان الكعبيون تحت لواء الشيخ فتح الله يحاربون إلى جانب حاكم البصرة.

وبعد الشيخ فرج الله رأس كعب الشيخ طهماز إلّا أنّ رئاسته لم تدم أكثر من سنة حيث برز الشيخ سليمان الكعبي وأخوه الشيخ عثمان منافسين قويين له وشاركاه في زعامة كعب، وفي سنة ١١٥٠ قتل وخلفه ولده بندر على حصته من الزعامة ولم تطل مدته أكثر من شهرين حيث ألحقه سليمان بأبيه واستقل بالزعامة مع أخيه عثمان. وفي سنة ١١٥٦ بعث نادر شاه الخواجة خان السردار لمحاصرة البصرة فانضمّ إليه الشيخ سلمان بعشائره وتمكّن من الحاق كردلان بالقرب من شط العرب إلى إيران وضمّها إليها.

وفي عام ١١٦٠ قتل نادر شاه وكان الكعبيون يومئذ في قبان، لكونهم كانوا منذ حين يحملون بالإستيلاء على الدورق ويأملون أنّ يحكموها في يوم من الأيام إلّا أنّهم كانوا يخشون صولة السلطان نادر شاه وينتظرون موته، ولمّا بلغهم نبأ قتله تحركوا إلى جهة الدورق بعوائلهم وأثاثهم ودوابهم إلّا أنّهم لمّا لم يتأكدوا من صدق الخبر بعد فقد توقفوا في محل يدعى بـ«شاخة الخان» حتّى وصلت

الأخبار مؤيدة قتله فواصلوا السير حتّى دخلوا الدورق وهاجموها وأخرجوا جموع الأفشار الذين كانوا يقطنونها وكان ذلك في زمن الشيخ سليمان وقيادته.

وقد كان الشيخ سليمان على جانب كبير من اليقظة والدهاء، والحزم والكياسة، فقد وثق علاقاته بالجيران وبادلهم الحب والإحترام، وسار في عشايره سيرة حسنة حببته إلى الجميع، وكون اقتصاديات ومداخل تتناسب وطموحه وصنع السفن وأجراها في شط العرب وكارون والخليج، وبلغت كبارها عشراً وصغارها ثمانين وكانت تبحر وتقطع المسافات وتختلف إلى البلدان، وأظهر مقدرة فائقة على الحكم، وقد ساح المستر نيبور الألماني في خوزستان والعراق يومئذ فكتب عنه وأثنى عليه، كما أثنى مؤلف «تذكرة تستر» على عدله واستقامته واستتباب الأمن في وقته. ومن مآثره العمرانية الكثيرة تجديده إعمار الفلاحية واتخاذها مركزاً له بعد أن كان قومه قد اتخذوا الدورق مركزاً، فقد عمّرها ووسّعها وقطنها وبقيت مركز حكم الكعبيين بعده، وهجرت الدورق حتّى تلاشت تدريجاً ولم يبق منها سوى الأطلال، وقد خلعت قبائل كعب عام ١٣٣٣ هجرية رؤساءها ونصبت غيرهم، وغارت عساكرهم على الفلاحية للنهب والقتل[1].

واستمرّ حكم آل كعب في الفلاحية وتوارثوه خلفاً عن سلف، وثبتوا أمام أقوى الحملات وأعظم الغارات، فقد دخلوا معارك مع القاجاريين والزنديين وولاة آل عثمان في العراق، لكنّهم كانوا في معظم ذلك أقوى من الخصوم وأقدر على المقاومة، وقد تقلبت بهم الأيّام فقضوا دهراً بين علو وهبوط وكر وفر حتّى افل نجمهم بالقضاء على الشيخ خزعل بتلك الصورة المزرية عام ١٣٤٤ هجـ ودخول المنطقة تحت حكم الدولة الإيرانية.

---

(١) معارف الرجال: ١/ ٣٤٠.

هذا عرض موجز لتاريخ قبائل كعب في خوزستان، ومن شاء التوسع فيه والوقوف على تفصيل كلّ ما جرى فعليه بالرجوع إلى بعض كتب تاريخ إيران الفارسية كـ «نزهة القلوب» للمستوفي، «ومنتظم ناصري» لصنيع الدولة، و«تاريخ الزندية» لمحمّد صادق نامي، و«ناسخ التواريخ» لسپهر وغيرها وفي «رحلة اللورد كرزن» ما يتعلق بالمقام ويعين الباحث على ضالّته، ولكن كتاب الكسروي المذكور الذي رجعنا إليه في كتابة هذا الفصل من أحسن المصادر وأوثقها على اختصاره.

هجرته إلى كربلاء:

من الغريب ـ والمؤسف ـ جدّاً أن تخفى على الباحثين والمؤلفين سيرة صاحب الديوان وخصوصيات أحواله مع شهرته الطائلة وقرب عهده منّا بالنسبة للأقدمين، فلم يمض على وفاة الكعبي إلّا قرن ونصف تقريباً ومع ذلك فإنّنا نجهل من أحواله ما نعرفه عن كثير من الذين عاشوا قبله قروناً وقروناً، ولعلّ السر في ذلك يكمن في أنّه لم يبرز من بيت علم ومعرفة أو أنّه لم يختم حياته في إحدى حواضر العلم ومدن الثقافة ليضبط تاريخه بدقة وتدون أخباره بالتفصيل، على أنّنا نجد الكثير ممّن يشبهه في حياته وخاتمته وقد دوّنت سيرهم وحفظت آثارهم ومآثرهم إلّا أنّ صاحب الديوان قد حرم ذلك، ولولا تصدّي البعض من أُدبائنا لتدوين شعره وحفظه لضاع أيضاً كما ضاعت المآت بل الألوف من الدواوين والمؤلفات.

لقد تعرض لذكر الحاج هاشم عدد من المؤلفين والمؤرخين إلّا أنّنا لم نجد من هؤلاء من أشار إلى تاريخ هجرته إلى العراق ومدة دراسته ومبلغ ما وصل إليه من درجة الفضل، ومن هم مشايخه الذين أخذ عنهم بل مر معظمهم بذكره مرّ

الكرام مكتفياً بذكر شاعريته وشهرة مراثيه كما لم يذكر أحد منهم من نسبه وأجداده أكثر من أبيه حردان، وكلّ الذي نعرفه عن أسباب وكيفية هجرته إلى العراق، ودوافعه لطلب العلم قصة يتناقلها المعمرون من رجال العلم وشيوخ الأدب، وقد نقلها لي الحجة المتضلع الشيخ محمّد السماوي ﷺ[1] فقال:

---

(١) من عباقرة العلم ونوابغ الرجال، وأعلام الفكر وأساطين الفضل وشيوخ الأدب، كان مجتهداً في الفقه والأُصول، حجة في الكلام والحكمة، أجازه في الإجتهاد نفر من أئمّة العلم وشيوخ الرأي إلّا أنّ شهرته في الأدب والتاريخ والشعر قد غطت مكانته العلمية وأسدلت عليها الستار.

ومن الغريب ـ والمؤسف حقّاً ـ أن يعمد بعض أُدباء النجف إلى تعريته من كل فضل ومعرفة، ونسبته للحاجة إلى فهم الشعر وتخريج أساليبه ـ أدب المرتضى من سيرته وآثاره: ١٥٦ ـ وإذا كان السماوي لا يجيد فهم ما يقرأ من الشعر فعلى الشعر والأدب السلام.

لست هنا بصدد الدفاع عن السماوي، فهو كأيّ إنسان آخر له محاسنه ومساوئه إلّا أنّ محاسنه تربو على مساوئه كثيراً، وخدماته للأدب والتاريخ والعلم كبيرة، كما أنّ شيخوخته الصالحة وما كان يتمتع به من طيب القلب وسلامة الذات امور كان يجب أن تذوب في قبالها مساوئه وتنسى: فالمفروض في الإنسان أن يتغلب ويطغى عنصر الخير فيه على عنصر الشر والحسن على القبح، وإلّا فليس ثمة إنسان معصوم «وكفى المرء نبلا أن تعد معايبه».

توفي في الثاني من محرم سنة ١٣٧٠ وبقي مكانه شاغراً ينتظر من يسده ـ ولن يسد ـ وكنت ممّن أرّخ وفاته أداء لبعض حقّه، فقد سبق له وأن أرّخ ولادتي ووفاة جدّي وبعض أعلام أُسرتي، والتاريخ قولي:

قضى السماوي عميد الحجى ... محمّد من شبهه قلّا
من قطع العمر بجدّ لذا ... كان لتقديس الورى أهلا
سعى لنشر العلم دوماً كما ... إلى العلى قد سلك السبلا
خلّد آثار رجال مضوا ... وللنهى قد جمع الشملا
قد رزء الفضل وأربابه ... به وأضحى الدمع منهملا
والنجف الأشرف من لوعة ... أرختها «باتت به ثكلى»

«كان الحاج هاشم الكعبي في إبان شبابه يعمل كاتباً عند أحد رؤساء قبيلته ـ كعب ـ في الدورق، واتفق أن غضب عليه صاحبه لسبب ما، فاعتدى عليه وأغلظ له في القول بشكل جرح فيه عاطفته وخدش كرامته وأثاره، فردّ عليه بالمثل وكال له صاعاً بصاع ونفر من العمل وصمّم على تركه مع أي إنسان، وقال لصاحبه: سأغادر الدورق إلى العراق وأتخصص في علوم الدين لأصبح عالماً وأضطرك إلى تقبيل يدي بدل هذه الإهانة. ثمّ غادر إلى كربلاء فسكنها سنين طوالا، لازم خلالها أبحاث مدرسي عصره وعلماء وقته وانكبّ على التعلّم باذلاً جهده في الإستفادة والتزوّد من المعرفة، وكانت أنباء اشتغاله بطلب العلم ومواصلته بذل الجهد قد بلغت قومه فأثلجت صدورهم وجعلتهم يواصلون الإستفسار عنه والالتقاط لأخباره، واصبحت للكعبي في كربلاء وبين أهل الفضل والمشتغلين في المعاهد العلمية مكانة مرموقة وسمعة حسنة، وبعد أن نال حظّاً من العلم وأحسّ في نفسه الكفاءة قفل راجعاً إلى بلاده وكان اسمه قد سبقه إليها فقوبل بحفاوة بالغة وجرى له استقبال مهيب، وكان صاحب القصة مع الكعبي في زمرة الإستقبال، وقد انهال على يد الكعبي فقبّلها أُسوة بغيره من المستقبلين، ممّا دعا الكعبي أن يذكره ـ مداعباً ـ بالوعد الذي ساعدته الأيّام على تحقيقه».

تلك حادثة تناقلتها الألسن وتداولها الناس حتّى بلغت حدّ التواتر وقد سمعتها من معمر آخر هو المرحوم الشاعر الكبير الشيخ عبدالحسين الحويزي المتوفى في سنة ١٣٧٧ هجـ فقد نقلها مرة لبعض أهل الفضل في كربلاء وأنا في مجلسه. هذا كل ما سمعناه من مشايخنا عن هجرته وأسبابها، أمّا متى كانت هذه الهجرة؟ وهل أنّه هبط النجف ودرس فيها أو اقتصر على لقاء علماء كربلاء؟ وما هو مقدار ما بلغه من الفضل في دراسته لعلوم الدين؟ ومتى عاد إلى بلاده؟ فتلك أُمور لم نزل نجهلها، ولم نجد أحداً من مترجميه قد تعرّض لذكرها أو أشار إليها من قريب أو بعيد.

مشايخ الكعبي وأساتذته :

لم نعرف أحداً من مشايخ الكعبي غير أنّ هجرته كانت على عهد الإمام الحجة الكبير الشيخ يوسف البحراني صاحب «الحدايق» المتوفى سنة ١١٨٦ ويستبعد للغاية أن يكون قد قرأ عليه أو استفاد منه وهو مبتدىء، وربما تتلمذ على غيره من آل عصفور أو غيرهم من علماء الأخبارية الذين كانوا في كربلاء يومئذ، وممّا لا شك فيه أنّه لم يتعد إلى غيرهم فقد كان الخلاف والتنافر والتناحر قد بلغ غايته في كربلاء يومذاك بين الأُصوليين والأخباريين، والكعبي أخباري لما صرّح به في قوله:

وبرئت يا ربّاه من تقليدهم والإجتهاد[1]

ومن غير الممكن أن يتركه قومه وشأنه ليختار المدرس الذي يرغب فيه والكتاب الذي يعجبه، مخافة أن يقع في يد أُصولي فيحرفه عن طريقته، ولما انجرّ الكلام بنا إلى ذلك فلا بأس بذكر نبذة عن الأخباريين وخلافهم مع الأُصوليين.

الأخباريون والاصوليون :

الأخباريون فرقة من الشيعة الإمامية الإثنا عشرية، اختلفوا مع الأُصوليين في موارد أهمها إسقاط دليلي الإجماع والعقل من الأدلّة الأربعة المذكورة في أُصول الفقه، والتي يعتمدها الفقيه في إستنباط الأحكام الشرعية. فقد اقتصروا على الكتاب والخبر ـ السنة ـ وأوجبوا العمل بالنصوص، والإحتياط في الشبهات الإبتدائية التي لم يسبقها علم إجمالي بالتكليف، وقد نسبوا إلى الأخبار لإيجابهم

(١) الديوان: ٩٣.

العمل بها وعدم تجويزهم الرجوع إلى البراءة الأصلية عند فقد الخبر والنص، ولذلك سمّوا بالأخبارية والأخباريين.

وهم يمنعون الإجتهاد في الأحكام الشرعية ومن تقليد المجتهد، ويقولون بالرجوع إلى الإمام بالرجوع إلى الأخبار المروية عنه، ويعملون بكلّ الأخبار الواردة عن النبي وأهل بيته ﷺ، ويرون بأنّ ما في الكتب الأربعة التي عليها المدار عند الشيعة ـ الكافي، ومن لا يحضره الفقيه، والتهذيب، والإستبصار ـ وغيرها قطعي السند أو موثوق بصدوره، فلا حاجة إلى البحث عن سنده، لأنّ جامعيها قد انتقوا الأخبار وحذفوا منها ما رواه الضعفاء والمجروحون، وأثبتوا ما رواه الثقات فقط أو قامت القرائن عندهم على صحته، بينما يرى الأُصوليون الرجوع إلى البراءة الأصلية في الشبهات الإبتدائية عند فقد النص ولا يوجبون الإحتياط عند الشك في التحريم ولو مع عدم سبق العلم الإجمالي كما يفعله الأخباريون، وقد قسموا الأحاديث إلى أقسامها المعروفة عندهم من الصحيح؛ والحسن، والموثق، والضعيف، والمرسل، وغيرها وهم يرون بأنّ أغلبها غير قطعي السند وإنّها مختلفة المراتب وهي لذلك ظنيّة الدلالة فيجب على الفقيه أن يبحث عن أسانيد الرواية عند العمل بها؛ ولا يسوغ له العمل بكلّها والحكم بصحّتها؛ إذ لو سلمنا بأنّ جامعيها قد انتقوا أحاديثها كما يقول الأخباريون فهم قد فعلوا ذلك بحسب اجتهادهم وهو ممّا يجوز عليه الخطأ؛ فإذا بان لنا الخطأ برؤية أسانيد الضعاف والمجروحين فما الذي يسوغ لنا تقليدهم؟

ولمّا كان الأخباريون ينكرون الإجتهاد فقد نفوا الحاجة إلى تعلم علم الأُصول زاعمين بأنّه من وضع غيرنا؛ بينما كان الشيعة أسبق فرق الإسلام إلى الأخذ بأصول الفقه في إستنباط الأحكام؛ فقد أملى الإمام الباقر ﷺ المتوفى سنة ١١٥ هجـ بعضها وأملى الصادق ﷺ المتوفى سنة ١٤٨ على تلميذه هشام بن

الحكم الشيباني الكوفي المتوفى سنة ١٧٩ هـ بعض مبادئه كمبحث الألفاظ؛ وقاعدة العمل عند تعارض الدليلين؛ ومنهج القول في التعادل والتراجيح؛ وغيرها. وقد وضع هشام كتاباً في ذلك[١] وهو أسبق ممّا حرّره الإمام الشافعي المتوفى سنة ٢٠٤ بعشرات السنين، وقد جمع الشيخ الحر القواعد الكلية المروية عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام في كتاب خاص[٢] فما ذكره أبو نعيم من أنّ الإمام الشافعي أوّل من وضع كتاباً في أُصول الفقه سمّاه «الرسالة» غير صحيح[٣] كما أنّ قول بعضهم «بأنّها أصول سبق لأئمّة أهل السنّة أن حرروها وبحثوها ولم يكن للإماميّة فيها نصيب»[٤] غير صحيح أيضاً.

ولا مناص لمن يريد الإجتهاد من معرفة علم الأُصول[٥] فالفقيه يحتاج إليه لمعرفة الأحكام الشرعية سواء أقال بصحة الأخبار كلها أم لم يقل فإنّ القول بصحتها لا يغنيه عن معرفة قواعد الأُصول، فهل يجوز مثلاً استعمال المشترك في أكثر من معنى؟ وهل يجوز استعمال اللفظ في معناه الحقيقي والمجازي؟ وهل أنّ الأمر للوجوب والنهي للتحريم؟ وهل يمكن اجتماع الأمر والنهي في شيء واحد شخصي؟ وهل يقتضي الأمر بالشيء النهي عن ضدّه؟ وهل وهل...؟ إلى غير ذلك من المسائل التي يفتقر إليها الفقيه.

وقد أنهى السيد محمّد الدزفولي الفروق بين الأخباريين والأُصوليين إلى

(١) الشيعة وفنون الإسلام: ٥٦ ـ ٥٧، وتأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: ٣١٠، وأعيان الشيعة: ٢٤٢/١ وغيرها.

(٢) الفصول المهمة في اصول الأئمة طبع للمرة الثانية في المطبعة الحيدرية عام ١٣٧٨ هـ.

(٣) حلية الأولياء: ٩١/٩ ـ ١٠٤.

(٤) أدب المرتضى من سيرته وآثاره: ٥٧.

(٥) لمزيد الإطلاع يراجع الفصل السابع من الإجتهاد والأخبار لمؤسس الحجة الشيخ محمّد باقر الوحيد البهبهاني المطبوع في ايران عام ١٣١٤ هـ.

ستّة وثمانين[1] والمتتبع الفاحص يجد معظمها تافهاً ومتشابهاً في الغالب وقد عمد بعض علماء الأخباريين إلى نفشها وتصنيفها وتبويبها لتضخيم الموضوع وتهويله وتوسيع شقة الخلاف بين الفريقين، وإظهار الفوارق كثيرة وكبيرة أمام عوامهم ليبأسوا من الإلتقاء ويحرموا الصفاء.

وقد أنهاها الشيخ عبدالله السماهيجي إلى أربعين فرقاً، ذكر منها الخوانساري تسعة وعشرين وقال: إنّ البقيّة ترجع إليها[2] ونقلها عنه العلّامة الجليل السيّد محمّد صادق آل بحر العلوم[3] ولخّصها الإمام الحجة السيّد محسن الأمين في خمسة وقال: إنّ الباقي راجع إليها[4] وقد خصّ الفقيه الإمام الجليل الشيخ يوسف البحراني الفائدة الثانية عشرة في الفرق بين الأخباري والأُصولي[5] كما أفاض في القول عنه في كشكوله[6] وللملّا محمّد أمين الأسترابادي بحث واف في الموضوع أيضاً[7] وهناك مصادر قيّمة أُخرىٰ لمن يبغي التوسع والإستزادة.

إنّ نقاط الخلاف بين الأخباريين والأُصوليين ـ وإن كان بعضها أساسياً ومهما ـ لا تستحق ما جرت إليه من تباعد وتطرف، ولا تسوغ بوجه من الوجوه ما اتهم به كلّ منهما الآخر، وما تبادلاه من تراشق وسباب؛ فقد كثر النقاش بين القدماء في ذلك وطال الجدال، وتعددت التآليف؛ وكتب كلّ فريق ما يؤيد مسلكه ورأيه ويفند ما ذهب إليه خصمه لكن ذلك لم يتعد طور المناظرة العلمية الرزينة

(١) فاروق‌الحق مختصر طبع في هامش الحق المبين لكاشف الغطاء في ايران عام ١٣١٦ هـ.
(٢) روضات الجنات: ١/٤٦.
(٣) دليل القضاء الشرعي اصوله وفروعه: ٣/٢٢ ـ ٢٦.
(٤) أعيان الشيعة: ١٧/٤٥٣ ـ ٤٥٨.
(٥) الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة: ١/١٦٧ ـ ١٧٠.
(٦) كشكول الشيخ يوسف البحراني: ٢/٣٨٦ ـ ٣٨٩ طبعة النجف.
(٧) الفوائد المدنيّة: ٤٧ ـ ٤٨.

والنقاش الموزون، ولم تؤد الحال إلى طعن كل فريق بصاحبه أو الإزدراء والتشهير به، إذ كان غرض الجميع الوصول إلى الحقيقة المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فهي ضالّتهم المنشودة وهدفهم الأسمى، فاختلاف الرأي في الموضوع الواحد لا يوجب سوء الظن والطعن ما زال كلا الجانبين يدرك غاية صاحبه ويعرف قصده، فالحق رائد الكل كما يعترف به الكل، والمطلوب واحد وإن اختلف الرأي وتعدد المنهج، وكلا الفريقين مشكور على تحرجه في الدين، محمود على تحريه وجه الصواب، مأجور على تمسّكه بالسنّة والكتاب، وقد شرح فقيه أهل البيت الإمام الزعيم الشيخ جعفر كاشف الغطاء حقيقة مذهب الطرفين، وأنّ عقائدهما في أُصول الدين متحدة سواء، وفي فروع الدين يرجع الجميع إلى ما روي عن الأئمّة عليهم السلام، فالمجتهد أخباري والأخباري مجتهد وفضلاء الطرفين ناجون والطاعنون هالكون[1].

وممّا يؤسف له حقّاً أنّ بعض المتأخرين من الفريقين قد أفرط في الطعن وأوغل بالتنابز، وابتعد عن الروح العلمية، ونبذ مسلك القدماء في المحافظة على آداب المناظرة، بل وآداب الشرع المطهر، هذا وهم أهل مذهب واحد فضلاً عن الدين والكتاب والقبلة، وإنّ الطعن في الأخباريين والتطاول عليهم ممّا لا يسوغه العقل والشرع، لاسيّما وأنّ معظم علمائنا القدماء وسلفنا الصالح كان على طريقتهم، وقد توقف الخوانساري في توثيق ابن أبي جمهور الإحسائي[2] فردّه الإمام العلم الأكبر الحسين النوري بأدلة واضحة وبراهين ساطعة مبيناً بأنّ عدم توثيق الأخباريين يعطل ثروة علمية كبيرة[3].

(١) الحق المبين في تصويب المجتهدين وتخطئة جهّال الأخباريين، طبع طهران سنة ١٣١٦ هـ.

(٢) روضات الجنات: ٦٢٦.

(٣) مستدرك وسائل الشيعة: ٣/٣٦٢ ـ ٣٦٣.

وقد نشط الأخباريون في كربلاء في النصف الثاني من القرن الثاني عشر، وتطرفوا وأوغلوا في الإزدراء بالأصوليين، حتّى إنّنا سمعنا من بعض مشايخنا الأعلام وأهل الخبرة والإطلاع على أحوال العلماء منهم أنّ بعض فضلائهم كان لا يلمس مؤلفات الأُصوليين بيده تحاشياً من نجاستها وإنّما يقبضها من وراء بعض ملابسه، وقد تصدّى الإمام المحقق المؤسس الرئيس الديني الكبير في كربلاء الوحيد البهبهاني المتوفى سنة ١٢٠٥ هـ إلى حد نشاطهم وكسر شوكتهم وإعادتهم إلى صوابهم[١] وقد ورد صاحب الديوان إلى كربلاء في أوج عظمة قومه وجبروتهم وربما كان بعض تلك التصرفات السبب لكثرة الرد عليهم في القرنين الأخيرين، فقد أحصى الإمام الحجة الشيخ آغا بزرك الطهراني سبعة ردود[٢] كلها قد أُلف بعد تلك الحملة المتطرفة، ولاسيّما بعد ظهور الميراز محمّد الأخباري المشهور وتطرفه وكثرة انتقاداته للعلماء وتطاوله عليهم وشتمه لأساطين الدين وعظماء المذهب واستعماله لبذيّ القول ومرذوله[٣]، الأمر الذي أدّى إلى وقوف العلماء قاطبة بوجهه وانتهاء القصة بمقتله مع كبير أولاده في الكاظمية سنة ١٢٣٢ هـ وموقفه مع شيخ الشيعة بوقته وكبير زعماء الدين في النجف الشيخ جعفر

(١) تنقيح المقال: ٢/٨٥، وأُستاذ كل وحيد بهبهاني: ١٠٠ وغيرهما.

(٢) الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ١٠/١٨٢ ـ ١٨٣.

(٣) ردّ المرزا محمّد: على كتاب الحق المبين المذكور الذي ألّفه كاشف الغطاء في الدفاع عن الأخباريين والمنع من التطاول عليهم بكتاب أسماه «الصيحة بالحق على من ألحد وتزندق» هكذا كان الأخباري يرد ويناقش ويخاطب الأساطين، راجع الذريعة: ٧/٣٨ ومن فضائحه نسبة القول بجواز اللواط إلى السيّد محسن الأعرجي صاحب المحصول، ونسبة أمثال ذلك إلى القمي صاحب القوانين، والطباطبائي صاحب الرياض وغير ذلك، راجع أُستاذ كل وحيد بهبهاني: ٢٥١.

كاشف الغطاء مشهور[1] ممّا حدا به إلى تأليف كتاب في الرد عليه أسماه «كاشف الغطاء في معايب المرزا محمّد الأخباري عدوّ العلماء» وأرسله إلى السلطان فتح علي شاه القاجاري وكان الأخباري قد اعتصم به في إيران، دلّه فيها على فساد عقيدته، ومن يقف على الرسالة يتّضح له خبث الرجل وعدم تورّعه في الدين وخروجه على الشرع[2] وقد خفت تلك الحدة بمرور الزمن، غير أنّه حدثت بعد ذلك معركة قويّة بين الجانبين في البصرة عام ١٣٤٨[3] وبقي التطرف في الرأي لدى بعض المعاصرين سائداً، يقول الشيخ فرج آل عمران القطيفي:

يفتقر الفقيه للأُصول محدثاً يكون أو أُصولي
ومن يقل إنّ الأُصول مبتدع فليزم اجتنابه وإن نفع[4]

ومن التناقض الواضح أنّ هذا القائل صاحب رسالة في وحدة الفرقتين[5].

هذه نبذة موجزة عن الأخباريين ونظرتهم إلى الأخبار وبما أنّ هناك بعض وجوه الشبه بينهم وبين بعض فرق إخواننا أبناء السنة، ولاسيّما نظرتهم إلى الصحاح الستة ناسب أن نذكر مختصراً عن وجهة النظر العامة إلى الأحاديث الشريفة لدى الشيعة والسنّة ـ وهو حديث سبق وإن علّقناه على كلمة لأُستاذنا الإمام شيخ محدّثي الإماميّة الشيخ آغا بزرك الطهراني حفظه الله حول «الكافي» نشرت عام ١٣٨٠ هـ[6] ـ فنقول:

---

(١) طبقات أعلام الشيعة: ٢/٢٥٠، وأعيان الشيعة: ١٥/٤٢٠ ـ ٤٢٥، وماضي النجف وحاضرها: ٣/١٣٧ وكثير غيرها من المصادر العربية والفارسية.

(٢) روضات الجنات: ١/٥٢.

(٣) شعراء الغري: ١٢/٥٠٧.

(٤) مرشد العقول إلى علم الأُصول: ٢.

(٥) الأُصوليون والأخباريون فرقة واحدة، المطبعة الحيدرية في النجف ١٣٧٣.

(٦) مجلة المعارف ـ للكاتب ـ العدد ٢ و٣ من السنة ٢: ٢٣ ـ ٢٩.

الحديث بين الشيعة والسنة :

يتلخص الفرق بين علماء الشيعة والسنة في النظر إلى الأحاديث وأهميتها بالنسبة لما يتفرع عن الدليلين الأصليين الكتاب والسنة، اللذين هما مصدر الحكم الشرعي عند الفريقين، فقد أضاف علماء الشيعة الإجماع والعقل، وأضاف علماء السنة الإجماع والقياس، فالحكم الشرعي الذي يستنبطه عالم كل من الفريقين هو نتيجة الأدلة الأربعة ووليدها.

وقد تميز رجال الشيعة بفتح باب الإجتهاد الذي أدرك رجال القانون والفقه المعاصرون أهميته وضرورته[1]، وهم من أجل ذلك لا يكتفون بتصحيح الخبر من قبل غيرهم من علماء اللف، ويعتبرون الإكتفاء تقليداً لذلك الغير في سند الحديث كما هو تقليد في مضمونه ودلالته، ولذلك لم يضعوا كتاباً خاصاً يجمع صحاح الأحاديث كما هي الحال عند علماء السنة الذين حصر الإجتهاد عندهم في المذاهب الأربعة وغلقت بابه واضطروا إلى الوقوف عند آراء أئمة المذاهب، لأنّ وضع كتاب يخصّ صحاح الحديث يكون محكوماً بصحته بالنسبة إلى واضعه وبما أدّى إليه اجتهاده، أمّا بالنسبة إلى المجتهد الآخر فيكون خلواً من أي فائدة لأنّ الواجب يحتم عليه الإجتهاد في الحكم الشرعي وفي كلّ ما يتوقف عليه استنباطه حتّى سند الحديث.

---

(١) من الغريب أنّ بعض الأساتذة المصريين ـ ولاسيّما الأزهريين ـ لا يزال يرتاي إبقاء باب الإجتهاد موصداً، ويصرّ على ضرورة التحجير على الفكر، والحفاظ على الجمود الذهني والحيلولة دون حدوث أي تجديد وعدم فسح المجال للطاقات العقلية بالنمو والإبداع؛ يراجع حديث العلامة الأُستاذ السيد محمّد تقي الحكيم عميد كلية الفقه في النجف: مجلة «الإيمان» النجفية السنة ١: ٦٢٩.

وقد اعتاد السلف الصالح من علماء الشيعة على جمع ما هو مأثور من الأخبار من غير انتقاء وتمحيص، إذ كان غرضهم الإحتفاظ به خوفاً من ضياعه، وتركوا غربلته وتمحيصه لغيرهم. ولذلك لا تصح مؤاخذتهم على شيء ممّا أثبتوه لأنّهم لم يقطعوا بصحّته جميعاً وإنّما الحجة محصورة في الأحاديث التي يصحح إسنادها المجتهد الشيعي لأنّ من أهم شروط الإجتهاد عند الشيعة التخصص في العلوم الإسلامية خصوصاً الرجال والدراية، وفائدة التخصص ـ كما هو معلوم ـ هي معرفة صحة سند الرواية من سقمه؛ ولا يستنبط المجتهد الشيعي حكماً شرعياً إلّا من الحديث الصحيح الذي يقطع بصحّة سنده أو يظن صدوره ظنّاً معتبراً يقوم مقام القطع؛ ولا عبرة بكلّ حديث لم يحكم المجتهد بصحة سنده؛ وإن وجد في أشهر كتب الحديث؛ ولهذا توجد في الكافي وغيره من اُمّهات كتب الحديث عند الإماميّة بعض الأحاديث المخالفة لمعتقد الشيعة ورجال مذهبهم.

وبذلك يرد كلام الأُستاذ أحمد أمين من أنّ كتاب «الكافي» عند الشيعة كصحيح البخاري عند السنّة[1]؛ فقد نقل عدّة أحاديث عن الكافي وحاول أن يحتج بها على الشيعة غافلاً ـ أو متغافلاً ـ عن أنّ «الكافي» وغيره من كتب الحديث عند الشيعة كلّها مخازن للأحاديث الصحاح والضعاف على اختلافها.

وربما كان ذلك غير مختص بكتب الحديث الشيعية لأنّنا نرى في الصحاح السنّة ومجاميع الحديث السنيّة الأُخرى بعض الأحاديث التي لا يمكن الوثوق بها أو تقبّلها بأي وجه كما يقرّه علماء الحديث المتخصصون من أهل السنة سواء في ذلك المعاصرون أو من سبقهم، والخلاصة أنّ كتب الحديث عند الفريقين جمعت الغث والسمين، والعبرة بما يخرجه المتخصص عند الشيعة والسنّة.

(١) ظهر الإسلام: ٣/٢١٣.

شعره وشاعريته :

الكعبي شاعر له مكانة سامية وقدم راسخة في عالم الأدب، فقد تتلمذ في كربلاء كما ذكرنا آنفاً، وكانت يومئذ معهداً للعلوم ومنتدى للآداب يلتقي فيها جهابذة العلم وأساطين الأدب، وكانت مجالسها مثار الجدل العلمي والمناظرات الأدبية، وقد لازم الكعبي ذلك المعهد وتخرج على اولئك الأساطين، وحضر تلك المجالس، وبنى شخصيته على أساس متين من المعرفة والكمال والثقافة فأحاط بأسرار اللغة وأخبار العرب وتاريخهم، وحفظ الكثير من الشعر، واستكمل دراسته العلميّة وتنوعت معلوماته وكان لذلك أثره الكلي في نمو مواهبه وسمو مداركه، وبلورة فكره وشحذ ذهنه، وتفتح قريحته، وقد ملك مؤهلات قوية ووهب قابليات مهمة أهلته لتلك الإجادة، ومكنته من ذلك الإبداع، ورفعته إلى صف الأفذاذ، وقفزت به إلى القمة، وأحلته مكانة عالية في سجل الأدب العربي.

طرق الكعبي فنون الشعر المألوفة في عصره من مدح ورثاء، وفخر وحماسة، وغزل وغيرها، وأجاد في معظم ما نظم، واتصف شعره بمتانة التركيب وجزالة اللفظ وقوّة الديباجة والسلاسة والإنسجام، وله في الوصف أُسلوب أخاذ فيه الكثير من السمو والإبداع، فقد استطاع أن يحلق ويجيد، ويسحر ويطرب وقد امتاز بسرعة البديهة وطول النفس، فقد كان يطيل ويجيد رغم الإطالة، ويظل محافظاً على مستواه من ضخامة اللفظ ورقة المعنى ورصانة القافية، فلا يعتريه خور ولا ضعف ولذلك تسالم الأُدباء على الإعجاب به والإكبار لأدبه، كما أجمع الكل على استحسانه ولذلك نعتبره في الطبقة الأُولىٰ من شعراء عصره وإلى القارئ نماذج من شعره الغزلي، قال:

وليل يساقينا التذكر جنحه بهيماء لا أهل لديها ولا صحب

نزلنا على حكم النوى بركابنا وكان ركاباً بالهوى ذلك الركب
حديث كأن العامرية بيننا نسيم كأني عنده غصن رطب
كأن الدجى صب، كأنّ صباحه سلواً عليه، عاهد العاذل الصب

وقال:

عجباً مهملات دمعي نطقاً في الثرى بين حمرة وسواد
فالتي الحمر هن ماء عيوني والتي السود هن ماء فؤادي[1]

وقال:

وددت بزعمي أنّ في الحبّ راحة ولم أدر أنّ الحب غايته الهلك
عشقت فلم أعلم فلمّا استرقّني علمت ولكن حيث لا يمكن الفك

وقال:

ليت الملاح وليت الراح قد جعلا في جبهة الليث أو في قبة الفلك
فلا يعانق محبوباً سوى أسد ولا يدير بكاسات سوى ملك

وقال:

لو تصورتني عشية حثت بهم العيس بين بعد وقرب
أول التابعين دمعي فمذ أغـ ـمض قلب الركاب انصبّ قلبي[2]

---

(١) أين هو من قول العلامة الأديب السيد مهدي الطالقاني المتوفى سنة ١٣٤٣ هـ كما في ديوانه المخطوط في مكتبتنا؟:

عزّ المداد وعزّ الطرس في بلدي فهذه قطعة يا صاح من كبدي
كتبتها بسواد العين فهي إذن حشاشتي وهي قلبي فارقا جسدي

(٢) لعلّه نظر فيه إلى قول الشريف الرضي:

ولقد وقفت على ديارهم وديارهم بيد البلى نهب
فبكيت حتّى ضجّ من لغب نضوي وعجّ لمّا لقي الركب
فتلفتت عيني ومذ خفيت عنّي الطلول تلفت القلب

وقال:

وقلوب في الحمى قد شقيت ... جمة لكن اشقاهنّ قلبي
أبداً تعرفه من بينها ... بالغشا الدائم عن ضعف وكرب[1]
قلق أزعجه عن داره ... عجل سار بأقمار وركب
صاح حادي العيس بالحسن السرى ... وهو قبل الحسن يسعى او يلبّي

رثاء الكعبي:

وتظهر قوّة شاعرية الكعبي ﷺ ـ حيث تبلغ أوجها ـ في رثائه للحسين ﷺ، فهو من الذين أسهموا في ذلك وأكثروا النظم في هذا اللون، بل ومن الذين تخصصوا برواية واقعة الطف بصورة جلية، وأسلوب واضح، فقد أحاط بنواحيها على طريقة خاصة، وأبدع في وصفه وتصويره، وبلغ في ذلك درجة لم يبلغها في باقي شعره، ومبعث ذلك هو عقيدته الراسخة وإيمانه الثابت وولاؤه الصادق؛ فقد جاء شعره محكماً بديع الأُسلوب، جمع بين الرثاء والفخر والحماسة، وهو لون خاص اتصف به أدب عدد معدود من شعراء الطف آخرهم السيد مهدي السيد داود الحلي، وابن أخيه السيد حيدر الحلي الشهير، وقد سار شعره وذكره، وبرز بين مشاهير شعراء عصره، وأصبح مثلاً يحتذى به.

والكعبي في ذلك يذكر بأدب الشريف الرضي ومهيار الديلمي فقد تأثّر بهما وظلّ موتوراً يهتف باسم سادته ومشايخه العلويين وقادته الذين انتزع منهم الحكم واغتصبت السيادة، وبقي يتفنن في الدعوة لأخذ الثار ويستنهض المهدي

(١) لعلّه نظر فيه إلى قول بعض القدامى:

سألتها عن فؤادي أين مسكنه؟ ... فإنّه ضلّ عنّي يوم مسراها
قالت: لدى قلوب جمّة جمعت ... فأيّها أنت تعني؟ قلت: أشقاها

المنتظر لرد الحيف واسترجاع المجد، واسترداد الحق المغتصب عندما ينعى الحسين وآل الحسين، كما يتطرق إلى ذلك أحياناً عندما يتحمس فيكون شعره شرراً يخرج من فيه فيلهب جوانب القارىء وجوانح السامع لقوّة تأثيره، وسحر بيانه.

وهو يمتاز بموهبة كبيرة تتجلى في براعته الفائقة في الوصف والتصوير، فهناك حرارة الإحساس وعمقه وصدق التعبير عنه والمقدرة على نقل شعوره إلى القارىء بعبارة ناصعة وأسلوب أخاذ، فقد أجاد كلّ الإجادة في وصفه الدقيق لركب الحسين عليه السلام ساعة وصوله كربلاء؛ وسؤال الإمام عن اسم البقعة وتأكده من أنّها التي وعد بالموت فيها؛ وأمره لأصحابه بحطّ الرحال؛ وقوله لهم في خبر معروف: «هاهنا مناخ ركابنا؛ ومحطّ رحالنا؛ ومقتل رجالنا؛ ومسفك دمائنا» فاسمعه يقول:

وكأنّي بها عشية ألقى ... سبط خير الورى الركاب لداها
يسأل القوم وهو يعلم حتّى ... بعد لأي؛ أن صرّحوا بسماها
إنّها كربلاء فقال: استقلوا ... فعلينا قد كرّ حتم بلاها
فلديها قبور مختلف الزوا ... ر فيها صباحها ومساها
وبها تهتك الكرائم منّا ... ورؤوس الكرام تعلوا قناها[1]

ثمّ يترسل في وصفه فيتطرق إلى الموقف المشرف الذي وقفه آله وأصحابه عندما سمع لهم بالتفرق والعودة إلى أماكنهم وعوائلهم وعدم تعريض أنفسهم للموت ما دام هو المقصود؛ وما أبدوه من خالص الولاء وصدق النيّات؛ وتصميمهم على التضحية بالنفوس دون سيّدهم؛ والموت في ساحة الشرف دفاعاً

(١) الديوان: ١٦.

عن الدين والعقيدة؛ ومواساة لابن صاحب الرسالة المقدسة؛ والمصلح الذي أراد انقاذ أُمّة جدّه من تلك الفئة الباغية التي تسلطت عليها وفتكت بها؛ وداست كرامتها؛ وهو خلط منه حيث يبدو الموقف واحداً في القصيدة؛ بينما كان وصل الحسين كربلاء وسؤاله عنها في اليوم الثاني من المحرّم. أمّا خطبته في أصحابه والإذن لهم بالعودة والتفرق فقد كانت ليلة الإثنين عاشر المحرم[1] وإليك وصف الكعبي الرائع لفُتيان الحسين البواسل؛ واستعراضه لموقفهم وأقوالهم:

فأجاب الجميع عن صدق نفس ... أجمعت أمرها وحازت هداها
لا ومعنى به تقدّست ذاتاً ... وجلال به تعاليت جاها
لا نخلّيك أو نخلّي الأعادي ... تتخلّي رؤوسها عن طلاها
أو تنال السيوف منها غذاها ... او تروي الرماح منها ظماها
ثمّ مع ذاك لم نكن قد قضينا ... من حقوق لزمننا أدناها
كيف تقضي العبيد من حقّ مولى ... شكر نعماه نعمة أولاها[2]

واستمع إليه يصف بسالة الحسين وصبرهم ورباطة جأشهم، وصدق إيمانهم بشرف الغاية التي أقدموا على التضحية من أجلها:

جزى الله قوماً أحسنوا الصبر والبلا ... مقيم وداعي الخطب يدعو ويخطب
بحيث حسين والرماح شواخص ... إليه وألحاظ الالسنّة ترقب

---

(١) هذا هو المشهور، لكن أباالفرج الإصفهاني قد خطأه وذكر أنّه كان يوم الجمعة وأنّ أوّل المحرم الذي قتل فيه كان يوم الأربعاء معتمداً في ذلك على إخراجه بالحساب الهندي من سائر الزيجات ـ مقاتل الطالبيين ط بيروت: ٥٣ ـ وقال: إنّ المشهور وما تعارفه العوام من أنّه قتل يوم الإثنين، لا أصل له ولا حقيقة ولا وردت به رواية. ويؤيده وصول الحسين عليه السلام إلى كربلاء يوم الخميس ثاني المحرّم كما ذكره بعض المؤرخين.

(٢) الديوان: ١٦.

وفرسان صدق من لوي بن غالب يؤم بها يبغي المغالب أغلب
سروا خابطي الظلماء في طلب العلى إلى أن بدا منها الخفي المحجب
بكلّ محيّا منهم ينجلي الدجى كأن كل عضو منه في الليل كوكب[1]

ثمّ يصف بطولة أبي الظيم واستهزاءه بالموت، وموقف عقيلة آل أبي طالب زينب ومشاركتها لأخيها في شرف القصد والتضحية:

وخوفه بالموت قومي متى دروا بأنّ حسيناً من لقا الموت يرهب؟!
وقامت تصادي دونه هاشميّة تحنّ إلى وصل المنايا وتطرب
فوارس من عليا قريش تسنّموا من المجد صعباً ظهره ليس يركب[2]

وإليك وصفه لفرس الحسين وهو يعود إلى مخيم عياله خالياً يصهل وكيف استقبلته الثواكل من نسائه والمروعون من أطفاله وباقي الهاشميات تتقدمهم أُمّ المصائب زينب إبنة علي، وكيف استولى على تلك المجموعة المنكوبة القنوط واليأس عند ما انقطع خيط الأمل وخبا بصيص النور، وذهب الحامي الذي كانت تلوذ بظلّه:

وإنثنى المهر بالظليمة عاري الـ سرج ناع للمكرمات فتاها
وأتت زينب الرزايا وقد كض جوى الثكل قلبها وقواها
اذهل الثكل قلبها فتبدّت وهي لم تبد سافراً من خباها
طلبت صنوها فعزّ عليها فانثنت بالجوى تنادي أباها[3]

وقد بلغ الذروة في الإبداع ودقة الوصف في قصيدة أُخرى، وصف بها خروج الهاشميات إلى عرصة الطف عند عودة الفرس، وأحاطتهنّ بعميدهنّ وهو

(١) الديوان: ٣.
(٢) الديوان: ٣.
(٣) الديوان: ١٨.

مسجّى على الرمضاء ينزف دم النبوة من جسده الشريف فيبل الثرى الزاكي، فقد بلغ وصفه منتهى الروعة، ونحن نعتبره أوضح صورة للأدب التمثيلي الذي امتاز به أدب الشيعة، والذي خلا منه الأدب العربي لولا شعراء الطف، فاستمع إليه يقول:

وأدبر ينحو المحصنات حصانه ... يحن ومن هول المصيبة يعول
وأقبلن ربّات الحجال وللأسى ... تفاصيل لا يحصى لهنّ مفصل
فواحدة تحنو عليه تضمّه ... وأُخرى عليه بالرداء تظلّل
وأُخرى بفيض النحر تصبغ وجهها ... وأُخرى لما قد نالها ليس تعقل
وأُخرى على خوف تلوذ بجنبه ... وأُخرى تفديه وأُخرى تقبّل
تكف الدما عنه وتهمل مثلها ... دموعاً، فلم تبرح تكف وتهمل
وأُخرى دهاها فادح الخطب بغتة ... فأذهلها، والخطب يدهي ويذهل
وجاءت لشمر زينب ابنة فاطم ... تعنّفه عن أمره وتعذل
تدافعه بالكف طوراً وتارة ... إليه بطاها جدّها تتوسّل[1]

وإليك صورة أُخرى لوصف هول المصيبة وحالة الثواكل اللائي همن على وجوههنّ في الصحراء، ومدى فجيعتهنّ بعميد الهاشميين:

وثواكل في النوح تسعد مثلها ... أرأيت ذا ثكل يكون سعيدا؟
حنّت فلم تر مثلهنّ نوائحاً ... إذ ليس مثل فقيدهنّ فقيدا
لا العيس تحكيها إذا حنّت ولا الـ ... ـورقاء تحسن عندها الترديدا
إن تنع أعطت كلّ قلب حسرة ... أو تدع صدعت الجبال الميدا
عبراتها تحيي الثرى لو لم تكن ... زفراتها تدع الرياض همودا

(١) الديوان: ٢٨.

وغدت أسيرة خدرها إبنة فـاطم لم تـلف غـير أسـيرها مـصفودا
نادت فقطعت القـلوب بشـجوها لكـنّما انـتظم البـيان فـريدا
إنسان عيني يا حسين أخـي يـا أمـلي وعـقد جـماني المـنضودا
مالي دعوت ولا تجيب ولم تكن عوّدتني من قـبل ذاك صـدودا؟
ألمـحنة شـغلتك عـنّي أم قـلى؟ حاشاك إنّك ما برحت ودودا؟[1]

ثمّ يعود فيصف حالة يتامى آل الله في تلك البـرية المـترامـية الأطـراف والصحراء القاحلة حيث لا ماء ولا كلاء، وقد أمضّ بهم الجوع والعـطش وليس لديهم ما يبلّون به الريق ويسدّون به الرمق ويقاومون حرارة الرمضاء:

وأبقوا فراخـاً مـالهم قـوت يـومهم ولا قـدرة للكسب فـيهم فـيكسبوا
فـباتوا جـياعاً كـلّما عـجّ مـنهم صبي غدت بالويل تـبكي وتـنحب
فـلمّا بـدا صـبح بـدت خـير غـرّة تـفتش عـن قـوت لهـم وتـنقب
فـلم تـلف مـا مـنهم يسـدّ لفـاقة على أن كلا مـن أذى الضـرّ يـثغب
فراحت لهم تـبغي كـفيلاً فـلم تـجد من الناس من يحنو هناك ويـحدب
فأمت بهم تنحو جـواداً فـلم يكـن سوى باخل من ذكره الجود يهرب[2]

وقصائد الديوان بطولها قطع من شعور عميق ملتهب، شعور يترقرق الألم في حواشيه، ويولول القلب الجريح بزفراته، وقد صاغه الكعبي شعراً فاجتمع فيه الجمال والخيال والفن وتدفقت منه الألحان الصـافية النـازفة مـن جـراح الألم الكبير.

---

(١) الديوان: ٦٥.
(٢) الديوان: ٦ ـ ٧.

أكتفي بهذا القدر من عرض الصور فأنا أخشى أن أُعيد نشر الديوان ثانية في هذا الفصل من المقدمة، فكلّه على هذا النمط الرفيع من البيان، وقصائده كلها كالعقد لكل حبة منه لألاؤها وجمالها الخاص فلنترك ذلك لمن يطالع شعره فهو سيلمس ما قلناه لمساً في كلّ قصيدة من قصائده، وأخيراً فإنّ هذا الديوان كنز ثمين وذخيرة أدبيّة قيّمة.

أقوال العلماء والأدباء فيه:

لقد تعرض إلى ذكر الكعبي وترجمته عدد من المؤلفين بشكل مقتضب، والأسف أنّ التاريخ لم يعن بحياته وسيرته بصورة مفصلة، كما أنّ أكثر الكتب التي جاء له فيها ذكر لم تزل مخطوطة، وإلى القارىء بعض ذلك:

١ ـ العلامة الكبير الشيخ علي كاشف الغطاء فقال: «الحاج هاشم بن حردان الكعبي نسباً الدورقي مولداً ومنشأ ومسكناً، والدورق عاصمة الفلاحية التي هي محل سكنى عشائر كعب، كان أكبر شعراء عصره وأنقاهم ديباجة، لا يجري أحد في حلبته خاصة في النسيب والتوخيد وهو فيهما نسيج وحده، وشعره رصين البناء نقي الديباجة: ألفاظه محكمة الوضع لا يكاد يعثر على كلمة مقتضبة في شعره وكان عالماً لغوياً له رثاء كثير في الأئمّة عليهم السلام، وله ديوان كان يوجد في كربلاء لم أقف عليه، وقد توفي سنة ١٢٣١ هجـ»[1].

٢ ـ وذكره الإمام الحجة الشيخ آغا بزرك الطهراني فقال: «هو الحاج هاشم

---

(١) الحصون المنيعة في طبقات الشيعة: ٥٣٢/٢؛ مخطوط في «مكتبة كاشف الغطاء العامة» في النجف الأشرف.

ابن حردان بن إسماعيل الكعبي الدورقي من العلماء الفضلاء والشعراء المشاهير. هاجر من الدورق إلى كربلاء فحضر على علمائها عدة سنين، وصار من أهل الفضل والعلم البارزين، وبرع في الشعر وفنون الأدب حتّى عدّ في مصاف شيوخه والمشاهير من أعلامه؛ وله ديوان كبير، ومعظم شعره في رثاء أهل البيت عليهم السلام، ولاسيّما مراثي سيّدالشهداء عليه السلام وشعره رقيق منسجم، ولم أقف على مشايخه، ويحتمل أن يكون من تلاميذ الشيخ حسين العصفوري، رأيت بخطه «هدية الأبرار» للشيخ حسين به شهاب‌الدين الأخباري كتبه لنفسه ودعا لها بالتوفيق وتاريخ فراغه منه سنة ١٢٠٧ هـ رأيته في «مكتبة المولى علي محمّد النجف آبادي» في النجف توفي سنة ١٢٣١ هـ»[1].

وذكره الإمام الجليل السيد محسن الأمين فقال:

٣ ـ «شاعر مفلق متفنن حسن الأُسلوب طويل النفس يعد في طليعة الشعراء، نظم في مدح أهل البيت عليهم السلام ورثائهم فأكثر وأطال وأبدع وأجاد واحتجّ وبرهن وأحسن وأتقن، وجميع شعره من الطبقة العالية. اشتهر شعره في أهل البيت في عصره إلى اليوم في العراق وجبل عامل والبحرين وغيرها، وحفظته الناس وتلي في مجالس العزاء، ولابدّ أن يكون له شعر في فنون أُخرى، لكن لم يتصل إلينا شيء منه، وفي الطليعة كان أديباً شاعراً بارعاً شديد العارضة جزل اللفظ والمعنى، منسجم التركيب سهله، مقتدراً في فنون الأغراض متصرفاً في المطالب مشبع الشعر من الحكم والأمثال، مقرباً عند حكام البصرة، محترم الجانب، له ديوان أكثره في الأئمة ...»[2].

---

(١) طبقات أعلام الشيعة: ٢/٢٩٧ من القسم المخطوط «مكتبة صاحب الذريعة العامة» في النجف الأشرف.

(٢) أعيان الشيعة: ٥٠/٥٧ ـ ٥٨.

وذكره العلماء الأجلّاء الشيخ محمّد السماوي[1] والشيخ جعفر النقدي[2] والشيخ عبدالحسين الأميني[3] والأُستاذ البحاثة علي الخاقاني[4] لكنّني لم اوفّق للوقوف على ما كتبوه، ويغلب على الظن أنّه قريب ممّا جاء في الحصون إن لم يكن نقلاً عنها، فليس لدى أحد من المعاصرين والجيل الذي سبقهم معلومات وافية عن الكعبي مع الأسف، ولعلّ له ذكراً في محلّ آخر لم نسمع به. وقد ترجمه مقتضباً الأُستاذ الشيخ محمّد هادي الأميني أيضاً[5].

وفاته :

أجمع مترجموه على أنّه توفي في سنة ١٢٣١ هـ عدا السيد الأمين فقد تفرد في القول بأنّها كانت في سنة ١٢٢١ هـ[6] وأغلب الظن أنّه خطأ مطبعي، أمّا مكان وفاته وكيفيتها وموضع قبره فذلك ما لا سبيل إلى معرفته إذ لم يصرّح به أحد من مترجميه وكذلك تاريخ ولادته ومدّة عمره وفي شعره شكوى من الضعف والإنهيار، وأنين متواصل كان يبثّه بين الآونة والأُخرى كقوله:

فاعطف علي ففي من ضعف القوى ما ليس بالخافي على الأبصار[7]

---

(١) الطليعة في تراجم شعراء الشيعة. مخطوط، لا نعرف مالكه الحالي.

(٢) الروض النضير في تراجم الشعراء العلماء في القرن المتأخر والأخير. مخطوط يوجد في كتبة الأُستاذ علي الخاقاني.

(٣) الغدير. القسم المخطوط.

(٤) شعراء كربلا. مخطوط.

(٥) معجم رجال الفكر والأدب في النجف: ٣٧٧.

(٦) أعيان الشيعة: ٥٠/٥٧.

(٧) الديوان: ١٤.

وقوله:

فخذ بيدي واعطف وارع ضعفي فإنّك عـدتي يـابن الحـبيب[1]

أولاده:

من المؤسف حقّاً أن يخفى على الباحثين معظم أخـبار الكـعبي وحـياته وخصوصياته، فلا يعرفون شيئاً من أحواله، ولا عن حلّه وتـرحـاله، وزواجـه وأطفاله، فلم يحفظ لنا التاريخ شيئاً من ذلك أبداً، والحديث عن أولاده كالحديث عن ولادته وتاريخ هجرته وأساتذته وتاريخ عودته وسـيرته ووفـاته، وقـبره وآثاره، مجهول في مجهول، لولا أنّ في بعض شعره ما يدلّ على أنّه أنجب من الذكور ولداً، ويبدو أنّه صحبه معه في سفرة إلى طهران فله أبيات يستغيث فـيها بالعباس بن علي بن أبي طالب عليه السلام قالها في طهران كما يبدو، وهي تدلّ بوضوح على أنّ ولداً له كان بصحبته، لكن ما اسم هذا الولد؟ وكم كان عمره؟ وما هـي مهنته؟ وهل أنّه عاش بعد أبيه أو سبقه إلى لقاء ربّه؟ فتلك أُمـور لا طـريق إلى معرفتها مطلقاً، فاسمعه يقول:

أباالفضل يا غوث المساكـين كـلّهم وإنّـي مسكـين وأنت أبـوالفـضل
ألم تـرني فـي بـطن طـهران مـفرداً ونـجلي؛ لا قـومي لدي ولا أهـلي
فخذ بيدي يـابن النـبي وجـد نـدى على ضعف حالي إنّني مثقل الحـمل
فكم لك عندي من يـد طـال طـولها وقصر عنها الشكر في القول والفعل[2]

(١) الديوان: ١١٧.
(٢) الديوان: ١٣٧.

ويستنجد بالعباس أيضاً وهو في طهران فيقول:

مـيامين إن نـودوا لدفـع مـلمّة أتوا فأزالوا الضر؛ طرّاً مع البـلوى
لكم يا بني خير الورى لا لغـيركم على كلّ حال منّي البث والشكوى
وإن كنت في طهران والبعد شـاسع فعلمي لا يخفاكم السـرّ والنـجوى
أباالفضل يا عباس كم لك مـن يـد علي؛ وهذي بعضها فادفع البـلوى
عليكم سـلام الله يـا خـير خـلقه متى أمُّ حاد نحوكم يكثر العـدوا[1]

ويظهر من هذه الأبيات، والتي سبقتها أنّه نكب في تلك السفرة وهو بدار الغربة، وأنّه ضاق ذرعاً بما نزل به، ولكن ما هـي الحـادثة التـي هـدّت كـيانه والمصيبة التي استنزفت صبره؟ أهي ظلم أو خوف أو مرض او شيء آخر؟ ذلك ما لم نتمكن من معرفته!!

وله أبيات أُخرى نظمها وهو في طهران أيضاً، ويـبدوا مـنها أنّ له أولاداً آخرين تركهم وراء ظهره، كما يبدو واضحاً أنّها غير السفرة المذكورة التي جزع لما ناله فيها وأكثر الأنين والشكوى، ويبدو أنّه قالها في السلطان فتح علي شاه القاجاري[2]، يستأذنه في العودة إلى بلاده لشوقه للقاء أولاده، ممّا يدلّ على أنّه التقى به وأصاب حظوة عنده جعلته يعتزّ به ويرغب أن تطول إقامته عنده، ومن المستبعد جدّاً أن يكون قد أصابه ما أصابه وهو في كنف السـلطان وذو مكـانة

(١) الديوان: ١٢٩ ـ ١٣٠.

(٢) لم يذكر في تاريخ الدنيا سلطان أكثر أولاداً من فتح علي شاه المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ حتّى أنّه لقّب بأبي البشر الثالث، وقد أحصي ما ولد له من صلبه من البنين والبنات فبلغوا «٢٦٠» نفساً توفي أكثرهم في حياته بين كبير معقب وصغير دارج، وكان له يوم وفاته «٥٣» ابناً و«٤٠» بنتاً، وكان مجموع أولاده وأحفاده يوم وفاته «٧٨٤» نفس وقد ألف تاريخ العضدي في أحواله ومفصل تاريخه ـ الذريعة: ٣/٢٦٥.

عنده، ثمّ هو لا يسعفه ولا يرد عنه، والأبيات قوله:

إنّي أقول وقد حفّ الركاب بنا ... والعيس تعتقب التقريب والرملا
يا صاحبي بأرض الري حسبكما ... وحيث وجّهتما بلغتما الأملا
قولا لناصر دين المؤمنين «علي» ... لا زلت بـ«الفتح» والإقبال متّصلا
نصرت مذهب آل الله مجتهداً ... بالسيف لا ناكلا عنه ولا وكلا
حتّى غدا الحق مثل الشمس متّضحاً ... لطالب وجمعت العلم والعملا
إنّي تركت فراخاً بين أجنحتي ... يطالعون ورائي السهل والجبلا
فذاك موجب بعدي عن جلالكم ... وليس يبعد من في القلب قد نزلا
ودام رفدك للعافين مبتذلا ... ودام مجدك لا تلقاه مبتذلا[1]

لكن ما هي أسماء هؤلاء الذين تركهم وراءه يطالعون السهل والجبل؟ وكم كان عددهم؟ وهل كانوا ذكوراً أم اناثاً؟ وهل عاشوا بعده وتناسلوا أم انقرضوا ودرجوا؟ وهل كان له أهل وإخوة أم لا؟ فتلك أُمور لم تزل مجهولة وقد وقفت له على أربعه أبيات رثي فيها أخاً له، لكن لم أعرف اسمه وهل إنّه كان أكبر منه أو أصغر؟ والذي يظهر من الأبيات إنّه كان نابهاً له مجد وذكر، وكرامة ووجاهة، وإنّ ذلك كان مكتسباً لا موروثاً، لكن في أي مجالات الحياة كانت هذه النباهة؟ وأين صارت؟ وعلى يد من انتهت؟ فعلم ذلك عند الله أيضاً، وإليك الأبيات:

العيد حيث موصل أحبابه ... لا غارم ناوي الحبيب بمقعد
إنّي يكون العيد منك بموضع ... وشقيق نفسك ضمن لحد اسود؟
سامي المنار كثير حسّاد القرا ... ربح الأصاديق منية المستنجد[2]

---

(١) كشكول البحراني: ٣/٤٧٦ طبعة النجف.
(٢) كشكول الشيخ يوسف البحراني: ٣/٤٥٨.

وعسى أن يكون للكعبي وأخيه أحفاد في خوزستان، كما لا يبعد أن يكون في تلك المنطقة من ذوي قرباه وبني عمّه من يعرف عنه الكثير ممّا لا نعرف، أو يحتفظ له بآثار وأشعار وأخبار لم تصل إليها أيدينا، وربّما أمكننا استقراء ذلك في المستقبل، وأوقفنا التتبع على ما جهلناه اليوم.

آثاره:

لم يصل إلى أيدينا شيء من آثار الكعبي العلمية، ولا شك إنّه أنتج شيئاً خلال السنين الطوال التي قضاها في الدورق بعد عودته من هجرته العلمية، فكما ظلّ يواصل نظم الشعر ويتابع أخبار أهل العلم فيمدح هذا ويرثي ذاك، فلابدّ أنّه أفرغ في بوتقة التأليف ما قدر عليه ومكنته منه الفرصة والفراغ هناك، فلم تكن الحالة فيها كما هي في الحواضر العلمية ليتمزق الوقت في المجالس والمذاكرة، ويضيع في المجاملة وأداء الحقوق والإلتزامات التي لا وجود لها في مثل تلك الديار غالباً، وهذا كلّه تكهن وفرضيات ما زلنا لا نعرف مكانة الكعبي في مجتمعه والمركز الذي كان يحتله، ونوعية العمل الذي كان يقوم به، فإذا كان أصاب زعامة دينية وابتلي بإدارة الناس وحلّ مشاكلهم فلا يبعد أن يكون قد أهمل هذا الجانب مسيراً كما هي في الحال في كثير من كبار العلماء وأصحاب الرأي وجبابرة الفكر؛ فإنّ الذين رأسوا ذهبت أوقاتهم أدراج الرياح ولم تسمح لهم المرجعية بإخلاد أنفسهم وقضاء حقّ مكتباتهم.

ومهما يكن الأمر فإنّنا لم نعرف للكعبي أثراً غير ديوانه؛ ولم يذكر له المترجمون شيئاً من ذلك وقد نسب له الشيخ محمّد هادي الأميني كتاب: «الدر

النضيد في خصائص الحسين الشهيد» نقلاً عن «الغدير» لوالده[1] وهو لسميّه السيد هاشم بن سليمان التوبلي البحراني المتوفى سنة ١١٠٧ هـ كما ذكره الإمام الثبت الشيخ آغا بزرك الطهراني نقلاً عن الرياض[2] والأُستاذ خيرالدين الزركلي[3] وغيرهما.

ديوانه المخطوط :

للكعبي ديوان كبير كانت نسخة منه في كربلاء كما مرّ عليك في كلام صاحب الحصون وغيره، وكانت منه نسخة عند الخطيب الشهير الشيخ محمّد حسن دكسن ﷺ فكتب عليها الأُستاذ علي الخاقاني نسخة لنفسه جاءت في «٤٥١ ص» وهي اليوم في مكتبته[4] وتوجد منه نسخ أُخرىٰ عند آخرين ولسنا بصدد تعدادها واستعراضها الآن لأنّنا لا نعني بتحقيق الديوان.

وقد نشر كثير من شعره في بعض المطبوعات القديمة والحديثة فقد أثبت مجموعة كبيرة منه الشيخ يوسف البحراني[5]، منها مقصورة في ٣٥٩ بيتاً، وكذا

---

(١) معجم رجال الفكر والأدب في النجف: ٣٧٧.

(٢) الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ٨/٨٢.

(٣) الاعلام: ٩/٤٨.

(٤) شعراء الغري: ١٢/٥١٣.

(٥) الكشكول: «أواخر الجزء الثالث» من طبعة النجف، والأسف أنّها جاءت مشوهة سقيمة لا تقل رداءة وأغلاطاً من طبعة إيران إن لم تزد عليها، ففيها سقط في الكلمات وتصحيف في الشعر، وتغيير في التواريخ والأرقام، أمّا الأخطاء النحوية والإملائيّة والمطبعيّة ـ خاصة ـ فلا يمكن عدّها وربّما قدرت بالألوف، ممّا جعل قراءتها وفهمها من أشقّ الأُمور، ولذلك فقدت الثقة بالمرة ولا يصح الركون إليها والإعتماد عليها مطلقاً.

الإمام المحسن الأمين عند ترجمته له[1] وأثبت له الحجة الشيخ عبدالحسين الأميني قصيدة في رثاء شهداء الغزو الوهابي[2] كما نشر له الأُستاذ الفاضل السيد جواد الوداعي قصيدة في رثاء العلامة الشيخ حسين العصفوري في مقدمة كتاب له نشره في النجف[3] وأشار إليها الشيخ علي البحراني عند ترجمته له[4] وسمها شيخنا الأكبر الإمام الجليل الشيخ آغا بزرك الطهراني فعد الشيخ جعفر أباالبحر الخطي في عداد الراثين للشيخ حسين[5] مع أنّ الخطي أسبق من العصفوري بنحو قرنين، فقد كانت وفاة الخطي في سنة ١٠٢٨ على المشهور ووفاة العصفوري في سنة ١٢١٦ هـ ولشيخنا الإمام الطهراني تحقيق قيّم في وفاة الخطي، فقد ثبت لديه أنّه كان حيّاً في سنة ١٠٣٨ وإنّ وفاته كانت في حدود سنة ١٠٤٠ هجرية[6] وقد فات السيد علي الهاشمي ناشر ديوان أبي البحر الإطلاع على ذلك التحقيق كما فاتته الإشارة إلى نسخة الديوان التي كان قد كتبها الشريف السيد جعفر بن عبدالجبار العلوي والتي أشار إليها في الديوان[7] موجودة في مكتبة المحامي عباس العزاوي في بغداد[8] وقد تابع السيد الأمين الإمام الطهراني وزاد بأن أثبت قصيدتي الكعبي ناسباً لهما لأبي البحر[9]. وللكعبي شعر نشر في مصادر أُخرى لا تحضرنا أسماؤها.

(١) أعيان الشيعة: ٥٠/٥٨ ـ مابعدها.

(٢) شهداء الفضيلة: ٢٨٩ ـ ٢٩٣.

(٣) سداد العباد ورشاد العباد: ١/١٢ ـ ١٥ النجف ١٣٨١ هـ.

(٤) أنوار البدرين في تراجم علماء القطيف والإحساء والبحرين: ٢١١.

(٥) طبقات أعلام الشيعة: ٢/٤٢٨.

(٦) الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ٩/٣٦.

(٧) ديوان أبو البحر الخطي: ٨١ مطبعة الحيدري طهران سنة ١٣٧٣ هـ.

(٨) العراق بين احتلالين: ٤/١٤١ و ٢٩٤.

(٩) أعيان الشيعة: ٢٧/١٣٣ ـ ١٣٦.

ديوانه المطبوع :

عمدت إدارة المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف على عهد مؤسسها المرحوم الشيخ محمّد صادق الكتبي فاستلت قسم المراثي من ديوان الكعبي الكبير فأخرجته باسم «ديوان الكعبي» وذلك عام ١٣٥٤ هـ[١] وقد جاء في ٩٦ ص وغير سالم من التشويه والأخطاء[٢] وفي بعض صفحاته شرح لبعض المفردات اللغوية، وكثير منها غير صحيح.

وبالرغم من ذلك ونظراً لشهرة الكعبي في جودة المراثي الحسينية وتداول شعره بين الذاكرين، وتلاوته في المجالس دائماً، فقد تلاقفت ديوانه أيدي الخطباء والذاكرين، والأُدباء وأصحاب المكتبات ممّا أدّى إلى نفاده من الأسواق في فترة وجيزة، ومنذ ذلك التاريخ والطلبات تنهال على إدارة المطبعة الحيدرية، والرغبة تشتدّ في إعادة طبعه، ولذلك فكّر الأُستاذ النبيل محمّد كاظم الكتبي أن يعيد نشره نزولاً عند رغبة الطالبين وتيسيراً لتناوله، وقد كلّفني بمراجعته والتعليق عليه والتقديم له والوقوف على تصحيحه، وذلك نظراً لحسن ظنّه بي وللعلاقة الأكيدة التي تربطني وإيّاه.

وقد بقيت نسخة الديوان عني نحو ستّة أشهر وأنا في شغل عنها ولم أستطع خلال تلك المدة الطويلة أن أُخصّص لها بعض الوقت لأستغرقي في قضايا علمية أُخرى، وفي أعمال تضمن للنفس ضروراتها المادية وتوفر لها حاجاتها اللازمة،

---

(١) الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ٩١٢/٩. وقد وقع هناك خطأ مطبعي حيث جاء تاريخ وفاة الكعبي سنة ١٣٣١ وصحيحه ١٢٣١ كما مرّ نقلاً عن شيخنا الطهراني وغيره من أعلام التاريخ.

(٢) مجلة البيان: السنة ١ العدد ٤ و٥: ٤٢ ـ ٤٣.

فقد أوشكت الظروف القاهرة أن تفسد ذوقي بتوجيهها لي إلى ما يسدّ الحاجات المادية، وعدت متناسياً غذاء الروح وما لها علي من حقوق، وكان بإمكاني أن أُسابق الكثيرين في ميادين الإنتاج والنشر لو اقتنعت النفس باتباع الوسائل التي يتبعونها، وسلوك النهج الذي ارتضوه لأنفسهم من تبعية وخدمة لأفكار الآخرين، وسأقطع ما بقي منه في علم الله متمسّكاً بقول الشريف الرضي:

أراح بـــني عـــامر ذلّـــهم وعـــرضنا عـــزّنا للـــتعب
كلاب تبصبص خوف الأذى وتنبح بين يدي مـن غـلب

وقد تكرّرت مطالبة الناشر لي خلال تلك الشهور بإنجاز الوعد غير مـرّة حتّى يئس واستعاد الديوان، وصمّم على نشره بحالته الأُولىٰ وهكذا كان. فـقد بوشر به بثوبه القديم ورتّب بعض ملازمه، وفوتحت بشأنه ثانية عـلى أن أنـظر ملازمه بالتدريج وأقدمها للمطبعة متفرقة لا كاملة وخجلت من تكرار الإعـتذار ووافقت على ذلك وأنا خائف من عرقلة الديوان من جديد، وقـد وقـفت عـلى تصحيح ص١ ـ ٨ أمّا من ٩ ـ ١٧ فقد طبع قبل سابقه ولم يتفق لي الوقوف عليه وإستمر اشرافي عليه فكنت أراجع ملازم الطبعة الأُولى فأصحّح أخطاءها وأقوم المعوّج من أشعارها وألحق بالصفات أوراقاً تضمّ تعليقي وشرحي، كلّ ذلك لعدم وجود الوقت الكافي لنسخ الديوان من جديد، وقد أخّرني وأتعبني ما لحق بعض الشعر من تصحيف وتحريف وقد اعتدمت في تصحيحه عـلى مـجموعة خـطية عندي جمع كاتبها بعض مراثي الحسين عليه السلام لشعراء مختلفين وقد ضـمّت بـعض قصائد صاحب الديوان، أمّا الباقي فقد عارضته بنصوص أُخرىٰ مع الإعتماد على الذوق الأدبي الذي عدمه الكثيرون، وكنت أختلس مـن وقـتي بـعض الفـرص لمراجعة تلك الملازم بالتدريج، وصادف غـير مـرة أن تأخّـر العـامل بـانتظار المسودات فاضطرّت المطبعة إلى إلهائه بعمل آخر، وبهذه الصورة انـتهيت مـن

تحقيق هذا الديوان وإضافة المعلومات التي يجدها القارىء في هوامشه مكتفياً بما تيسّر لدي وحضرني من المصادر والمراجع التي نقلت عنها.

وانتهى تحقيق الديوان وجاء دور المقدمة وكان على إدارة المطبعة أن تكدس ملازمه وتنتظر من جديد لتتمّ المقدمة وتضمّ إليه، ومضت شهور أُخرى والمطبعة تطالب وتلحّ في السؤال، وأنا أمعن في التسويف والمماطلة، والمقدمة تتشعب على قاعدة «الكلام يجرّ الكلام» حتّى انتهت بالشكل الذي يراه القارىء فألحقت بالديوان وأنا أعترف بصراحة بأنّني ابتعدت عن صلب الموضوع في أكثر من موضع وأدخلت عليه ما هو بعيد عنه أو غير متّصل به، ودوّنت كلّما كان يخطر لي وأنا أكتب ومرد ذلك إلى أنّها كتبت في فترات غير متعاقبة تقريباً، وفي حالات متباينة أيضاً، وأوقات مختلفة، ممّا جعل الصلة غير وثيقة أو ضعيفة بين موضوعاتها، ولم يكن لدي الوقت الكافي لإعادة النظر في الموضوعات السابقة وارتباطها مع بعضها عند الشروع في البحوث التي تليها، فجاءت كما يراها القارىء وأرجو أن لا تكون عديمة الفائدة بالمرة، وأن يجد القارىء فيها بعض المتعة والفائدة، فإن وفقت لذلك فهو ما أردت وإلّا فـ:

على المرء أن يسعى بمقدار جهده وليس عليه أن يكون موفّقا

والذي أعتقده أنّ الأُستاذ محمّد كاظم سيتوب بعدها عن تكليفي بمثل ذلك، وسوف لن يعود إلى مثله معي لما لقيه هذه المرّة من تسويف وتعب ومماطلة وعرقلة عمل.

الخاتمة :

والآن وبعد أن انتهيت من إكمال ما أردت ذكره في هذه المقدمة أتقدم بالشكر للأخ الأُستاذ محمّد كاظم الكتبي ألذي أتاح لي الفرصه لكتابة هذه الصفحات، وكان الداعي إلى جمع هذه المتفرقات وتأليف هذه الموضوعات، كما أعتذر للقارىء عن عدم إعطاء معلومات كافية وكتابة دراسة مستوفاة عن الكعبي، وشفيعي في ذلك قلّة الإطلاع وفقدان المصادر وعسى أن أوفّق إلى إعادة النظر في ديوان الكعبي الكامل ولمّ شتاته، والوقوف عنده وقفة أطول من هذه لإيفائه بعض حقّه وإخراجه بشكل يتناسب مع مكانة صاحبه الأدبيّة؛ وما أراني فاعلا ذلك فلدي كتب ومواضيع وبحوث تعاني النقص والإهمال؛ ترضيها منّي ـ وقد تكملها ـ وقفة أقصر من هذه لو تتاح لي الظروف؛ وما التوفيق إلّا بالله؛ والعون إلّا من عنده؛ عليه توكّلنا وإليه أنبنا وهو حسبنا ونعم الوكيل.

١٤ ربيع الثاني ١٣٨٥

١١ آب ١٩٦٥

محمّد حسن آل الطالقاني

ديوان الكعبي

لناظمه

العالم الفاضل الحاج هاشم بن حردان الكعبي

المتوفى سنة ١٢٣١ هجـ

الطبعة الثانية

حقوق الطبع للناشر

(محمد كاظم الحاج محمد صادق الكتبي)

صاحب

المطبعة الحيدرية ومكتبتها في النجف الاشرف

مقدمة الناشر للطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدك اللهم على جميع النعم، والصلاة على سيد الأمم، وعلى آله آل المفاخر والشيم.

وبعد: لما كان الشعر ديوان العرب، ومدرسة الآداب والفنون حيث يهدى العواطف، ويرشد المشاعر، وحيث يذكر المواقع التأريخية والسير الماضية، وحيث يهذب النفوس القاصرة، ويحرك العواطف الفاترة ولما كانت واقعة الطف من أهم الوقائع الحربية التأريخية وأشجى الحوادث الاسلامية، إذ تمثل لنا التضحية والاخلاص في سبيل الدين الحنيف وإبقاء آثاره، وإيقاد نوره، وتصور لنا الشجاعة والفروسية والاقدام والثبات والصدق والصفاء في المحبة لله والدين الاسلامي، ولما كانت تلك النفوس الشريفة، والأرواح الطاهرة، مقدرة عند الناس كما هي مقدرة عند الله، لذا بقي ذكرها نغمة في فم الدهر ترددها الأيام والليالي وزفرة في صدور المسلمين بذخر الأول للآخر، وتورثها الآباء للأبناء، وكان أحسن من نظم في هذا الموضوع وبث تلك الزفرة في شعره الحاج هاشم بن حردان الكعبي المتوفى سنة ١٢٣١ إذ صور لنا في شعره ما عجزت عنه ريشة الفنان، وبين لنا واقعة الطف بصورتها المشجية، ومثالها المحزن فترى المحافل والنوادي تلهج بشعره وذكره، والرغائب تزداد في اقتنائه وحفظه فهو جدير بأن يقال الوحيد في بابه والمفرد في رثائه أعلى الله مقامه.

قال رحمه الله يرثي الحسين عليه السلام:

منى القلب أن تدنو منى والمحصّب[1] وللـركب قـصد دون ذاك ومـطلب
إذا كـان مـابي فـات مـا يـطلبونه وإن كان ماهم فات ما كـنت أطـلب
فكيف التئام الشمل وهو كـما تـرى فـريقان والقـصدان شـرق ومـغرب
خليلي عوجابي على الربـع عـوجة عسى يشتفي فـيها السـقيم المـعذّب
ولو لم يكـن إلّا بـتعريس سـاعة لماما[2] نؤدي بعض فـرض ونـندب
خـليلي لا والله لو قـد عـلمتما مـن النـازح الثـاوي بـه والمـغيّب
لما اخترتما يـوماً عـلى ذاك مـنزلاً ولو لم يكن إلّا مـن الدمـع مشـرب
فـعوجا بـنفسي أنـتما وتـبيّنا فخير صحاب المـرء مـن لا يـؤنب
تقولان قصد العـيس جـمع ويـثرب صدقتم وهذا الربع جـمع ويـثرب[3]
ولا تـعجبا مـمّا يـحاول مـدنف فأمركما في اللـوم أدهـى وأعـجب
دعـاني وأشـجان الفـؤاد فـإنّني جعلتكما في أوسـع الحـل فـاذهبوا
صحبتكما كي تسعفاني على الجوى أمـا سـبّة إذ لم تـفوا أن تـؤنّبوا
جزى الله قوماً أحسنوا الصبر والبـلا مقيم وداعي الخطب يدعو ويـخطب
بحيث حسين والرمـاح شـواخـص إليـه والحـاظ الأسـنّة تـرقب
وفرسان صدق من لوي بـن غـالب يـؤم بـها يـبغي المـغالب أغـلب
أخو الفضل لا اللاجي إلى طود عزّه يـضام ولا الراجـي لديـه يـخيّب
سروا خابطي الظلماء في طلب العلا إلى أن بـدا مـنها الخـفى المـحجّب
بكـلّ مـحيّا مـنهم يـنجلي الدجـى كأن كل عضو منه في اللـيل كـوكب

---

(١) منى: إسم موضع في مكة ينزله الحاج. والمحصب موضع بالقرب منها.
(٢) اللمام: جمع لمّة بفتح اللام وهو الحين والبرهة.
(٣) يثرب: إسم لمدينة الرسول صلى الله عليه وآله.

مضى ابن علي حيث لا نفس ماجد ... تهم ولا قلب من الحزم يقرب
إذ الصارم الهندي خلّى طريقه ... وحاد عن القصد السنان المذرّب
وخوفه بالموت قوم متى دروا ... بأنّ حسيناً من لقا الموت يرهب
وقامت تصادي[1] دونه هاشميّة ... تحن إلى وصل المنايا وتطرب
فوارس من عليا قريش تسنّموا ... من المجد صعباً ظهره ليس يركب
أتوا في العلا ما ليس يدري فأغربت ... معاني الثنا في مجدهم حيث أغربوا
أسود لها الأسد الضراغم مطعم ... وما سفك البيض الصوارم، مشرب
ترى الطير في آثارهم طالبي القرى ... متى ضمّهم في حومة الطعن موكب
عشيّة أضحى الشرك مرتفع الذرى ... وولّت بشمل الدين عنقاء مغرب
تراع الوغى منهم بكلّ شمردل ... نديماه فيها سمهري ومقضب
بكلّ فتى للطعن في حرّ وجهه ... مراح وللضرب المرعبل ملعب
بكلّ نقي الخد لولا خطا القنا ... ترى الشمس من مغناه تبدو وتغرب
كثير حياً لولا وقاحة رمحه ... لحق به للعارفين التشبّب
كأن الحداد البيض تخضب بالدما ... لعينيه ثغر بارد الظلم[2] أشنب
كأنّ القنا العسّال وهي شوارع ... قدود تثنى في المراح وتلعب
كأنّ صليل المرهفات لسمعه ... غوان تغني بالصبا وتشبّب
كأنّ المنايا السود يطلع بينها ... أخو البدر معشوق الجمال محجّب
كأنّ ركام النقع من فوق رأسه ... أرائك تبني للوصال وتضرب
كأنّ الضبا فيه نجوم مضيئة ... ويومهم من ثائر النقع غيهب

---

(١) تصادي: تعارض.

(٢) الظلم بفتح الظاء: الرضاب، والأشنب: أبيض الأسنان.

كأنّ صدور البيض من ضربها الطلى[1] أخو صبوة مضنى الفؤاد معذّب
كأنّ أطاريف الأسنة تكتسي دماً طرف صبّ أحمر الدمع صيّب
كأنّ ازدحام القرن منه لقرنه نديمان في كفّيهما الراح تقطب[2]
كأنّ السهام الواردات لصدره بنان يعاطيه المدام مخضّب
كأنّ حطيم السمر في لمس كفّه من الطعن هداب الدمقس المذهّب[3]
ومرّوا على مرّ الطعان كأنّه لديهم جنيّ النحل بل هو أطيب
إلى أن ثووا تحت العجاج تلفّهم ثياب علا منهنّ ما حاك قعضب
وأقبل ليث الغاب يهتف مطرقاً على الجمع يطفو في الألُوف ويرسب
إلى أن أتاه السهم من كفّ كافر ألا خاب باريه وظلّ المصوّب
فخرّ على وجه التراب لوجهه كما خرّ من رأس الشناخيب[4] أخشب
ولم أنس مهما أنس إذ ذاك زينباً عشيّة جاءت والفواطم زينب
عراها الأسى حتّى استباح اصطبارها وأذهلها حتّى استبان المنقّب
أتت وهي حسرى الوجه ممّا يروعها وكم حاسر في صونه يتنقّب
تحنّ فيجري دمعها فتجيبها ثواكل في أحشائها النار تلهب
نوائح يعجمن الشجى عبراتها تبين عن الشجو الخفي وتعرب
نوائح ينسين الحمام هديلها إذا ما حدا الحادي وثاب[5] المثوب

---

(١) الطلى: بضمّ الطاء جمع طلية أو الطلاة: الرقبة.

(٢) تقطب: تمزج.

(٣) الهداب: الخيوط التي تبقى في الثوب، والدمقس والدمقاس: الحرير الأبيض ومنه قول امرىء القيس في معلقته:

فظل العذارى يرتمين بلحمها وشحم كهداب الدمقس المفتل

(٤) الشناخيب: جمع شنخوب: أعلى الجبل. والأخشب والخشب: الخشن.

(٥) ثاب: أي رجع.

وما أمّ عشر أهلك البين جمعها ... عداداً يقفّي البعض بعضاً ويعقب
رأوا غارة شعواء قد وجبت لها ... من الحي أكناف تنوح وتندب
فحلّوا على أولى الطريدة لم تنل ... قليل العنا فيما يقول المؤنب
فراحوا كراماً تحت مشتبك القنا ... يمزّقهم منهنّ ناب ومخلب
وأبقوا فراخا ما لهم قوت يومهم ... ولا قدرة للكسب فيهم فيكسبوا
فباتوا جياعاً كلّما عجّ منهم ... صبي غدت بالويل تبكي وتنحب
فلمّا بدا صبح بدت خير غرّة ... تفتّش عن قوت لهم وتنقّب
فلم تلف ما منهم يسدّ لفاقه ... على أنّ كلا من أذى الضرّ يثغب[1]
فراحت لهم تبغي كفيلا فلم تجد ... من الناس من يحنو هناك ويحدب
فأمّت بهم تنحو جواداً فلم يكن ... سوى باخل من ذكره الجود يهرب
فعادت على يأس وهم يكنفونها ... عويلا يذيب القلب شجواً ويشعب
فبينا هم في حالة الضر إذ بدا ... لهم أشجع قاسى الفؤاد عصبصب
أخو ترة أردى أباه أبوهم ... فبات بقلب بالجوى يتقلّب
وصادف منهم غرّة بعد أن غدا ... عداد سنين راصداً يتطلّب
فغادرهم صرعى فهم نصب عينها ... بعين لهم ترعى وروح تغيّب
بأوهى قوى منهنّ ساعة فارقت ... حسيناً ونادى سائق الركب: اركبوا
فركبن حسرى لا قناع ولا ردى ... سوى الصون يحمي والأشعة تحجب
ورحن كما شاء العدو بعولة ... يذوب الصفا منها ويشجي المحصّب
أُسارى بلا قاد ولا من مناجد ... يعنّفها حاد ويقسو مركّب
إلى الله أشكو لوعة عند ذكرهم ... تسح لها العينان والخد يشرب

(١) يثغب: يصيح.

أمـا فـيكم يـا أُمّـة السوء غـيرة ... إذا لم يكـن ديـن ولم يك مـذهب
بـنات رسـول الله تسـبى حـواسراً ... ونسوتكم بالصون تـحمى وتـحجب
بـوادي للـرائـين مـن كـلّ نـاظر ... يـصعد فـيها طـرفه ويـصوب
إذا لم يكـن حبّ القـرابـة قـربة ... فـياليت شـعري بـعدها مـاالتـقرّب
أبـادوهم قـتلاً وأسـراً ومـثلة ... كأنّ رسـول الله ليس لهـم أب
كأنّ رسـول الله مـن حكـم شـرعه ... عـلى أهـله أن يـقتلوا أو يـصلّبوا
أو أن بـنيه ديـنهم غـير ديـنه ... فشـرق يـبغى رشـد قـوم وغـرّبوا
أو أنّـهم قـد نـافقوا بـعد مـوته ... فـحظّهم فـي المسـلمين التـجنب
يـذادون أمـثال الغـرائب خـالط الصحيحة منها صاحب العرّ أجرب
فـفي كـلّ نـجد والبـلاد وحـاجر ... لهـم قـمر يـهوى وشـمس تـغيّب
كأن لم يكن هـدي النـبيين هـديهم ... ولا حـبهم فـرض مـن الله يـوجب
بني الوحي يا كهف الطريد ومن بـهم ... يـلوذ فـينجو الخـائف المـترقّب
مـنازلكم للـنازلين مـرابـع ... يريف بها عـاف ويـخصب مـجدب
وأيـديكم للسـائلين سـحائب ... يـهل بـها عـذب النـوال ويسكب
وأسيافكم حـمر الضبا يـوم مـعرك ... لهـا الهـام مـلهى والتـرائب مـلعب
وأكـنافكم للـمعتفين تـحوطهم ... بأشـفق مـن أم ومـن واصـل أب
ومـجدكم ذاك المـدى كـفّ فـاقتي ... تـمد له دون البـرايـا وتـنصب
وعـيني إليكم لا إلى مـن عـداكم ... وإن كان من قد كـان تـرنو وتـرقب
وقـصد سـواكم لا تـؤم ركـائبي ... وإن كـان بـالنعماء واديـه مـخصب
فـيأس تـراه النـفس مـنكم وخـيبة ... وأحب لقلبي مـن سـواكـم وأرغب
فـمنعكم لي أي نـعمى وغـيركم ... نـداه ردى أشـقى بـه وأعـذب
وخـلب بـرق مـنكم فـوق مـطلبي ... وبرق السوى عندي وإن جاد خلب

فحسبي إذا ما كان حسبي أنتم ... ويا رب حسب حسبه ليس يحسب
فجد يابن طه بالذي أنت أهله ... فأنت الذي أرجو وإيّاك أطلب
وكن حاضري عند احتضاري وناصري ... إذا ما أتاني منكر وهو مغضب
ولي منك موعود أرجى نجاحه ... وموعدك الحق الذي ليس يكذب

* * *

وله أيضاً في رثاء الحسين عليه السلام:

سفه وقوفك في عراص الدار ... من بعد رحلة زينب ونوار
ما أنت واللفتات في أكنافها ... ظعن الفريق وخف عنك الساري
أخلت فؤادك من عزائك نيّة ... أخلت سماءك من سنا الأقمار
ما كان أحلى من سؤالك منّة ... لو كان تدفع عنك لاهب نار
جهل بهذا الدار أن تر عندها ... ما لا يراه متيم من دار
أم ضاع حلمك يوم بادرها النوى ... نادت ببدرك للرحيل بدار
فأتيت تسأل رجعة من ذاهب ... ما للرجوع وسالف الأعصار
كم قد أتيت الدار أسألها على ... ما كان من عذر ومن إعذار
نشوان تشرب ماء دمعي وجنتي ... من بعد ري ملابسي وإزاري
فإذا بها عجماء تنطق عن حشاً ... متصاعد الأنفاس بالتزفار
فرجعت لا الوجد القديم مزحزح ... عنّي ولا كفّي خلت من طاري
حيران مطوي الظلوع على حشا ... منهوكة بالوجد ذات عوار
يا دار أمك زور شوق ما لهم ... غير اللقا من مقصد الزوار
وصلوك إذ هجروا على علل السرى ... لك جانب الأوطان والأوطار

وصلوك بالشوق الجميع وإن غدو ... يتشعّبون تشعّب الأعشار[1]

وافوك من بعد الأنيس وأصبحوا ... يرضون بعد العين بالآثار

حيّوك وفد زائرون فأنعمي ... ما في تحيّة زائر من عار

فعلام يا باب الديار وأهلها ... لا ترجعن تحيّة الزوّار

هل زلّ رأيك أم رماك بخطبه ... صرف الزمان وطارق المقدار

لا صلح بعدك والمدى أن تلتقي ... والنقع كاس والمهنّد عاري

للسلم حسن ساعة فإذا انتفت ... قبحت مواقعه على الأنظار

أترى الزمان يظنّني أغضي على ... ما كان من هظمي ومن إضراري

أبدى لأعين حاسديّ مقاتلي ... وأزاح عن أرض الحبيب مزاري

آليت لا ألقاه إلّا واحداً ... في جمعه خلق الهزبر الضاري

فليجلبن ما شاء من أجناده ... الغربات والتفريق والإعسار

لا عيب من محن الزمان فإنّما ... خلق الزمان مهانة الأحرار

أوما كفاك من الزمان فعاله ... ببني النبي وآله الأطهار

ولعت بفارع قدرهم أخطاره ... ما أولع الأخطار بالأقدار

الذكر أجمل حين يقرأ قاريء ... والجود أكمل حين يطرق قاري[2]

بيض يريك جمالهم وجلالهم ... تمّ البدور عشية الأسرار

يكسو ظلام الليل نور وجوههم ... لون الشموس وزينة الأقمار

شرعوا بصافية الفخار وخلفوا ... للواردين تكفّف الآسار[3]

---

(١) الأعشار: جمع عشر بكسر العين وهي الإبل التي ترد الماء يوم عشرها.

(٢) القاري: طالب القرى.

(٣) الآسار: جمع سؤر بضمّ السين هو فاضل الشراب.

يـلقي العفاة[1] بغير منّ منهم ... كالصبح مبتسماً بوجه الساري
خطباء إن شهدوا الندى ترى لهم ... فيه شقاشق فحله الهدّار
فإذا هم شهدوا الكريهة أبرزوا ... غلباً تردّ به الهزبر الضاري
فإن احتبى بهم الظلام رأيت في ... المحراب سجع نوائح الأسحار
لا تستبين كلامهم فكأنّهم ... قد خولطوا من خشية الجبّار
تخفي عبارة ذكرهم عبراتهم ... عنهم فلست ترى سوى استعبار
هادون في طول القيام كأنّهم ... بين السواري[2] الجامدات سواري
يمسون من طي الهجيرة لم تذق ... إلّا القراح تحلة الإفطار
وتبيت صبيتهم على ذاك الطوى ... مشغولة بتتابع الأذكار
وتبيت ضيفهم بأنعم ليلة ... لم يحص عدّتها من الأعمار
للكون من أنفاسهم طيب الشذا ... أرجاً كجيب الغادة المعطار
فكأنّما الآصال من أردانهم ... نفس الصبا بخمائل الأزهار
وكأنّما الساحات من آثارهم ... روض الكلى متتابع الأمطار
ما شئت من نسب وعظم جلالة ... فانسب وقل تصدق بغير عثار
وحياة نفس فضلهم لو لم يكن ... تدلي مصائبهم لها ببوار
وكفاك لولم تدر إلّا كربلا ... يوم ابن حيدر والسيوف عواري
أيام قاد الخيل توسع شأنها ... من تحت كلّ شمردل مغوار
هيّج إلى الحرب العوان كأنّما ... تبدي لهم عذراء ذات خمار
يمشون في ظل السيوف تبختراً ... مشي النزيف[3] معاقراً لعقار

---

(١) العفاة: جمع عاف وهو الفقير المعدم.
(٢) السواري: جمع سارية، وهي الاسطوانة.
(٣) النزيف: السكران.

وتناهبت أجسادهم بيض الظبا ... فمسربل بدم الوتين وعاري
وانصاع نحو الجيش شبل الضيغم ... الكرار شبه الضيغم الكرار
يوفي على الغمرات لا يلوي به ... فقد الظهير وقلّة الأنصار
لليوم من أنواره وقد انكفت[1] ... بنهاره الهبوات خير نهار
يلقى الالوف بمثلها من نفسه ... فكلاهما في فيلق جرار
غيران يبتدر الصفوف كأنّه ... يجري وإيّاها إلى مضمار
أمضى من الليث الهزبر وقد نبا ... رمح الكمي وصارم المغوار
فكأنّما الدفعات ساعة يلتقي ... حلق الوفود عشيّة الأيسار
شهذارة[2] في السرج غرب لسانه ... في الجمع مثل حسامه البتّار
حتّى أتته من العناد مراشة ... شلّت يد الرامي لها والباري
وهوى فقل في الطود خرّ فأصبح ... الرجفان وفق قواعد الأقطار
بأبي وأمّي عافرون على الثرى ... أكفانهم نسج الرياح الذاري
تصدى نحورهم فينبعث الشذا ... فكأنّما تصدى بمسك دارى
ومطرّحون تكاد من أنوارهم ... يبدو لعينك باطن الأسرار
نفست[3] بهم أرض الطفوف فأصبحت ... تدعى بهم بمشارق الأنوار
بالبيت أقسم والركاب تحجّه ... قصداً لادكن قالص الأستار
لولا السقيفة والذين تسبرّموا ... نقضاً لحكم الواحد القهّار
فنفوا مقام نبيّهم عن ربّه ... ومضوا بنحلة بضعة المختار
لم يلف سبط محمّد في كربلا ... يوماً بهاجرة الظهيرة عاري

(١) انكفت انبثت والهبوات جمع هبوة وهي العبرة.
(٢) شهداره وشهذاره الكثير الكلام.
(٣) نفست أي ثمنت.

تـطأ الخـيول جـبينه وضـلوعه ... بسـنابك الإيـراد والإصـدار

كـلّا ولا راحت بـنات مـحمّد ... يشهرن فـي الفـلوات والأمـصار

حسرى تقاذفها السهول إلى الربـا ... وتـلقّها الأنـجاد بـالأغوار

تسبى فقل في الزنج تملك أمـرها ... أيـدي الجـفاة وألسـن الأشـرار

ضـربا وسـحباً وانـتهاك مـحارم ... وسـباً وسـبياً بـعد غـربة دار

يطوى بهنّ عـلى الطـوى وقـلوبها ... يـطوين مـن ثكـل غـلى كـالنار

حسرى الوجوه غداة لا من سـاتر ... يـحمي المـحاسن أعـين النـظار

ما بـعد هـتكك يـا بـنات مـحمّد ... في الدهر هتك مـصونة مـن عـار

كـلّا ولا لأبـي ضـيم بـعدها ... يأبـى تـحمل ذلّـة وصـغار

للـهتك بـعدك سـتر كـلّ مـصونة ... ولدى المـهانة نـخوة الجـبّار

ما العزّ مكسب لابسـيه بـعيدها[1] ... شـرفا ولا مـدل لهـم بـفخار

أم أي نـدب بـعد نـدبك يـبتغي ... شـيم الغـيور وشـيمة المـغوار

قـدر أصـارك للـخطوب دريـة[2] ... هـو فـي البـرية واحـد الأقـدار

لم يـلبسوك غـداة يـنزع بـينهم ... بـرديك بـردي عـفة ووقـار

فالصون حيث النـفس لا مـا ظـنّه ... قـوم بـحيث خـميصة[3] وإزار

يـا طـالباً بـالثأر وقـيت الردى ... طـال المـقام عـلى طـلاب الثـار

يا مدرك الأوتار قد طـال المـدى ... طـال المـدى يـا مـدرك الأوتـار

يابن النبي وخـير مـن عـلقت بـه ... كـفّ الولي ووالد الأبـرار

أنـا عـبدكم ولكـم ولاي وفـيكم ... أمـلي ونـحو نـداكـم اسـتظاري

---

(١) بعيدها مصغر بعدها.

(٢) الدرية: غرض السهام.

(٣) الخميصة: الكساء الأسود.

وإليك أهديت القريض فرائداً ... منظومة بغرائب الأشعار
فاعطف علي ففي من ضعف القوى ... ماليس بالخافي على الابصار
وعلي من أصر الذنوب عظائم ... وعلى علاك حمالة الآصار[1]
وعلاك كافلة بما أرجو من ... الصفح الجميل وحطة الأوزار
والدهر قرن لست من أكفائه ... إن لم تكونوا عنده أنصاري
أفتاركي يابن النبي وما أنا ... هيهات لا والواحد القهّار
ثمّ الصلاة على النبي وآله ... ما ناحت الورقاء في الأوكار

* * *

وله أيضاً في رثاء الحسين عليه السلام:

إن تكن كربلا فحيّوا رباها ... واطمئنّوا بها نشم ثراها
والثموا جواها الأنيق على ما ... كان في القلب من حريق جواها
واغمروها بأحمر الدمع سقياً ... فكرام الورى سقتها دماها
قلت للقلب حين فارق مغناها ... ويشتاق بعد ذاك لقاها
كنت واصلتها ملياً قديماً ... فلم اخترت بعد وصل جفاها
ما بأحيائها علقت فتجفوا ... حيث محياك يسكنون ثراها
كان أولى بها إليك قبور ... كنت مغري الحشا بفرط هواها
فعلام البعاد بعد التداني ... من رباها وقد عشقت رباها
بئسما أنت إذ تخيّرت أهلا ... من ذويها ومنزلا من سواها
وتخيّرت دونها في أُناس ... حظّ عينيك من لقاهم قذاها

---

(١) الآصار: جمع أصر مثلثة الهمزة وهو الثقل.

فـلك اللـوم لا لغـيرك شـوقاً ... قلت واهاً أم حسـرة قـلت آهـا
وبـنفسي مـودعون وفـي العـ ... ـيـن بكاها وفي القـلوب لظـاها
مـن بـحور تـضمّنتها قـبور ... وبدور قد غيّبتها رباها
ركبوا والقضا بأضـعانهم يسـري ... وحادي الردى أمام سراها
والمساعي مـن خـلفهم نـادبات ... والمعالي مشغولة بشجاها
سـاكـبات الدمـوع لا يـتلاقى ... بين أجفانها وبين كراها
وكأنّـي بـها عشـيّة ألقـى ... سبط خير الورى الركـاب لداهـا
يسأل القـوم وهـو أعـلم حـتّى ... بعد لأي إن صـرّحوا بسـماها[1]
إنّـها كـربلا فـقال اسـتقلّوا ... فعلينا قد كرّ حتم بلاها
فـلديها قـبور مـختلف الزوار ... فيها صباحها ومساها
وبـها تـهتك الكـرائـم مـنّا ... ورؤس الكـرام تـعلوا قـناها
وتبدّت شـوارع الخـيل والسـمر ... وفرسانها يرف لواها
تـتداعـى ثـارات بـدر ولمـا ... يكـفها كـبد حـمزة وكـلاها
فدعى صحبه هـلمّوا فـقد أسمـ ... ـع داعي المـنون نـفسي رداهـا
كـنت عـرضتكم لمـحبوب أمـر ... إن تـروا فـيه غـبطة وارتـفاها
فإذا الأمر عكس مـا قـد رجـونا ... مـحنة فـاجأت وأُخـرى ولاهـا
فأجاب الجميع عن صدق نـفس ... أجمعت أمرها وحازت هـداهـا
ولك مـعنى بـه تـقدّست ذاتـاً ... وجـلال بـه تـعاليت جـاها
لا نـخلّيك أو نـخلّي الأعـادي ... تـتخلّى رؤسـها عـن طـلاها[2]

(١) السما: بضم السين الاسم.
(٢) طلى: جمع طلية بضم الطاء وهي الرقبة.

أو تـنال السـيوف منّا غـذاهـا ... أو تـروّي الرمـاح منّا ظـماها
ثمّ مـع ذاك لم يكـن قـد قـضينا ... مـن حـقوق لزمـننا أدنـاها
كيف تقضي العبيد من حقّ مولى ... شكـر نـعماه نـعمة أولاهـا
فـجزاهـا خـيراً فـليت لنـفسي ... بعض حظّ ممّا بـه قـد جـزاهـا
واستبانت على الوفـا تـتواصـاه ... وأضـحى كـما تـواصت وفـاها
تـتهادى إلى الطـعان اشـتياقاً ... ليت شعري هل في فـناها بـقاها
ولقـد أخـبر الرواة حـديثاً ... صحّ لي عـن طـريقتي وهـداهـا
إنّه لم يـصب حسـيناً مـن القـوم ... جـراح إلّا عـقيب فـناها
لم تكـن تـرتقي إليـه سـهام ... دون أن تـفتدي حشـاه حشـاها
تتلقى نـحورها البـيض والسـمر ... ومقصودها لنحر سواها
ذاك حـتّى ثـوت مـوزّعة الأشـ ... ـلاء صرعى سافي الرياح كساها
وامـتطى النـدب مـهره لا يـبالي ... أشأتـه[1] مـنونه أم شآهـا
يـتلقى القـنا بـباسم ثـغر ... مـتلقى العـفاة حـين بـراهـا
مطمئناً حيث الالوف ، فـراداهـا ... سـواء فـي عـينيه وثـناها
تـنفر الأسـد خـيفة أن تـراه ... وهـي تـدريه أنّـه مـا يـراهـا
تـبتغي مـنهج الفـرار وأنّـى ... والعـفرنى هـناك سدّ فـضاها
مـقريا وافـديه نسـراً وذئـباً ... لحم أسد لحـم الأُسـود قـراهـا
فـيض كـف ردى العـداة نـدى ... للوحش أفدي يداً رداها نـداهـا
وإذا ابـن النـبي هـاج لحـرب ... أخصبت وحشها ورافت[2] فلاها

---

(١) شأى القوم بمعنى سبقهم.
(٢) رافت الأرض أي خصبت بالزرع.

وانبرت نبلة فشلّت يدا رجس ... رماها وكفّ علج براها
وهوى الأخشب الأشم فماجت ... نقطة الكون أرضها وسماها
وأتى ابن الضباب ينضي حساما ... حيث أمضت كفّ القضا منتضاها
ففرى بالحسام ثغرة نحر ... طال ما طال مص طه لماها
وانثنى بالكريم في الرمح لا يشـ ... ـعر حلماً ولا يفيق انتباها
معجباً بالذي أتاه من الخطب ... وقد يعجب السفيه السفاها
ويله لو درى غداة تباهى ... أيّ عظمى وأيّ جلى أتاها
أي صدر بنعله قد رقاها ... أيّ نحر بنصله قد فراها
وانثنى المهر بالظليمة عاري السـ ... ـرج ناع للمكرمات فتاها
وأتت زينب الرزايا وقد كضّ ... جوى الثكل قلبها وقواها
أذهل الثكل قلبها فتبدّت ... وهي لم تدر سافراً من خباها
طلبت صنوها فعزّ عليها ... فانثنت بالجوى تنادي أباها
يا أبانا قد أدرك الوتر منّا ... عصبة الشرك واشتفت أحشاها
أبرزت كامن الغليل وروّت ... من دمانا غليلها وصداها
لم تزل تقتضي الديون اللواتي ... فيك حتّى كان الطفوف قضاها
ما كفاها أكل الكبود بأحد ... عن حسين في كربلا مذ أتاها
ليتها إذ رمته بالقتل أمسى ... غير قتل الكريم منه شفاها
وارتضت ذبحه شفاء عن الراس ... ليعلى على رؤوس قناها
ما كفاها قتل الكريم عن الأسر ... لنسوانه وذلّ سباها
لا ولا حملها أُسارى بذلّ ... دون ابرازها لعين عداها
باديات الوجوه اعوزها من ... بعد سلب القناع سلب رداها
يتروى وجوهها كلّ رآء ... غير أنّ العفاف صان علاها

يـتصفّحن للأعـادي وهـيهات ... لامـر قـد خـاب فـيه رجـاها
تترجّـى ابـن حـرّة فـي البـرايـا ... عـلّه أن يـرى فـيحمي حـماها
يـا لقـومي لعـصبة عـصت الله ... وأضـحى لهـا هـواهـا إلهـا
عجبت من فعالها الكـفر ليت الد ... ـيـن يـوماً فـي كـفرها أبـقاها
ودعـاها إلى شـقاها يـزيد ... فاستجابت تاهت لعـمري وتـاها
أسـخطت أحـمد ليـرضى يـزيد ... ويـلها مـا أضـلّها عـن هـداهـا
ثـمّ مـع ذاك تـرتجي أنّـها مـنه ... فيا للرجال ما أعماها
يابن من شرف البـراق وفـاق الـ ... ـكـل والسـبعة الطـباق طـواهـا
ورقـى حـيث لا مـقرّب يـرقى ... لا ولا مـرسل هـنالك فـاها
قـاب قـوسين دق مـعنى فـيا ... لله مـعنى مـقام أو أدنـاها
إن تمنى العدا لك النـقص بـالقتل ... فـقد كـان فـيه عكس مـناها
حـاولت نـيلها عـلاك فأعـياها ... وأتـى مـن الثـريا ثـراهـا
فأتـاحت لك السـيوف فـجاءت ... لك تـهدي مـن العـلا أعـلاها
أين من مجدك المـنيع الأعـادي ... وبك الله فـي العـناية بـاها
مـجدك الفـاخر الذي شـيّدته ... آل عـمرانـها وأخت سـباها
وعـليك اعـتماد نـفسي فـيما ... أمّـلته ومـا جـنته يـداهـا
وذنـوبي وإن عـظمن فـإنّي ... بك يـابن الكـرام لا أخشـاها
وبـميسور مـا اسـتطعت ثـنائي ... والهـدايـا بـقدر مـن أهـداهـا

* * *

وله أيضاً في رثاء الحسين عليه السلام:

هنا الربع لا بين الدخـول فـحومل ... فـعطفاً عـلينا يـابنة القـوم وانـزلي

صحبتك فاستصحبك عذلك جاهلا ... كأنّـــي لم أصـــحبك إلّا لتـــعذلي
دعـــيني واشـجاني أُكـابد حـملها ... فإنّ الذي بي فوق رضوى[1] ويذبل
تلومين دمعي يابنة القوم إن جـرى ... عـلى طـلل عـاف ورسـم مـعطل
تـــقولين تـبكي مـنزلا بـان أهـله ... ولم تـــعلمي يـــا هـــذه أيّ مـنزل
ســـلي يـــابنة الأقـوام ثـمّ تـبيّني ... فإن ساغ حكم اللوم عندك فاعذلي
وكيف ادخار الدمع عن خير مـنزل ... تضمن من خـير الورى خـير نـزل
من البيض بسامون في كـلّ مـعرك ... من البيض مشغول الفراغين ممتلي
بنو الوحي يتلى والمـناقب تـجتلى ... وغـــر المســـاعي أولا بـــعد أوّل
لهـم كـلّ مـجد شـامل كـلّ رفـعة ... لهم كـلّ حـمد شـاغل كـلّ مـحفل
بنو المصطفى الهادي وحسبك نسبة ... تـــفرع عـن أسـمى نـبي ومـرسل
ســـحائب افـــضال بـدور فـضائل ... كـــواكب إجـــلال بـحور تـفضلي
غيوث ليوث يومي السلم والوغـى ... مـــمات حـــياة للـمعادي وللـولي
فاكـنافهم خـضر الربـا يـوم فـاقة ... وأسيافهم حمر الظـبا يـوم مـعضل
وأنـــوارهـــم فـــتح لرشـد مـوفق ... وآثـــارهم حـــتف لغـــي مـضلّل
إذا سوبقوا يوم الفخار انـتهت بـهم ... سوابـق للـمجد القـديم المـؤثل[2]
تـــراهـــم ركـوعا سـجّداً وأكـفّهم ... نـــوافـــلها[3] مـــخلوطة بـــالتنفل
وعين العلى والعلم فيهم فهل تـرى ... سـوى لا ولم للـطالب المـتوغل[4]

---

(١) رضوى ويذبل: جبلان يضرب بهما المثل لعظمتهما.

(٢) المؤثل: العريق في الأصل والنسب.

(٣) النوافل: جمع نافلة وهي العطية والهبة ومنه أعطى نافلة من المعروف والتنفل هي صلاة النوافل.

(٤) المتوغل في الشيء: المتسرع فيه.

مـناجيد أزوال[1] أمـاجيد سـادة ... صـناديد ابـطال ضـراغـم جـحفل

فسل بـهم ركب البـلا سـاعة البـلا ... اناخ والقى الخطب فيها بكـلكل[2]

فهل ضاق ذرعا بالفناكـل أمـثل[3] ... وقد ضاق ذرعا بالقناكل هوجل[4]

سروا يقطعون الخيل والليل والفـلا ... بعزم متى يستسهل الصـعب يسـهل

يـؤم بـهم طـلاب مـجد مـؤثل ... تـورثه عـن أمـثل بـعد أمـثل

طلابا بـصدر الرمـح يـرعف أنـفه ... دمـا لا بكـفّ السـائل المـتوسل

غـداة رمـته آل حـرب بـحربها ... وقادت إليه القود[5] في كلّ جـحفل

غداة التقى الجمعان في طفّ كـربلا ... وما كـربلا عـن يـوم بـدر بـمعزل

وقد سدّت الآفاق بـالنقع والوغـى ... فلم تر إلّا جحفلا تـحت قسـطل[6]

وقد زعزعت ريح الجلاد فـهيّجت ... ركـام[7] سـحاب بـالمنية مسـبل

وقـامت رجـال الله مـن دون آله ... تشبّ لظى الحرب العوان وتصطلي

بكلّ خفيف الحاذ[8] من فوق سابق ... تخال به الفتخاء[9] من تحت أجدل

فكم مارق[10] بالرمح ثـغرة مـارق ... وكم فاصل بـالسيف هـامة فـيصل

---

(١) أزوال: جمع زول وهو الرجل الجواد الفطن.

(٢) الكلكل: الصدر أو مابين الترقوتين.

(٣) الأمثل الأفضل جمع أماثل ومنه أماثل القوم أي أخيارهم.

(٤) الهوجل: الدليل الحاذق.

(٥) القود: الخيل.

(٦) القسطل: الغبار الساطع في الحرب.

(٧) الركام: السحاب الماطر.

(٨) خفيف الحاذ: كلمة تقال لمن خفّ ظهره من همّ المال والعيال.

(٩) الفتخاء: العقاب اللين الجناح والأجدل الصقر.

(١٠) المارق: الطاعن المستعجل والمراق الثاني الخارج عن الدين.

فطارت فراخ الهام إذ أطلقت بها ... أكفّهم عقبان بيض وأنصل
وبان لهم سرّ هناك فعجّلوا ... سرى البين نحو المنزل المتأهّل
فناموا على الرمضاء بين معفّر ... بها الوجه أو دامي الجبين مرمّل
وظلّ أخو الهيجاء يحمل شكة[1] ... على سابح موج المنيّة هيكل
أخو همم يأتي بكلّ عجيبة ... تروق لعين الناظر المتأمّل
وكرّ بمستنّ المكر بصارم ... تبادره الهامات من غير أرجل
ترى منه بدراً قد تسنّم شاهقاً ... تسربل بحراً حاملا متن جدول
فأوتر ظعناً كالحريق معجّلا ... وثنّى بضرب كالحريق مرعبل[2]
تراه كأن الطعن يهدي له المنى ... فيبدوا بوجه الباسم المتهلل
كأنّ ظلام النقع يبدي لعينه ... ضياء صباح بالمسرّة مقبل
كأنّ المنايا السود بيض خرائد ... تعاطيه بعد الهجر عذب لمقبل
وأوتر رجس نحوه بمراشة ... كثيرة وبل الشر عيطاء[3] عيطل
وثنّى سنان نحوه بسنانه ... فجدّ له لهفي له من مجدّل
وأقبل شمر حين أدبر حظّه ... فشمّر عن ماضي الغرارين منصل
وأدبر ينحو الفاطميّات مهره ... بعولة عان ناعياً للمعول
فقامت بها الآمال تعدوا إلى الردى ... سراعاً ولا يدرين حال المؤمّل
فأبصرن ربّ الجود خلواً جواده ... وطود العلى قد حطّه الحتف من علي
فجئن فألفين الضبابي سيفه ... يفصل من نحر الهدى كلّ مفصل
فعالقة أذيال شمر تذوده ... دفاعاً وطوراً بالبكا والتوسّل

---

(١) الشكة: بكسر الشين السلاح.

(٢) مرعبل: بكسر الباء أي مشقق.

(٣) العيطاء: الطويل العنق وكذلك العيطل.

تقول له يا شمر والدمع قد جرى ... على خدّها مثل الجمان المفصل
أيا شمر دعني والحبيب لعلّني ... أبلّ غليلاً منه قبل التحمّل
ولا تحرمني ساعة قرب سيّدي ... فإنّك عمر الدهر يا شمر مثكلي
أيا شمر من للجود بعد وجوده ... ومن لبني الآمال بعد المؤمل
أيا شمر من للفضل يرعاه إن تكن ... قطعت بحدّ السيف رأس المفضل
ومرّت تنادي السبط وهو مجدّل ... وتندبه يا موئلي ومؤمّلي
تقول ألا يا واحداً نسجت له الصـ ... ـبا والظبا بردي نجيع وجندل
ويا واحداً ما للمساكين غيره ... إذا ما أثارت قسطلاً أم قسطل
ويا ماجداً إن هجّر[1] الخطب واعتدت ... تريد اليتامى عندها ظلّ موئل
ويا منية السارين حين يلفّهم ... بليلان من ظلّى سقيط وشمأل
ويا حسناً قد غاب عنّي جماله ... أراني قبيحاً فيه حسن التجمّل
لتبك المعالي بعد يومك شجوها ... بكاء العطايا والنوال المعجّل
فقل لبني الحاجات خلو عن السرى ... وقطع الفيافي مجهلا[2] بعد مجهل
وقل لمذاكي الجود لا تصحبي الوغى ... ولا تركضي في جحفل تحت قسطل
وقل لمطايا السير ما أنت والفلا ... فلا ظل منهال ولا ظل منهل
وقل للوغى صبراً فلا رفع قسطل ... ولا ركض فرسان ولا ركز ذبل
وقل لليتامى والأيامى قضى الذي ... عليه عيال كلّ عاف ومرمل
وقل لعلوم الحق ويحك بعدها ... من المعتدي والجاهل المتعقّل
فلا دفع إيراد ولا رفع مبهم ... ولا كشف إجمال ولا حلّ مشكل

---

(١) هجر الخطب: أي بادر وبكر.

(٢) المجهل: المفازة التي لا يهتدى فيها.

أتـــتركني مـــابين لاه ولاعب ... وذو جـدل لم يـعط نـصفاً ومـبطل
مضى الماجد الضرغام والواحد الذي ... تـحمل مـن كـلّ العـلا كـلّ مـثقل
ربـيع اليـتامى المـعتفين وكـا ... فل الأيامى وأمن الخايف المتوجّل
أقـــول لركب كـــالقسي تـــفوقوا ... ذرى مثلها من كلّ وجناء عـيهل[1]
قفوا بي إذ أبان الطفوف وأعـرضت ... مخايل ذاك العارض المـتجلجل[2]
وحلّوا من الأكوار وابتدروا الثرى ... فما بعد صدي للـصدى ري مـنهل
وقوموا بـنا يـا قـوم نـبكي بـربعها ... لأشـــرف مـقتول بأشـرف مـنزل
لثاو على الرمـضاء لم يـلق مشـفقاً ... على الترب عـار بـالنجيع مسـربل
لهـيف الحشـا واري الفـؤاد مـقطّع ... ببيض الضبا ناء عن الأهـل مـهمل
مُـخلّى بـقفر البـيد مسـتلب الردى ... تـريب المـحيّا[3] مـيّت لم يـغسّل
قـتيل بـلا ذنب مـعلّى بـرأسـه ... على الرمح مأسـور النسـاء مـذلّل
عليك ابن خير المـرسلين تأسّـفي ... وافـراط أحـزانـي ووجـد يـلذّ لي
فليت حساماً خـصّ نـحرك وقـعه ... أُصـيب بـه دون البـريّة مـقتلي
وليت القنا المهدي إلى نفسك الفـنا ... شربت به وهو المـنى كأس حـنظل
وليت العوادي عدن جسمي ففصّلت ... سنابكها مـن دون ظـهرك مـحملي
ومالي على ما كان من فوت نصركم ... سوى عـبرة أو قـرع سـنّ بـمفصل
وهل ينفع الراوي وقد فـاته الروى ... تـحدر دمـع فـوق خـدّيه مـهمل؟
وإن أرج فيك الفـوز يـابن مـحمّد ... فـإنّك بـالأمر الذي تـرتجي مـلي

---

(١) العيهل: الناقة السريعة.
(٢) المتجلجل: الشديد.
(٣) المحيّا: الوجه.

وإن أجر في مضمار مدحك فسكلا ... فهل سابق فيما هنا غير فسكل[1]
وما قدر شعري في علاك وذوالعلى ... حباك بخير المدح في خير منزل
ليهن القوافي إن حوت فيك مدحة ... ويهنيك مدح المحكم المتنزّل

* * *

وله أيضاً في رثاء الحسين عليه السلام:

أما طلل يا سعد هذا فتسأل ... نزالى فهذي الدار إن كنت تنزل
أما منزل يشجيك إن كنت عاشقاً ... فهل عاشق من ليس يشجيه منزل؟
هي الدار لا شوقي إليها وإن خلت ... يحال، ولا عن ساكنيها يحوّل
قفوا بي على أطلالها علنا نرى ... سميعاً فنشكوا أو مجيباً فنسأل
وعجوا إليها بالحنين وأضرموا ... بأكنافها نار التصابي وأشعلوا
عساها إذا ما أبصرت لاعج الحشا ... تجيب فتشفي ذا ضنى أو تعلّل
أبت شقوتي إلّا هواها وأهلها ... وإن بان عنها أهلها وتحمّلوا
إلى الله كم تلحو اللواحي وتعذل ... وكم أبتدي عذراً وكم أتنصّل؟؟
يريدون بي مستبدلا عن أحبّتي ... أحالوا لعمري في الهوى وتمحّلوا[2]
وقد علم اللاحون أنّ أخا الهوى ... إلى اللوم لا يصغي ولا يتعقّل
متى كانت العذال تنصح عاشقاً؟ ... متى كانت العشّاق للنصح تقبل؟
على الدار منّي ألف ألف تحيّة ... وإن غضبت منها وشاة وعُذل
وغزالة بعد النوى تطلب الصفا ... وهيهات ما بعد النوى متغزّل

(١) الفسكل: الفرس الذي يجيء آخراً في المباراة.
(٢) تمحّل بالشيء: تكلّف به.

أبعد نوى الهادين من آل هاشم ... يروقك غزلان ويصبيك غزّل؟
بنو الحسب الوضّاح والمحتد الذي ... مغانيه في العلياء لا تتعقّل
بهاليل أمثال البدور زواهر ... وليل الوغى مستحلك اللون أليل[1]
تفانوا على المجد المؤثل في العلا ... كذلكم المجد المؤثل يفعل
أبادهم المجد التليد إبادة ... فأفناهم والمجد للحرّ أقتل
ولا يومهم وابن النبي بكربلا ... وللنقع في جوّ السماكين قسطل[2]
يكرُّ فتنحو نحوه هاشميّة ... فوارس أمثال الضراغم ترقل
فوارس أمثال الضراغم في الوغى ... من الحزم لا من خفّة الطعن جفل
فوارس من عليا قريش وخندف ... لهم سالف في المجد يروى وينقل
فوارس إذ نادى الصريخ ترى لهم ... مكاناً بمستنّ الوغى ليس يجهل
يؤم بهم للمطلب الصعب أصعب ... مقبل أطراف البنان مبجّل
ومنخرق السربال لم يوف عهده ... غداة يوافيه الكمي[3] المسربل
بكلّ فتى عدل القضا جائر القنا ... صدوق كثير الطعن فيه معدل
إلى أن ثووا تحت العجاج تلفّهم ... ثياب علا منها قِني[4] وأنصل
فظلّ وحيداً واحد العصر عزمه ... كما ظلّ مطوي الضلوع شمردل
وشدّ على قلب الكتيبة مهره ... فراحت ثباً مثل المهى تتجفّل

---

(١) ليل أليل: شديد السواد.

(٢) السماكان: كوكبان نيران يقال لأحدهما السماك الرامح لأنّ أمامه كوكبا صغيراً يقال له «راية السماك ورمحه» وللآخر السماك الأعزل إذ ليس أمامه شيء. والقسطل والقسطال والقسطلان: الغبار الساطع في الحرب.

(٣) الكمي: الشجاع.

(٤) القني جمع قناة: الرمح.

أخـو نـجدة لم يـثنه عـن عـزيمة ... سـنان ولم يـمنعه مـا رام مـنصل
يكـرّ فـلا تـلقاه إلّا جـماجماً ... تـطير وأجسـاداً هـنالك تـزمل
وإلّا طـلى تـبرى ومعتقلا يـرى ... وسـابغة تـفرى وعـضب يـفلّل
فديتك كم من مشكل لك في الوغى ... ألا كلّ معنى مـن مـعانيك مشكـل؟
تحيي القنا رحباً وقد ضـاقت الفـضا ... وتـوسعها ريّـاً وقـلبك مشـعل
فـتلك مـنايا أم أمـان تـنالها ... وذاك حـريق أو رحـيق مـعسّل؟؟
وما زال يـفري النـحر والثـغر سـيفه ... ويـعقل ضـرغاماً وآخـر يـرسل
إلى أن أتاه في الحشـا سـهم مـارقٍ ... فـخرّ فـقل فـي يـذبل[1] فـلّ يـذبل
وأدبـر يـنحو المـحصنات حـصانه ... يـحنّ ومـن عـظم البـليّة يـعول
وأقـبلن ربّـات الحـجال وللأسـى ... تـفاصيل لا يـحصى لهـنّ مـفصل
فواحدة تحنو عليه تضمّه ... وأُخرى عليه بالرداء تظلّل
وأُخرى بفيض النحر تـصبغ وجـهها ... وأُخـرى لمـا قـد نـالها ليس تـعقل
وأُخـرى عـلى خـوف تـلوذ بـجنبه ... وأُخـرى تـفديه وأُخـرى تـقبّل
تكـفّ الدمـا عـنه وتـهمل مـثلها ... دمـوعاً فـلم تـبرح تكـفّ وتـهمل
وأُخرى دهاها فـادح الخـطب بـغتة ... فأذهـلها والخـطب يـدهي ويـذهل
وجـاءت لشـمر زيـنب ابـنة فـاطم ... تـعنّفه عـن أمـره وتـعذّل
تـدافـعه بـالكفّ طـوراً وتـارة ... إليـه بـطاها جـدّها تـتوسّل
تـقول له: مـهلا فـهذا ابـن أحـمد ... وشـبل عـلي المـرتضى المـتفضّل
أيا شمر مهما كنت في الناس جاهلا ... فمثل حسين لست يـا شـمر تـجهل
أيا شمر هـذا حـجة الله فـي الورى ... أعد نـظراً يـا شـمر إن كـنت تـعقل

(١) يذبل: اسم جبل مشهور بالكبر.

أعـــد نـــظراً ويـــل لأُمّك بـــعدها ... إذ الويل لا يجدي ولا العـذر يـقبل
أيا شمر لا تعجل عـلى ابـن مـحمّد ... فذو تـرة[1] فـي مـثلها ليس يـعجل
ومـــرّ يـــحز النـــحر غـــير مـراقب ... مـــن الله لا يـــخشى ولا يـــتوجّل
وزلزلت الأرضون وارتـجّت السـما ... وكـــــادت له أفـــلاكـــها تـــتعطّل
وراحت له الأيّـــام ســوداً كأنّـــما ... تـــجلببها قـطع مـن اللـيل أليـل[2]
وأضحى كتاب الله مـن أجـل فـقده ... يحنّ له فرقانه والمفصل
ولم أنس لا والله زينب إذ دعت ... بواحدها والدمـع كـالمزن مسـبل[3]
تقول: أخي يا شق روحي ومـهجتي ... ويـــا واحـــداً مـالي سـواه مـؤمّل
أخي يا أخـي لو كـنت تـنظر زيـنباً ... تساق وزين العابدين مكبّل
أخـــي كـــيف تـــنسانا وتـعلم أنّـنا ... لبـــــينك لا نـــقوى ولا نـــتحمّل؟
وراحت تنادي جدّها حين لم تـجد ... كفيلاً فيحمى أو حميّاً فيكفل
أيا جدّنا هذا الحـبيب عـلى الثـرى ... طـــريحاً يـــخلى عـارياً لا يـغسّل
يخلّى بأرض الطف شـلواً[4] ورأسـه ... إلى الشام فوق الرمح يـهدى ويـحمل
أيـــا جـــد لو عـاينته وهـو بـالظما ... يـــقاسي المـنايا والقـنا مـنه تـنهل
أيـــا جـد ثـغراً كـنت تـلهو بـرشفه ... تســـاقط عـــنه بـــالقضيب المـقبل
فلو خلت كيف الشـمر يـقطع رأسـه ... وكـــيف حســـين يســتغيث ويـقتل
وكيف عوادي الخيل تـركض فـوقه ... فـــلم يـــبق مـنه مـفصل لا يـفصل

---

(١) الترة ويقال الثرة أيضاً: الإنتقام.
(٢) الليل الأليل: طويل شديد السواد: وكذا الليلة الليلاء.
(٣) المزن جمع مزنة: السحابة، والمسبل: السائل.
(٤) الشلو والشلا: الجسم من كلّ شيء.

لتبك المعالي يومها بعد يومه ... إذا ما بغى باغ وأعضل[1] معضل
وبيض الظبا والسمر تدمي صدورها ... وخيل الوغى تحفى وبالهام تنعل
وغرّ المساعي والمراعي ولهاً ... ومرملة في الحي تلحى[2] ومرمل
ومنقبة تتلى وذكر يرتّل ... ومكرمة تبنى ومجد يؤثل
وليلة مسكين تحمل قوته ... إليه سراراً والظلام مجلّل
ويوم الوغى والحرب تسعر والدجى ... ومحرابه والطول والمتطوّل
وافراس غارات الصياح إذ اغتدى ... بفرسانها للطعن تسعى وتعجل
بكاء العذارى الفاقدات كفيلها ... عشيّة جدّ الخطب والخطب مهول
متى نبصر النصر الإلهي مشرقاً ... بأنواره تكسى الربى وتجلل؟
فيفرح محزون ويكمد حاسد ... ويرتاح مشتاق ويرتاع عذّل
يروم سلوي فارغ القلب مثله ... وذلك خطب دونه الصعب يسهل
وآخر يدعوني إلى الحزن زاعماً ... وهل واقع بعد الحصول يحصل
حرام على قلبي العزا[3] بعد فقدكم ... وفرط الجوى فيه المباح المحلّل
ولولا الذي أرجوه من أخذ ثاركم ... فأعلق آمالي به وأعلّل
لمتّ على ما كان من فوت نصركم ... أسى وجوى والموت في ذاك أمثل[4]
ولي سيّئات قد عرفت مكانها ... فظهري[5] منها أحدب الظهر مثقل
ومالي فيها من يدر غير أنّني ... عليكم بها بعد الإله أعول

---

(١) أعضل الأمر: اشتدّ واستغلق.
(٢) تلحى: تسب وتعاب.
(٣) كذا في الطبعة الأُولىٰ! ولعلّ الأصل «الهنا».
(٤) الأمثل: الأفضل.
(٥) كذا في الطبعة السابقة! وربّما كان الأصل (وها أنا) أو (وإنّي).

وسـمعاً بـني المـختار نـظم بـديعة ... يدل لها بشـر[1] ويـخضع جـرول[2]

تجاري كميتاً كالكميت[3] ولم يكـن ... بها أخطل إذ ليس في الشعر أخـطل[4]

فإن تمنحوا حسن القـبول فشأنكـم ... ومـا عـنكم إن تـطردوا مـتحوّل

عـليكم سـلام الله مـا لاح بـارق ... ومـا نـاح قـمري ومـا هبّ شـمأل

---

(١) بشر: هو أبو نوفل بشر بن أبي خازم عمرو بن عوف الأسدي من فحول شعراء الجـاهليّة ومن الشجعان المصاليت له قصائد جيدة في الفخر والحماسة وأخبار طريفة. توفي قتيلاً في غزوة أغار بها على بني صعصعة بن معاوية عام «٥٣٣ م» راجع ترجمته في «الشعر والشعراء» ٨٦ و«آمالي المرتضى» ٢: ١١٤ و«خزانة الادب» ٢: ٢٦٢ وكثير غيرها.

(٢) جرول: هو الحطيئة الشاعر المخضرم والهجاء المعروف يأتي ذكره في موضع آخر.

(٣) الكميت من الخيل: ما كان لونه بين الأسود والأحمر. وقد سمّي به ثلاثة من بني أسد كلّهم شعراء: ١ ـ الكميت بن ثعلبة مخضرم يعرف بالأكبر والأوّل، ٢ ـ حفيده الكميت بن معروف ابن الكميت المذكور يدعى بالأوسط توفي نحو (سنة ٦٠ هجـا)، ٣ ـ الكميت بن زيد بن خنيس شاعر الهاشميين المشهور في العصر الأموي ومن كبار رجال الشيعة مـدح أهـل البيت عليهم السلام بقصائد جيدة تعرف بـ(الهاشميات) طبعت في مـصر وليـدن وتـرجـمة إلى الالمانية. كان خطيب بني أسد وفارسها المغوار في عصره ومن العلماء الأفذاذ في آداب العرب ولغتها وأنسابها وأخبارها. ولد في سنة ٦٠ وتوفي سنة ١٢٦ هجـراجع ترجمته في: شرح شواهدالمغني: ١٣، والأغاني: ١٥/١٠٨، وجـمهرة أشـعارالعـرب: ١٨٧، ومـجمع الأمثال في الكلام على ما در، ومعجم الشعراء: ٣٤٧، والشعر والشعراء: ٥٦٢، وخزانة الأدب: ١/٦٩ و٨٦، وسمط اللئالي: ١١، والموشح: ١٩١ وعشرات المصادر القديمة والحديثة.

(٤) الأخطل: هو أبو مالك غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة بن عمرو التغلبي شاعر بني أمية المشهور، من قبيلة بني تغلب العراقية. نشأ على المسيحية بالقرب من الحيرة واتّصل بخلفاء بني أُميّة بالشام فحظى عندهم وقد لقّب بالأخطل ـ الأحمق ـ لبذاءة لسانه وسلاطته، تهاجى مع جرير والفرزدق فسارشعره، مات سنة ٩٠ للهجرة، راجع ترجمته في: الأغاني: ٨/٢٨٠، والشعر والشعراء: ١٨٩، وشرح شواهد المغني: ٤٦، وخزانة الأدب: ١/٢١٩، ودائرةالمعارفالإسلاميّة: ١/٥١٥، وشعراء النصرانية بعد الإسلام: ٨٠، وطبقات الشعراء: ٣٠١، ودائرة المعارف للبستاني: ٢/٦٣١، والكنى والألقاب: ٢/١٣ وعدد غيرها.

وله أيضاً في رثاء الحسين عليه السلام:

عـدتك نـجد فـماذا أنت مـرتقب؟ ... يدنو إليك الحمى أم تنقل الهضب[1]؟
أبـعد أن بـنت[2] عـنها بتّ تـرقبها؟ ... فاذهب فليس لك العتبى[3] ولا العتب؟
لو كنت صادق دعوى الحب ما برحت ... بك المـطى ولا زمّت بك النـجب
أعـراب بـادية تـبنى بـيوتهم ... حيث العـوامـل[4] والهـندية القـضب
لم يـبعد مـلكهم بأس ولا كـرم ... فـلا عـدو لهـم يـلقى ولا نشب[5]
تجري على العكس من قولى ظعونهم ... ولو جـرت مـطلقاً مـا فـاتني الإرب
فكـلّما قـلت رفـقاً بـالحشا عـنفوا ... فليت لو قلت: بـعداً بـالسرى قـربوا
يستعذب القـلب مـن تـعذيبهم أبـداً ... كأنّـهم كـلّما قـد عـذّبوا عـذبوا
يـا مـنزلا بـمحاني الطـف لا بـرحت ... سقي السحائب مـنك البـان والكـثب
كم قلت نجداً ومـا أعـني سـواك بـه ... وعرب نجد ومن في ضـمنك العـرب
أنّـى وإن عـنك عـاقتني يـدا قـدر ... بـبين جسـمي فـقلبي مـنك مـقترب
لا تـحسبن كـلّ دان مـنك ذا كـلف ... الدار بالجنب لكـنّ الهـوى جـنب[6]
أقـائل أهـل ودّي إن هـم غـربوا ... عن ناظري إنّهم عن خاطري عزبوا[7]
لا والهـوى ليس بـعد الدار يشـغلني ... عـنهم ولا مـحنة كـلّا ولا وصب

---

(١) الهضب جمع هضبة: الجبل الطويل الممتنع.
(٢) بنت: بعدت.
(٣) العتبى: الرضى.
(٤) العوامل: الرماح.
(٥) النشب: المال.
(٦) الجنب: الغريب، البعيد.
(٧) عزبوا: بعدوا.

يـا سـائق الحـرة الوجـناء أنـحلها ... طي السرى وطواها الأين[1] والنصب
وجـناء مـا ألفت يـوماً مـباركها ... ولا انثنت عـند تـعريس لهـا ركب[2]
عـلامة بـضروب السـير أقـربها ... منها إلى رأيـها التـقريب والخـبب[3]
تأبى جـوانـبها (تأبـى مناكـبها[4]) ... حب السـرى فكأن الراحـة التـعب
عج بي إذا جئت غربي الحمى وبدت ... مـنه لمـقلتك الأعـلام والقـبب
وحـي عـنّي الألى أقـمارهم طـلعت ... مـن طـيبة ولدى كـرب البـلا غـربوا
فأعجب لهم كيف حلّوا كربلاء وكم[5] ... كـانت بـهم تـفرج الغـماء والكـرب
فأيـن تـلك البـدور التـم لا غـربوا؟ ... وأين تلك البحور الفعم لا نـضبوا[6]
قـوم لهـم شـرف العـلياء مـن مـضر ... والمـرء يـؤخذ فـي تـحديده النسب
قـوم كأوّلهـم فـي الفـضل آخـرهم ... والفضل أن يـتساوى البـدء والعـقب
فـمنذر مـصطفى بـالوحي منتجب ... ومرتضى مـجتبى للـهدي[7] مـنتخب
الواهـبون لدى البأسـاء مـا وجـدوا ... والطـالبون بـصدر الرمـح مـا طـلبوا
والمـدركون إذا مـا أزمـة بـخلت ... بصرفها وتـخلت عـندها الصـحب[8]

---

(١) الأين والنصب: التعب، الإعياء.

(٢) الوجناء: الناقة الشديدة القادرة على المشي. والمبارك جمع مبرك: المكان الذي يستنيخ به البعير. والتعريس: شدّ عنق البعير إلى ذراعه للبروك.

(٣) التقريب والخبب: ضربان من ضروب السير.

(٤) كذا في الطبعة الأُولى وظاهر أنّه لا معنى له، وفي مجموعة خطية عندي (تأتي مباركها) وهو معنى مقبول.

(٥) في المجموعة الخطية: وقد.

(٦) الفعم جمع المفعم: المملوء. ونضب: جف ونشف.

(٧) في المجموعة المخطوطة: بالهدي.

(٨) كذا جاء البيت في المطبوع. وهو مشوه مصحف في أكثر من موضع والصحيح ما جاء في

وكم لهم حيث جدّ الخطب من قدم ... رست علا والجبال القود[1] تضطرب

ولا كيومهم في كربلاء وقد ... جدّ البلا وأرجحنت عندها الكرب

وفتية وردوا ماء المنون بها ... ورد المفاضة ظمآن الحشا سغب[2]

من كلّ أبيض وضاح الجبين له ... نوران من جانبيه الفضل والنسب

تجلو العفاة لهم تحت القنا غرراً ... تلاعب البيض فيها والقنا السلب

أبت أُميّة أن يعلو لها شرف ... ويصبح الرأس مخدوماً[3] له الذنب

ودون مايممت هند وجارتها هند السـ ... ـيوف وحرب دونه[4] الحرب[5]

جاءت ليستعبد الحر اللئيم وفي ... عود العلا عند غمز الضيم مضطرب

فشمّرت للوغى فرسانها طرباً ... وامتاز بالسبك عمّا دونه الذهب

فوارس اتخذوا سمر القنا سمراً ... فكلّما سجعت ورق[6] القنا[7] طربوا

يستنجعون[8] الردى شوقاً لغايته ... كأنّما الضرب في أفواهها الضرب[9]

➲ المجموعة الخطية وهو:

والمدركون إذا ما مزنة بخلت ... بصوبها وتخلت عندها السحب

(١) القود: الجبال العالية المرتفعة.

(٢) السغب بفتح أوّله وثانيه: الجوع. والسغب بفتح أوّله وكسر ثانيه: الجايع.

(٣) كذا في المطبوع ويبدو غير واضح المعنى، وفي المخطوطة عندي (مخذوماً) أي مقطوعاً وهو معنى مقبول.

(٤) كذا في الطبعة الأُولى والصحيح (دونها) لأنّ الحرب مؤنثة.

(٥) الحرب بفتح أوّله وثانية: الويل والهلاك.

(٦) القنا والقني والقنوات والقنيات كلّها جموع قناة: الرمح أو عوده. والسجع: ترديد الصوت. والورق جمع ورقاء: الحمامة.

(٧) في المجموعة الخطية عندي (الفنا) بالفاء.

(٨) استنجع وانتجع وتنجع: طلب.

(٩) الضرب فتح أوّله وثانيه: الشهد.

واستأثروا بالردى من دون سيّدهم ... قصداً وما كلّ إيثار به الأرب
حتّى إذا سئموا دار البلا وبدت ... لهم عياناً هناك الخرّد العرب[1]
فغودروا بالعرى صرعى تلفّهم ... مطارف من أنابيب القنا قشب[2]
وأقبلت زمر الأعداء ترفل والـ ... أضغان تسعر والأحشاء تلتهب
جلالها ابن جلا عضب الشبا[3] ذكراً ... لا يعرف الصفح إذ يستلّه الغضب
تأني على الحلق الماذي[4] ضربته ... ولا يقيم عليها البيض واليلب[5]
فكلّما أسود ليل من كتائبهم ... أحاله من سناء الضوء لا اللهب[6]
وما استطال سحاب من جموعهم ... إلّا استطار به من لمعه الرهب
وباسم الثغر والأبطال عابسة ... كأنّ جدّ المنايا عنده لعب
لايسلب القرن[7] إذ يرديه بزّته ... والليث همّته المسلوب لا السلب
ماض بماض إذا استقبلت أمرهما ... بدا لعينيك من فعليهما العجب
تلقى الردى في الندى طلق العنان كما ... ترى حياة الورى محمولها العطب
حتّى إذا ضربت يمنى القضا وأرى ... إحدى العجائب دهر شأنه العجب

---

(١) الخرد جمع الخريد والخريدة والخرود: البكر التي لم تمس قط. والعرب بضم الأوّل والثاني جمع عروب على وزن رسول، رسل: العاشقة لزوجها اللعوب معه أُنساً به ورغبة فيه. ومنه الآية الكريمة في سورة الواقعة: ﴿عرباً أترابا﴾. ولمزيد الإطلاع راجع (التبيان في تفسير القرآن) الطبعة الثانية: ٢/٤٩٧.

(٢) القشب جمع القشيب: الجديد.

(٣) الشبا جمع الشباة: حد السيف أو قدر ما يقطع به.

(٤) الماذي: كلّ سلاح صنع من الحديد.

(٥) اليلب جمع يلبة: الدرع اليمانية.

(٦) في المجموعة المخطوطة عندي (الشهب).

(٧) القرن: المقاوم، الكفؤ.

هوى إلى الترب قطب الحرب وابتدرت ... من مهجة الندب أيدي البيض[1] تختضب
وأقبلت خفرات المصطفى ولها ... ندب على الندب لكن الحشا يجب[2]
كواكب فقدت شمس الضحى فبدت ... والمرء يعجب لو لم يعرف السبب[3]
كم حرة مثل قرن الشمس قد نفست ... على العيون بها الأستار والحجب
أبدت أُميّة منها أوجهاً كرمت ... بالصون يسأل عنها الكور والقتب[4]
من كلّ باكية أسرى وشاكية ... حسرى وزاكية عبرىٰ وتنتحب
وكم كمي[5] بقاني البرد مشتمل ... وكم أبي بماضي الحد يعتصب
وحسم بحر ندى في الترب منعفر ... ورأس بدر هدى في الرمح منتصب
وحرة بعد فقد الصون يحملها ... بين المضلّين مهزول المطا نقب[6]
فخدرها وجليل القدر مبتذل ... ورحلها وجميل الصبر منتهب
فكلّما عاينت ظلّت مدامعها[7] ... تجري دموعاً وظلّ القلب ينشعب
كأنّما الكون مافيه سوى جسد ... بالترب ملقى «على أعضائه الترب[8]»
يا غيث كلّ الورى إن عمّ عامهم ... جدب[9] وياغوثهم ان نابت النوب

(١) في المجموعة الخطية عندي بدلا من أيدي البيض (ظفر الكلب).
(٢) يجب: يرجف ويخفق.
(٣) جاء في المجموعة الخطية بدلا من عجز هذا البيت ما يلي «والشهب من ضوء نور الشمس تحتجب».
(٤) الكور: القطيع من الإبل. والقتب: الرحل.
(٥) الكمي: الشجاع.
(٦) النقب: البعير الذي رقّت أخفافه.
(٧) في المجموعة الخطية: محاجرها.
(٨) جاء في المجموعة المخطوطة بدلا من المحصور بين القوسين ما يلي: «به ضاق الفضا الرحب».
(٩) الجدب: المحل.

والثـابت العـزم والأهـوال مـقبلة ... والراسخ الحـلم والأحـلام تـضطرب
والماجد الجسب المقري الضبا كـرماً ... حـوباءه[1] وكـذاك المـاجد الحسب
مـا غـالبت صـبرك الدنـيا ومـحنتها ... إلّا انـثنت وله مـن دونـها الغـلب
ولا تـروع لك الأيّـام سـرب حـجى ... بلى[2] إذا ريـعت الأعـلام والهـضب
إن يصبح الكون داجي اللون بعدك والأ ... يّـام سـوداً وحسـن الدهـر مسـتلب
فأنت كـالشمس مـا للـعالمين غـنى ... عنها ولم تجدهم[3] من دونها الشـهب
تالله مـا سـيف شـمر نـال مـنك ولا ... يـدا سِـنان وإن جـلّ الذي ارتكـبوا
لولا الأُلى أغـضبوا ربّ العـلا وأبـوا ... نصّ الولا ولحـقّ المـرتضى غـصبوا
أصابك النـفر المـاضي بـما ابـتدعوا ... ومـا المسـبب لولم يـنجح السـبب[4]
وما[5] تـزال خـيول[6] الحـقد كـامنة ... حـتّى إذا أبـصروها فـرصة وثـبوا
فأدرك الكـل مـا قـد كـان يـطلبه ... والقـصد يـدرك لمـا يـمكن الطـلب
كـف بـها أُمّك الزهـراء قـد ضـربوا ... هي التـي أُخـتك الحـورا بـها سـلبوا
وإنّ نـار وغـى صـاليت جـمرتها ... كانت لهـا كـفّ ذاك البـغي تـحتطب
فليبك يومك مـن يـبكيه يـوم غـدوا ... بالصنو قوداً وبنت المـصطفى ضـربوا

(١) الحوباء: النفس.
(٢) في المجموعة المخطوطة عندي: حتى.
(٣) في المجموعة المخطوطة: تجزهم.
(٤) لعلّه نظر فيه إلى قول الشريف الرضي:

ألا ليس فعل الآخرين وإن عـلا ... على قبح فـعل الأوّليـن بـزائـد
بنى لهم الماضون أساس ظـلمهم ... فشادوا على آساس تلك القواعد

(٥) في المخطوطة: ولا.
(٦) في المخطوطة: جنود.

والله مـا كـربلا لولا السـقيفة والأ ... حياء[1] تدري ولولا النار ما الحطب
يـفنى الزمـان وفـيك الحـزن مـتصل ... بـاق إلى سـرمد الأيّـام يـنقسب
كأنّ حزنك في الأحشاء مـجدك فـي ... الأحـياء لم تـبله الأعـوام والحـقب
تقول نفسي ونار الحـزن تـضرم فـي ... قلبي وماء البكـا فـي مـقلتي سـرب
ترضى من العين أن تجري مـدامـعها ... ومـن فـؤادك أن يـعتاده اللـهب
هـيهات رمت مـحالاً وادّعـيت بـه ... دعوى يلوح عليها الخـلف والكـذب
ما أنْت والقـوم تـرجـو نـيل سـعيهم ... وما شربت مـن الكأس الذي شـربوا
هب إنّك[2] فاتك يوم البين صـحبتهم ... فكيف لم تركب النـهج الذي ركـبوا؟

* * *

وله أيضاً في رثاء الحسين عليه السلام:

لو كان في الربـع المـحيل[3] ... بـرء العـليل مـن الغـليل
ربـع الشـباب ومـنزل الـ ... أحـباب والخـل الخـليل
لعب الشـمال بـهم كـما ... لعـبت شـمول[4] بـالعقول
طـلل[5] يـضيف النـازليـ ... ـن شـجاؤه قـبل النـزول
مسـتأنساً بـالوحش بـعـ ... ـد أوانس الحـي الحـلول

(١) في المخطوطة: الأشهاد.
(٢) في المجموعة المخطوطة عندي: إنّه.
(٣) الربع: المجمع من دار ومحلة ونحوهما. والمحيل والماحل: الجدب ويبس الأرض.
(٤) الشمول: الخمر.
(٥) الطلل: الشاخص من الآثار والباقي من حطام الدار.

مســـــتبدلا ريّـــما بـــريـ ـــــم آخـــذاً غـيلا[1] بـغيل
لا يـــــقتضي عـــــذراً ولا يـــرتاع مـن عـذل العـذول
ومـــــريعة بـــــاللوم تـــلـ ـحوني وما تـدري ذهـولي
خـــلي[2] أمـــيمة عـن مـلا مك مـــا المـعزَّى كـالثكول
مـــا الراقـــد الوســـنان مثـ ـــل مـعذَّب القـلب العـليل
ســـــهران مـــــن ألم وهـ ـــذا نـــائم الليل الطـويل
ذوقـــــي أمـــيمة مـــا أذو ق وبعدها[3] ما شئت قـولي
أو مـــا عـــلمت المـــاجديـ ـن غداة جدّوا بـالرحـيل؟
عـــقدوا عـلى البـين النكـا ح وطـلّقوا سـنن القـفول[4]
عشـــقوا العـــلا فـــفنوا بـها والغـــصن يـــرمى بـالذبول
هـيهات مـا الصـبر الجـميـ ـل هـناك بـالصبر الجـميل
آل الرســـــول ونـــعم أكـ ـــفاء العـــلا آل الرســـول
خـــير الفـــروع فـــروعهم وأصـــولهم خـــير الأصـول
ومـــــهابط الأمـــلاك تـــتـ ـــرى بـالبكور وبـالأصيل
ذللا عـــــلى الأبـــواب لا يـــعدون إذنـــاً بـــالدخول
أبـــداً بسـرّ الوحـــي تـــهـ تـــف بـــالصعود وبـالنزول
ركـــــبوا إلى العـــزّ المـــنو ن وجـــانبوا عـيش الذليـل
وردوا الوغـــى فـقضوا وليـ ـــس تعاب شـمس بـالأفول

---

(١) الريم: الظبي الأبيض. والغيل: الأجمة، والشجر الكثير الملتف.

(٢) وفي المجموعة المخطوطة: كفي.

(٣) وفي المجموعة المخطوطة عندي: وعندها.

(٤) القفول: الرجوع.

أو مـــا دريت ابـــن البـــتو ... لة لو دريت ابـــن البـــتول
إذ قـــــادها شـــعث النـــوا ... صـــي عـــاقدات للـــذيول
طـــــلق الأعـــنّة عـــاطفا ... ت بالرسيم عـلى الذميل[1]
يـــطوي بـــها مـــتن الوعـو ... ر مـــعارضاً طـــي السـهول
مـــــتنكب الورد الذمـــــيـ ... ـم مجانب المرعى الوبيل[2]
مـــــتطلّباً أقـــصى المـــطا ... لب خاطب الخطب الجـليل
طـــلّاب مـجد بـالحسام الـ ... ـــعضب والرمـــح الطـويل
يـــــحدو مآثـــــر قـــاصراً ... عـــن مـــنتهاها كـلّ طـول
شـــــرفاً تـــفرّع عـــن وصـ ... ـي أو أخـي وحـي رسـول
مـــن مـعشر ضـربوا الخـبا ... فـــي مـفرق المـجد الأثـيل
وعـــصابة عـــقدت عـــصا ... بـــة عـــزّهم كـــفّ الجـليل
عـــرف الذبـــيح بـــهم ومـا ... عـــرفت قـــريش بـالفصيل
مـــن مـالك[3] خـير البـطو ... ن وصـــنوه[4] خـير القـبيل
مـــن هـــاشم البـطحاء[5] لا ... ســـلفي نـــمير[6] أو سـلول

---

(١) الرسيم والرسمان والمرسم: سير الإبل بشدّة بحيث تترك أثر أرجلها على الأرض. والذميل: السير اللين.

(٢) المرعى الوبيل: الوخيم.

(٣) هو مالك بن النضر بن كنانة الجد العاشر للنبي ﷺ.

(٤) الصنو بالفتح والكسر: الأخ والابن والعم.

(٥) هو هاشم بن عبد مناف بن قصي الجد الثاني للرسول العظيم.

(٦) بضم النون: هو نمير بن عامر أبو قبيلة مذمومة. وسلول: فخذ من قيس، وهم بنو مرة بن صعصعة من القبائل المذمومة أيضاً.

مـــن راكـــبي ظـــهر البـــرا ق[1] وممتطي قب[2] الفحول
مـــن خـــارقي السبع الطبـا ق ومخرسي العشر العقول[3]
مـــن آل أحـــمد رحـمه الـ أدنـــى ومـــغرسه الأصـــيل
ضّـــلت امـــيّة مـــا تـــريـ ـد غداة مـقترع النـصول[4]
رامت تســوق المـصعب الـ ـــهدار مســـتاق الذلول[5]
ويـــــروح طـــوع يـــمينها قود الجنيب[6] أبـو الشبول
رامت لعـــــمر ابـــن النـــبـ ـي الطـهر مـمتنع الحـصول

(١) البراق: إسم الفرس التي ركبها النبي ﷺ ليلة المعراج وللإطلاع على الموضوع يراجع تفسير سورة الاسراء في التبيان في تفسير القرآن: ٤٤٦/٦، ومناقب آل أبي طالب: ١٥٣/١، وحق اليقين في معرفة أصول الدين: ١٦٨/١ وغيرها من كتب التفسير والكلام والتاريخ.

(٢) القب: الفحل.

(٣) العقول العشر: قاعدة فلسفية يتعرض لها المتكلمون في باب الجواهر المجردة من فصل الجواهر والأعراض، لكن تصعب الإستفادة مما كتبه القدماء لطول الكلام وتعقد العبارات. وقد أفاض في القول في قاعدتي: ١ ـ العقول العشر، ٢ ـ الواحد لا يصدر عنه إلّا الواحد شيخنا الإمام فقيد الإسلام محمّد الحسين آل كاشف الغطاء في كتابه الفردوس الأعلى: ٣١ ـ ٤٤ من طبعة تبريز التي أشرف عليها صديقنا العلّامة الفاضل السيّد محمّد علي القاضي حفظه الله. كما بسط القول فيها وأدّى حقّ المقال شيخنا الإمام الحجة الشيخ عبدالكريم الزنجاني حفظه الله في محاضرته الفلسفلة التاريخية في الأزهر راجع صفحة من رحلة الإمام الزنجاني: ٤٢٨.

(٤) النصول جمع نصل: حديدة الرمح والسهم والسكين. وربما سمّي السيف نصلا.

(٥) المصعب بضمّ أوّله: الفحل،، الفرس الذي لم يركب، والهدار الذي يردّد صوته في حنجرته.

(٦) الجنيب بفتح الأوّل وكسر الثاني: كلّ طائع منقاد.

وتـيمّمت[1] قـصد المـحا ... ل فـما رعت غـير المـحول

ورنت عـلى السـغب السـرا ... ب[2] بأعين في المـجد حـول

حـتّى إذا عـبرت نـفا ... قـاً تـبتغي عـوج السـبيل

وغـوى بـها جـهل بـها ... والغـي مـن خـلق الجـهول

لف الرجـال بـمثلها ... وثنى الخيول عـلى الخـيول

وأبـاحها عـضب الشـبا ... غـير الكـهام ولا الكـليل[3]

لسـنانه ولسـانه ... صـدقان مـن طـعن وقـيل

خـلط البـراعـة بـالشجا ... عة فالصليل عـن الدليـل[4]

قـلّ الصـحابة غـير أ ... ن قـليلهم غـير القـليل

مـن كـلّ أبـيض واضـح الـ ... ـحسبين مـعدوم المـثيل

كـبني عـلي والحسـيـ ... ـن وجـعفر وبـني عـقيل

وحـبيب اللـيث الهـزبـ ... ـر ومسـلم الأسـد المـديل

آحـاد قـوم يـحطمو ... ن الجمع فـي اليـوم المـهول

ومـعارضي أسـل الرمـا ... ح بـعارض الخـد الأسـيل

يـمشون فـي ظـلّ القـنا ... مـيل المـعاطف غـير مـيل

وردوا عـلى الظـمأ الردى ... ورد الزلال السـلسبيل

---

(١) في المجموعة المخطوطة عندي: إن يمّمت.

(٢) السغب: الجوع، والسراب: ما يشاهد نصف النهار من اشتداد الحر كأنّه ماء، تنعكس في البيوت والأشجار وغيرها، ويضرب به المثل في الكذب والخداع يقال: هوأخدع من السراب.

(٣) الشبا جمع شباه: حد السيف. والكهام والكليل: الضعيف.

(٤) الصليل: صوت وقع الحديد بعضه على بعض. وغلب على وقع السيف. والدليل: البرهان، والمرشد.

وثـووا عـلى الرمـضاء مـن كـــاب ومـنعفر جـديل
وسـطا العـفرنى حـيث أفـ رد شيمة الليث الصئول[1]
ذات الفـــقار بكـــفّه وبكـــتفه ذات الفـضول[2]
وأبـــو المـــنيّة ســيفه وكذا السحاب أبـوالسيول
غـــرثان[3] أورث حـدّه ضرب الطلى فـرط النـحول
صـاح نـحيل المـضر بيـ ـن فديت للصاحي النـحيل
غـيران[4] يـنتقد الكـمـ ـي فـليس يـقنع بـالبديل
يـابن الذيـن تـوارثـوا الـ ـعليا قـبيلاً عـن قـبيل
والطـاعني ثـغر الطـلى[5] والمـانعي ضـيم النـزول
والســابقين بـخيلهم فـي كـل فـضل كـل جـيل
ان تـمس مـنكسر اللـوا مـلقى عـلى وجـه الرمـول
فـلقد قـتلت مـهذّباً مـن كـلّ عـيب فـي القـتيل
جـمّ المـناقب لم تكـن تـعطي العـدى كـفّ الذليـل
كـلّا ولا أقـررت إقـ ـرار العـبيد عـلى الخـمول
يـهدى لك الذكـر الجـميـ ـل على الزمـان المستطيل
مـا كـنت[6] إلّا السـيف أبـ ـلته الضـرائب بـالفلول

(١) العفرنى: الأسد. والصئول: الضارب.
(٢) ذوالفقار: سيف الإمام علي عليه السلام. وذات الفضول: درع الإمام.
(٣) الغرثان: الجائع.
(٤) الغيران: الغيور، وذو الأنفة والحميّة.
(٥) الثغر والثغرة، بضم الأول: نقرة النحر مابين الترقوتين. والطلى جمع الطلية والطلاة: العنق.
(٦) في المجموعة المخطوطة عندنا: ما أنت.

والليث أقلع بعد ما دقَّ الرعيل على الرعيل
والطود قد حاز العلـ ـو فلم يكن غير النزول
والطرف[1] كفَّ بعيدما بذ[2] الجياد على الوصول
والشمس غابت بعد ما هدت الأنام إلى السبيل
والماجد الكشاف للـ ـكربات في الخطب الثقيل
حاوي الثناء المستطا ب وكاسب الحمد الجزيل
بأبي وأُمّي أنتم من بعدكم من (للسؤال[3])
لا درّ بعدكم الغما م ولا سقى ربع المحيل
يا ضلّة العاني المخو ف وخيبة العافي المعيل
من للهدى من للندى من للمسائل والمسول
رجعت بها آمالها عن لا نوال ولا منيل
قعدت فعبرتها تسـ ـح وقلبها حلف الغليل
ثكلى لها الويل الطويل شجاً وأفراط العويل
يا طفّ طاف على مقا مك كلّ مهتاف[4] هطول
وأناخ فيك من السحا ب الغر مثقلة الحمول
وحباك من مرّ النسيـ ـم بكلّ خفاق عليل
أرج يضوع كأنّه قد بلّ بالمسك البليل[5]

---

(١) الطرف بفتح الأول وسكون الثاني: الكريم من الفتيان والرجال.

(٢) بذ: غلب وفاق. وفي المخطوطة عندي: غاب، بدلا من بذ.

(٣) في المجموعة المخطوطة عندي: للمستنيل.

(٤) كذا في الطبعة الاولى ولعلّ الصحيح: هتّاف: السحابة الراعدة والصوت الجافي العالي.

(٥) الأرج: الرائح الطيّبة، ويضوع: ينتشر، والمسك: الطيب معروف يستخرج من نوع من الظباء يقال له (غزال المسك).

حتّى ترى خضر المرا ... بع والمراتع والفصول
كاس الروابي والبطا ... ح مطارفاً هدل[1] الذيول
قسماً بتربة ساكنيـ ... ـك وما بضمنك من قبيل
أنا ذلك الظامي وصا ... حب ذلك الدمع الهمول
لا بعد ينسيني ولا ... قرب يبرد من غليلي
يا خير من لاذ القريـ ... ض بظل فخرهم الظليل
وأجلّ مسؤل أتا ... ء فنال عاف خير سول[2]
لكم المساعي الغر والـ ... ـعلياء لا معة الحجول
والمكرمات وما اشا ... د الدهر من ذكر جميل
وجميع ما قال الأنا ... م وما تسامى من مقول
والمدح في أمّ الكتا ... ب وما أتى عن جبرئيل
وثناي أقصر قاصر ... وأقلّ شيء من قليل
والعجز ذنبي لا عدو ... ل عن أخي البر الوصول
وأنا المقصر كيف كنـ ... ـت فهل لعذري من قبول؟
وأرى الكمال بكم فمد ... ح الفاضلين من الفضول
صلّى الإله عليكم ... ما جدّ ركب في رحيل

* * *

(١) الهدل: المرسل المرتخي.
(٢) السول: مخفف السؤال.

وله في مدح الإمام علي ورثاء الإمام الحسين عليه السلام :

أرأيت يـوم تـحمّلتك القـودا[1] ... من كـان منّا المـثقل المـجهودا؟
حـملتها الغـصن الرطـيب ووردة ... وحـملت فـيك الهـم والتسـهيدا
وجعلت حظي من وصالك أن أرى ... يـوماً بـه ألقـى خـيالك عـيدا
لو شئت أن تعطي حشـاي صـبابة ... فوق الذي بي مـا وجـدت مـزيدا
أهوى رباك[2] وكيف لي بمنازل[3] ... حشدت عـليّ ضـغائناً وحـقودا؟
أمعرّس[4] الحيين مـالك لم تـجب ... مـضنى ولم تسـمع له مـنشودا؟!
ءأصمّك الأظـعان يـوم تـحمّلوا؟ ... أم صـرت بـعد الظـاعنين بـليدا؟
قد كنت تـوضح بـالأسنّة والضـبا ... مـعنى وتـقضي مـوعداً ووعـيدا
حيث الشموس على الغصون ولم تكن ... عـــاينت إلّا أوجـهاً وقـدودا
من سام عزّك فاستباح من الشرى ... آسـاده ومـن الخـدور الغـيدا[5]
أنى انتفى ذاك الجـمال وأصـبحت ... أيـامك البـيض اللـيالي سـودا
فـاسمع أبـثك: أنـني أنـا ذلك الـ ... ـكمد الذي بك لا يـزال عـميدا[6]
ما أبعدت مـنك القـريب حـوادث ... عـرضت ولا قـربن مـنك بـعيدا
لا تحسبنّه هـوى يـحال وإن غـدا ... حـظ الشـقي تـفرّقاً وصـدودا
فـلأنت أنت وإن عـدت بك نـية ... عن ناظري وتـركن دونك بـيدا[7]

---

(١) القود جمع أقود: الفرس.
(٢) الربى جمع رابية: ما ارتفع من الأرض.
(٣) في المجموعة المخطوطة عندي (مبارك).
(٤) المعرس: الموضع الذي يفرح فيه الأحباب.
(٥) سام: أذل، والشرى: المأسدة.
(٦) الكمد: المغموم. العميد: شديد الحزن.
(٧) البيد جمع بيداء: الفلاة.

ولئن أبحت تجلدّي[1] فلطالما ... ألفيتني عند الخطوب جليدا

أو رحت تنكر صبوة قامت على ... إثباتها فرق النحول شهودا

فلقلما التزم العناد معاشر ... جحدوا عليّاً يومه المشهودا

أخذوا بمسروب السراب وجانبوا ... عذباً يميرُ[2] الوافدين برودا

مصباح ليلتها صباح نهارها ... يمنى نداها تاجها المعقودا

مطعانها مطعامها مصدامها ... مقدامها ضرغامها المعهودا

بشّر أقلّ صفاته إن عاينوا ... منهنّ ما ظنّوا به المعبودا

ظت قريش كم تقيس بسابق ... الحلبات ملطوم الجبين مذودا[3]

يا صاحب المجد الذي لجلاله ... عنت البرايا مبغضاً وعنيدا

لك غرّ أفعال إذا استقريتها[4] ... أخذت علي مغاوراً ونجودا[5]

وصفات فضل أشكلت معنى فلا ... إطلاق يكشفها ولا تقييدا

ومراتب قلّدتها بمناقب ... كالعقد تلبسه الحسان الخودا[6]

ما مرّ يومك أبيضاً عند الندى ... إلّا انثنى بدم العدا خنديدا[7]

أحسبته بأبيك وجه خريدة[8] ... فكسوت أبيض خدّها التوريدا

---

(١) في المجموعة المخطوطة عندي: أطلت تجلداً.

(٢) في المجموعة المخطوطة عندي: أطلت تجلداً.

(٣) المذود: المطرود.

(٤) في المجموعة المخطوطة عندي: استقربتها. وهو أوجه لتناسبه مع المغاور والنجود.

(٥) المغاور جمع المغار: الكهف والمغارة. والنجود جمع النجد: ما أشرق من الأرض وارتفع.

(٦) الخود بضمّ أوّله جمع خود بفتح أوّله: المرأة الشابة.

(٧) الخنديد: الاعصار من الريح.

(٨) الخريدة: مرّ في (ص١١١) أنّه البكر التي لم تمس قط. ويطلق أيضاً على الحية الطويلة السكوت.

أنّى يشقّ غبار شأوك[1] معشر ... كنت الوجود لهم وكنت الجودا
يجنون ما غرست يداك قضيّة[2] ... ألقت على شهب العقول خمودا
أنّى هم والخيل ينثر[3] وقعها ... نقعاً تظن به السماء كديدا[4]
ومواقف لك دون أحمد جاوزت ... بمقامك التعريف والتحديدا
فعلى الفراش مبيت ليلك والعدا ... تهدي إليك بوارقاً ورعودا[5]
فرقدت مثلوج الفؤاد كأنّما ... يهدي القراع لسمعك التغريدا
فكفيت ليلته وكنت معرضاً ... بالنفس لا فشلا ولا رعديدا[6]
واستصبحوا فرأوا دوين مرادهم ... جبلا أشم وفارساً صنديدا
رصدوا الصباح لينفقوا كنز الهدى ... أوما دروا كنز الهدى مرصودا

---

(١) الشأو: الغاية، وبعد الهمّة.

(٢) كذا في الطبعة الاولى من الديوان. وفي المجموعة الخطية عندي: مناقباً.

(٣) في المجموعة المخطوطة عندي: ينشر.

(٤) النقع الغبار. والكديد والكدة: الأرض الغليظة.

(٥) إشارة إلى مبيت الإمام علي عليه السلام في فراش النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليلة عزم مشركو قريش على قتله، وهي حادثة مشهورة ذكرت في معظم كتب التاريخ القديمة والحديثة وأخرجها أصحاب السنن في مسانيدهم وقد قال الغزالي في كتابه (إحياء العلوم) أوحى الله تعالى ـ ليلة الفراش ـ إلى جبرئيل وميكائيل: إنّي آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر فأيّكما يؤثر صاحبه بالحياة؟ فاختارا كلاهما الحياة وأحبّاها فأوحى الله تعالى إليهما: أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب حين آخيت بينه وبين محمّد فبات على فراشه يفتديه بنفسه ويؤثره بالحياة، إهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوّه. وكان جبرئيل عند رأسه وميكائيل عند رجليه ينادي ويقول: بخ بخ من مثلك يابن أبي طالب يباهي الله بك الملائكة فأنزل الله عزّوجلّ قوله: ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد﴾ يراجع تفسير هذه الآية من سورة البقرة ص١٨٩ من الجزء الثاني من تفسيره الكبير.

(٦) الرعديد والرعديدة: الجبان الكثير الإرتعاد.

وغـداة بـدر[1] وهـي أُمّ وقـائع ... كـبرت ومـا زالت لهـنّ ولودا
قـابلتهن فـلم تـدع لعـقودها ... نـظماً ولا لنـظامهنّ عـقيدا
فـالتاح عـتبة ثـاوياً بـيمين مـن ... يـمناه أردت شـيبة ووليـدا[2]
سـجدت رؤوسـهم لديك وإنّـما ... كان الذي ضـربت عـليه سـجودا
وتـوحّدت بـعد ازدواج والذي ... نـدبت إليـه لتـهتدي التـوحيدا
وقضية المـهراس عـن كـثب وقـد ... عـمّ الفـرار أسـاوداً[3] وأُسـودا
ولى بـها الطـعن الدراك ولم تـزل ... إذ ذاك مـبدي كـرّة ومـعيدا
فشددت كالليث الهزبر فـلم تـدع ... ركـناً لجـيش ضـلالة مشـدودا
وكشفتهم عن وجـه أبـيض مـاجد ... لم يـعرف الإدبـار والتـعريدا[4]

---

(١) يذكر المسعودي في مروج الذهب ثلاث غزوات للرسول ﷺ بهذا الإسم: بدر الاولىٰ وهي التي خرج فيها طلباً لكرز ابن جابر بعد غزوة العشيرة، وبدر الثانية وهي المشهورة، وبدر الأخيرة وهي بعد غزوة ذات الرقاع وقبل دومة الجندل، والمقصود بدر الثانية وتعرف بالكبرىٰ وهي التي قتل فيها صناديد قريش وأشرافها واسر من أسر من زعمائها وكان وقوعها يوم الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة اثنتين للهجرة، وكان الإمام علي عليه السلام حامل راية رسول الله ﷺ وهو أصغر القوم سنّاً إذ كان عمره سبعاً وعشرين سنة، وكانت له فيها مواقف يفخر بها تاريخ المسلمين.

(٢) هم عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة من صناديد قريش وفرسانهم الأشاوس، وقد خرجوا يوم بدر لما التقىٰ الجمعان فقالوا: يا محمّد أخرج إلينا أكفائنا من قريش. فأمر النبي علياً وحمزة ابن عبدالمطلب وعبيدة بن الحارث بمبارزتهم فحمل علي على الوليد فقتله، وحمل عبيدة على عتبة ففلق هامته وأرداه، واشتبك شيبة وحمزة فوقف علي عليهما فقتل شيبة، وعاد إلى عتبة وبه رمق فأجهز عليه. قال الشيخ المفيد: وكان قتل هؤلاء أوّل وهن لحق المشركين، وذلّ دخل عليهم، ورهبة اعتراهم بها الرعب من المسلمين، وظهرت بذلك إمارات نصر أميرالمؤمنين.

(٣) المهراس: الرجل الذي لا يتهيبه ليل ولا سرى. والأساود جمع أسود: الحية العظيمة.

(٤) التعريد: الهرب.

وعشية الأحزاب[1] لمّا أقبلت ... كالسيل مفعمة تقود القودا

عدلت عن النهج القويم وأقبلت ... حلف الضلال كتائباً وجنودا

فأبحت حرمتها وعدت بكبشها ... في القاع تطعمه السباع حنيدا[2]

وبني قريظة والنضير وسلعم ... والواديين وخثعم وزبيدا[3]

مزّقت جيب نفاقهم وتركتهم ... أمماً لعارية السيوف غمودا

وشللت عشراً فاقتنصت رئيسهم ... وتركت تسعاً للفرار عبيدا

وعلى حنين[4] أين يذهب جاحد ... لما ثبت به وراح شريدا؟

---

(١) الأحزاب: هي وقعة الخندق المشهورة وقد حدثت سنة ست كما قال اليعقوبي أو خمس كما قاله المسعودي، وكانت عدة المسلمين فيها سبعمائة رجل، وقد أمر النبي بحفر خندق بإشارة سلمان الفارسي فحفر وجعلت له أبواب وعليها حرس، وكان المسلمون في خوف شديد لمكان عمرو بن عبد ود العامري لأنّه كان يعد بألف فارس ويلقب بعماد العرب وبفارس يليل.

(٢) الحنيد: اللحم المشوي الناضج. ويكنى الشاعر بذلك عن عمرو ابن عبد ود العامري الذي طلب البراز فخاف المسلمون من مبارزته فقصده علي فقال الرسول: «برز الإيمان كلّه إلى الشرك كلّه» فنازله الإمام وحمل رأسه إلى رسول الله فتلقّاه ﷺ ومسح التراب عن عينية وقال له: يا علي لو وزن عملك بعمل جميع أُمّة محمّد لرجح عملك إذ لم يبق بيت من بيوت المشركين إلّا ودخله ذلّ بقتل عمرو ولم يبق بيت من بيوت المسلمين إلّا ودخله عزّ.

(٣) بنو قريظة والنضير وأخواتها قبائل يهودية ذاقت على يد الإمام كلّ ذلّ وهوان.

(٤) حنين: حدثت هذه الوقعة والنبي ﷺ في مكة حديث فتح لها وقد قادتها هوازن فخرج لها النبي في جيش عظيم بلغ اثنى عشر ألفاً، إلّا أنّ الجيش كلّه قد انهزم وبقي النبي في عشرة من بني هاشم فنزلت الآية الكريمة: ﴿ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلن تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثمّ ولّيتم مدبرين ثمّ أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها﴾ وفتح الله لنبيّه. وكان علي في الثابتين وكانت له مواقف مشهورة.

ولخـــيبر[1] خـــبر يـــصمّ حـديثه ... ســـمع العـدى ويـفجّر الجـلمودا

يـوم بـه كـنت الفـتى الفـتاك والـ ... ـكـرار والمـحبوب والصـنديدا[2]

من بعد ما ولّى الجـبان بـرايـة الـ ... إيـــمان تـــلتحف الهـــوان بـرودا

ورأتك فـــاهتزّت بـــقربك بـهجة ... فـــعل الودود يـــعاين المـــودودا

فـــنصرتها ونـــضرتها فكأنّـــها ... غـــصن يـــرنحه الصـــبا أمـــلودا

فغدوت ترفل والقـلوب خـوافـق ... والنصر يـرمي نـحوك الإقـليدا[3]

فـــلقيتها وعـــقلت فـــارسها ولا ... عجب إذ افترس الهـزبر السـيدا[4]

ويـل أمـه أيـظنّك النكس[5] الذي ... ولّى غـداة الطـعن يـلوي جـيدا؟

---

(١) خيبر: كانت وقعة خيبر في أوّل سنة سبع، وكان للإمام علي فيها ما لم يكن لغيره كشأنه في سائر الغزوات.

(٢) يشير إلى فرار بعض الأصحاب يوم خيبر وقول الرسول ﷺ: «لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله، كراراً غير فرّار، لا يرجع حتّى يفتح الله على يديه» وأعطاها أميرالمؤمنين عليه السلام والحديث من المسلّمات بين المؤرخين والمحدثين وأرباب السير من العامة فممّن رواه: البخاري في باب مناقب علي من صحيحه، وكذلك في صحيح مسلم: ٣٢٧/٢، ومسند أحمد: ١٦/٣، والسيرة الحلبية للشافعي، والسيرة النبوية لدحلان كلاهما في غزوة خيبر، وتاريخ الطبري والكامل لابن الأثير وتاريخ أبي الفداء وتاريخ الخميس في موضوع غزوة خيبر، وتذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ١٥، ومطالب السؤل للشافعي: ٣٩، والصواعق المحرقة لابن حجر: ٧٦، والفصول المهمة للمالكي في غزوة خيبر، ونور الأبصار للشبلنجي: ٧٣، والإستيعاب لابن عبدالبر وأسد الغابة للجزري، والإصابة لابن حجر، والجامع الصغير للسيوطي كلّها في ترجمة علي وعشرات المصادر التي تضيق بها هذه الهوامش.

(٣) الإقليد والمقلد والمقلاد: المفتاح.

(٤) السيد: الذئب. يقصد صاحب الديوان بذلك مرحباً.

(٥) النكس بكسر الأول وسكون الثاني: الرجل الضعيف الدنيء الذي لا خير فيه. ويقصد الشاعر بذلك بعض من حمل راية النبي وجبن فعاد.

وتـــبعتها فـــحللت عـقدة تـاجها ... بـيد سـمت ورتـاجها المـوصودا

وجعلته جسراً[1] فـقصر فـاغتدت ... طولى يـمينك جسـرها المـمدودا

وأبحت حصنهم[2] المشيد فلم يكن ... حصن لهـم مـن بـعد ذاك مشـيدا

فـــهوت لعـزّتك المـلائك سـجّداً ... تـــولي الثـــناء وتكـــثر التـمجيدا

وحديث أهل النكث عسكر عسكـر[3] ... بـــهم البـهيمة جـندها المـحشودا

(١ و٢) كانت لليهود ستة حصون: السلالم، والقموص، والنطاة، والقصارة، والشق، والمربطة. كذا ذكرها ابن واضح في تاريخه، أمّا ابن شهر آشوب فقد سمّاها في مـناقبه قـموص، وناعم، وسلالم، ووطيخ وحصن المصعب بن معاد، وغنم. وكان فيها عشرون ألف مقاتل كما كان من أمنعها القموص حيث كان فيه مرحب بن الحارث اليهودي، ولمّا قتله علي عليه السلام وقتل سبعة آخرين من اليهود كانوا يعدون بسبعة آلاف، رجع من كان معه وأغلقوا بـاب الحصن عليهم فهجم أسد الله ورسوله وهزّ باب الحصن فانقلعت من مكانها، وفي روايـة الإمام الباقر عليه السلام: اهتزّ الحصن بأركانه حتّى سقطت صفيّة بنت حي بن أخطب من عـلى عرشها وجرح وجهها. وان هذا الباب يفتح ويغلق من قبل عشرين رجلا ويروى ٤٤ و٧٠ و٩٠ ولا يحمله إلّا ألف رجل، وقد عجز المسلمون عن الوصـول إلى الحـصن لحـيلولة الخندق دونه فجعلها الإمام جسراً ونقصت قليلاً فمدّ ذراعه مـعها وعـبر المسـلمون إلى الحصن فنقلوا غنائمه. وهذا ما يشير إليه صاحب الديوان بقوله: فقصر فاغتدت طـولى يمينك... الخ وبعد عودتهم رماها إلى مسافة. قال ابن دحلان: كان طول الباب ثمانون شبراً ولم يحرّكه بعد أن ألقاه من يده سبعون رجلاً إلّا بعد جهد وفيه دلالة على فرط شـجاعة علي... الخ وقد روى حادثة قلع الباب وما رافق ذلك معظم القـدامـى والمـحدثين مـن المؤرخين.

(٣) عسكر: اسم الجمل الذي ركبته عائشة في حرب الجمل المعروفة وكان بعث به إليها يعلى ابن اميّة عامل عثمان على اليمن وقد اشتراه بمائتي دينار، وهـي اولى حـروب الإمـام علي عليه السلام بعد تولية الخلافة بخمسة أشهر وواحد وعشرين يوماً وذلك يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الأُولى سنة ست وثلاثين، وقتل فيها من أصحاب علي خـمسة آلاف ومن أصحاب الجمل ثلاثة عشر ألفاً على أصحّ الروايات. ومن طريف ما رواه المسعودي ⊂

لاقاك فارسها فبغدد هارباً ... لو كان محتوم القضا مردودا
وعلى ابن هند طار منك بأشأم ... يوم غدا لبني الولاء سعودا
ألفى جحاش[1] الكرملين فقادهم ... جهلاً فابئس قائداً ومقودا
فغدوت مقتنصاً نفوس كماته ... لله مقتنص يصيد الصيدا
حتّى إذا اعتقد الفنا ورأى القنا ... مذروبة ورأى الحسام حديدا
وبدا له الغضب الذي من قبله ... قد فلّ آباء له وجدودا
رفع المصاحف لا ليرفعها علا ... لكن ليخفض قدرها ويكيدا[2]

في مروج الذهب قوله: ذكر المدائني أنّه رأى بالبصرة رجلا مصطلم الأُذن فسأله عن قصّته فذكر أنّه خرج يوم الجمل ينظر إلى القتلى فنظر إلى رجل منهم يخفض رأسه ويرفعه وهو يقول:

لقد أوردتنا حومة الموت أمنا ... فلم تنصرف إلّا ونحن رواء
أطعنا بني تيم لشقوة جدّنا ... وما تيم إلّا أعبد وإماء

فقلت: سبحان الله! أتقول هذا عند الموت؟ قل: لا إله إلّا الله، فقال: يابن اللخناء إيّاي تأمر بالجزع عند الموت. فولّيت عنه متعجّباً منه فصاح بي إدن منّي ولقنّي الشهادة، فصرت إليه فلمّا قربت منه استدناني ثمّ التقم أُذني فذهب بها، فجعلت ألعنه وأدعو عليه، فقال: إذا صرت إلى أُمّك فقالت لك من فعل هذا بك؟ فقل: عمير بن الأهلب الضبي مخدوع المرأة التي أرادت أن تكون أميرالمؤمنين.

(١) الجحاش والجحشان والجحشة جمع جحش: ولد الحمار. والكرملين اسم موضع.

(٢) إشارة إلى قصة التحكيم ورفع المصاحف في حرب صفين، وممّا يدعو إلى التأمل ما رواه المؤرخون عن الحسن البصري أنّه قال: أفسد أمر الناس إثنان: ١ ـ عمرو بن العاص يوم أشار على معاوية برفع المصاحف فحملت ونال من القرآن فحكم الخوارج فلا يزال هذا التحكيم إلى يوم القيامة. ٢ ـ المغيرة بن شعبة فإنّه كان عامل معاوية على الكوفة فكتب إليه معاوية: إذا قرأت كتابي هذا فأقدم معزولا، فأبطأ عنه ولما ورد عليه قال: ما أبطأ بك؟ قال: أمر كنت أوطؤه وأهيئه، قال: وما هو؟ قال: البيعة ليزيد من بعدك، قال: أو قد فعلت؟

فـجنى بـها عـزّ الأمـان وخـلفه ... يـوم يـجرّعه الشـراب صـديدا
وكذاك أهل النهر[1] سـاعة فـارقوا ... بـفراقـهم لجـلالك التأيـيدا
فـوضعت سـيفك فـيهم فأبـادهم ... تـلفاً فـديتك مـتلفاً ومـعيدا
ولقـد روى مسـروقهم عـن أُمّـه ... والحـق يـنطق مـنصفاً وعـنيدا
قـالت: هـم شـرّ الورى ومـبيدهم ... خـير الورى أكـرم بـذاك مـبيدا
سـبقت مكـارمك المكـارم مـثلما ... خـتمت لعـمر فـخارك التأيـيدا
مـا زلت أسأل فـيك كـلّ قـديمة ... عـاد القـديم وقـيل عـاد ثـمودا
ألفـاك آدم آدمـاً لا صـالح ... يـدري بـذاك ولا نـزيلك هـودا
إنّي لأعذر حاسديك على العـلا[2] ... وعلاك عذري لو عذرت حسـودا
فـليحسد الحسّـاد مـثلك أنّـه ... شرف يزيد على المـدى تـجديدا
مـا أنـصفتك عـصابة جـهلتك إذ ... جعلت لذاتك في الوجود نـديدا[3]
ثمّ ارتقت حتّى أبتك رضـى بـمن ... لم يـرض كـعبك أن يـراه صـعيدا
ظـلّت أدلّـتها تـبدل بـالعمى ... رشداً وبالعدم المـحال وجـودا؟؟
بـاعتك وابـتاعت بـجوهر ذلك الـ ... ـعلوي سـفلي المـبيع رديـدا

➲ قال: نعم. قال: فارجع إلى عملك. ولمّا خرج قال أصحابه: ما وراءك؟ قال: وضعت رجل معاوية في غرز غي لا يزال فيه إلى يوم القيامة.

(١) يريد واقعة النهروان التي نتجت عن موضوع التحكيم في صفين فقد قام بها الخوارج وبلغوا اثنى عشر ألفاً إلّا أنّهم هربوا في المعركة وبقي أربعة آلاف زحفوا إلى الإمام وأصحابه وقتلوا جميعاً ولم يسلم غير تسعة لاذوا بالفرار.

(٢) لعلّه نظر فيه إلى قول الشفهيني الحلّي المتوفى في أوائل القرن التاسع من قصيدة له:

إنّي لأعذر حاسديك على الذي ... أولاك ربك ذوالجـلال وفـضلا
إن يحسدوك على عـلاك فـإنّما ... متسافل الدرجات يحسد من علا

(٣) النديد والند: المثيل، والنظير.

وبـــما أسـرت مـن قـديم نـفاقها ... وجـــرت عـــليه طـــارفاً وتـليدا
بـــلغ المـــرادي المـراد وأورد الـ ... ـحسن الردى وقضى الحسين شهيدا
تالله لا أنس ابـن فـاطم والعـدى ... أبـــدت إليـــه ضـــغائناً وحـقودا
غدروا به إذ جاءهم مـن بـعد مـا ... أســدوا إليـــه مـــواثـقاً وعـهودا
قـــتلوا بـــه بـــدراً فأظـلم ليـلهم ... فغدوا قـياماً فـي الضـلال قـعودا
فـحموه أن يـرد المـباح وصـيروا ... ظـــلماً له ظـــامي الرمـاح ورودا
فســـمت إليـه أمـاجد عـرفوا بـه ... قصد الطـريق فأدركـوا المـقصودا
نفر حـوت جـمل الثـنا وتسـنّمت ... قـــــلل المـــعالي والداً ووليـــدا
من تلق مـنهم تـلق كـهلاً أو فـتى ... علم الهدى بحر النـدى المـورودا
وتبادرت طلق الأسنّة لا تـرى الـ ... ـــغمرات إلّا المـــائسات الغـيدا
وكأنّـــما قـــصد القـــنا بـنحورهم ... درراً يـــفصّلها الطـــعان عـــقودا
واستنزلوا حـلل[1] العـلا فأحـلّهم ... غـــرفاته فـــغدا النـــزول صـعودا
فتظن عـينك أنّـهم صـرعى وهـم ... فـــي خـــير دار فـارهين رقـودا
وأقـــام مـعدوم النـظير فـريد بـيـ ... ـت المجد مـعدوم النـصير فـريدا
يـلقى القـفار صـواهـلا ومـناصلا ... ويـــرى النـــهار قساطلا وبـنودا
سـاموه أن يـرد الهـوان أو المـنيـ ... ـــة والمسوَّد لا يكـون مسـودا
فـــانصاع لا يـعبا بـهم عـن عـدّة ... كـثرت عـليه ولا يـخاف عـديدا
يلقى الكـماة بـوجه أبـلج سـاطع ... فكأنّـــهم أمـوا نـداه وفـودا
يسطو فتلقى البيض تغرس في الطلى ... فـتعود قـائمة الرؤوس حـصيدا
أســد تـظل له الأسـود خـوافـقاً ... فترى الفـتى يـحكي الفـتاة الرودا

---

(١) الحلل والحلال بالكسر جمع حلّة: المجلس والمحلّة.

البـرق صـارمه ولكـن لم يسـق ... للـــويل إلّا هـــامة ووريـــدا
والصقر لهـذمه[1] ولكـن لم يـصد ... إلّا قـــلوباً أوغـــرت وكـــبودا
بأس يســـر مـــحمّداً ووصـــيّه ... ويـــغيض نـــغل ســـميّة ويـــزيدا
حـــتّى إذا حـــم الحـــمام وآن لا ... تـــلقى عـــماداً للـــعلا وعـــميدا
عـمدت له كـف العـناد فسـدّدت ... ســـهماً عـدا التـوفيق والتسـديدا
فـــثوى بـمستنّ النـزال مـقطع الـ ... أوصـال مشكـور الفـعال حـميدا
لله مـــطروح حـــوت مـنه الثـرى ... نـــفس العـــلا والسـؤدد المـفقودا
ومـــبدد الأوصـــال لازم حـــزنه ... شـــمل الكـــمال فـلازم التـبديدا
ومـــجرّح مـــا غـيّرت مـنه القـنا ... حســـناً ولا أخـلقن مـنه جـديدا
قد كان بدراً فاغتدى شمس الضحى ... مـــذ ألبســـته يـــد الدمـاء لبـودا
تـــحمي أشـــعته العـــيون فكـلّما ... حـــاولن نـــهجاً خـــلنه مسـدودا
وتـــظلّه شـجر القـنا حـتّى بـدت ... إرســـال هـــاجرة[2] إليـــه بـريدا
وثواكل فـي النـوح تسـعد مـثلها ... أرأيت ذا ثكـــل يكـــون سـعيدا؟
حـــنّت فـلم تـر مـثلهنّ نـوائـحاً ... إذ ليس مـــثل فـــقيدهنّ فـــقيدا
لا العيس[3] تحكيها إذا حـنّت ولا ... الورقاء تـحسن عـندها التـرديدا
إن تنع أعـطت كـلّ قـلب حسـرة ... أو تـدع صـدعت الجـبال الميدا
عبراتها تـحيي الثـرى لو لم تكـن ... زفراتـها تـدع الريـاض هـمودا[4]
وغدت أسيرة خدرها ابـنة فـاطم ... لم تـــلف غـير أسـيرها مـصفودا

---

(١) اللهذم: الحاد القاطع من السيوف والأسنّة والأنياب.
(٢) الهاجرة: الشمس.
(٣) العيس: الإبل البيض يخالط بياضها سواد خفيف.
(٤) الهمود: يبس الأرض وعدم وجود حياة ولا ماء ولا عود ولا نبت.

تدعو بلهفة ثاكل لعب الأسى ... بفؤاده حتّى انطوى مفئودا[1]
تخفي الشجا جلداً فإن غلب الأسى ... ضعفت فأبدت شجوها المكمودا
نادت فقطّعت القلوب بشجوها ... لكنّما انتظم البيان فريدا:
انسان عيني يا حسين أخيّ يا ... أملي وعقد جماني المنضودا
مالي دعوت ولا تجيب ولم تكن ... عوّدتني من قبل ذاك صدودا
ألمحنة شغلتك عنّي أم قلى؟[2] ... حاشاك إنّك ما برحت ودودا
أفهل سواك مؤمل يدعى به ... فيجيب داعية ويورق عودا؟
ان استعن قامت إليّ ثواكل ... لم تدر إلّا النوح والتعديدا
وكفيلها فوق المطي معالج ... من ضرّه ومن الحديد قيودا
أوحيد أهل الفضل يعجب جاهل ... إن تمس مابين الطغام وحيدا
ويلام غيث ما سقاك وإنّه ... من بحر جودك يستمدّ الجودا
قد كان يعتب عند تركك ظامياً ... لو كان غيرك بحره المورودا
يابن النبي إليّة من مدنف[3] ... بسعلاك لا كذباً ولا تفنيدا
ما زال سهدي مثل حزني ثابتاً ... والغمض مثل الصبر عنك طريدا
تأبى الجمود دموع عيني مثلما ... يأبي حريق القلب فيك خمودا
والقلب خلف الطرف فيك فكلّما ... أسبلت هذا ازداد ذاك وقودا
طال الزمان على لقاك فهل قضى ... للحزن والمحزون فيك خلودا
أفلم يحن حين المسرة أن ترى ... عيناي ذاك الصارم المغمودا
وفصيحة عربية مأنوسة ... لم تألف الوحشي والتعقيدا

---

(١) المفئود: مألوم الفؤاد.

(٢) القلى: البغض.

(٣) الإلية: القسم. والمدنف: المريض.

ما سامها الطائي[1] الصغار ولا الذي قد يممته خالد بن يزيدا[2]
أنزلتها بجناب أبلج لم يخب قصد لديه ولا يذل قصيدا
كانت به جهد المقل وإنّما عذر الفتى أن يبلغ المجهودا
لو شاء يمدح بالذي هو أهله حصر الأنام فما سمعت نشيدا

* * *

وله في رثاء الحسين عليه السلام:

أهاب به الداعي فلبّاه إذ دعا وكان عصي الدمع فانصاع طيّعا

---

(١) الطائي أبو تمام حبيب بن أوس بن الحارث الطائي من أكابر شعراء العرب، اختلف في التفضيل بينه وبين المتنبي والبحتري، كان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة من أراجيز العرب غير القصائد والمقاطع وهو قوي الشعر جزله استقدمه المعتصم من سوريا إلى بغداد فأجازه وقدمه على شعراء وقته وتوفي في الموصل سنة ٢٣١ هجـ وكانت ولادته سنة ١٨٨ وديوانه مشهور مشروح وكذا ديوان الحماسة الذي جمعه من مختار شعر العرب تراجع ترجمته في تاريخ بغداد: ٢٤٨/٨، ووفيات الأعيان: ١٢١/١، ومعاهد التنصيص: ٣٨/١، وخزانة الأدب: ١٧٢/١ و٤٧٤، والأغاني: ٩٦/١٥، والفهرست: ١٦٥، ونزهة الألبّاء: ٢١٣، وحسن المحاضرة: ٢٤٠/١، وتهذيب التاريخ الكبير: ١٨/٤ وعشرات غيرها.

(٢) هو أبو يزيد خالد بن يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني، من امراء العصر العباسي، ولاه المأمون مصر في سنة ٢٠٦ هجـ فدخلها وقاتله عبيدالله ابن السري فلم يتمكن من البقاء فيها فولاه الموصل ثمّ أضاف له ديار ربيعة كلّها فأقام إلى أيّام الواثق وقد انتفضت أرمينية في أيّامه فانتبده للزحف عليها وجهّزه بجيش جرّار فاعتل في طريقها ومات في سنة ٢٣٠ هجـ. وقد اشتهر في عصره بالجود وسعة العطاء فقد قال المبرد عنه: كان بقية الشرف والكرم وأوسع الناس صدراً في إعطاء الشعراء وهو ممدوح أبي تمام. راجع: جمهرة الأنساب: ٣٠٧، والبيان والتبيين: ٣٤٢/١، والولاة والقضاة: ١٧٤، وأخبار أبي تمام: ١٠٧ وغيرها.

عصى دمعه حادي المطايا فمذ رأى ... بعينيه ظعن الحي أسرع أسرعا
فبادر لا يلوي به عذل[1] عاذل ... إذا قيل مهلا بعض هذا تدفعا
تجلد إذ ظنّ النوى[2] حكم هازل ... فلمّا رأى جدّ المطايا تصدّعا
فأوغل[3] يجري خلفها لا يصدّه ... حياء ولا لاح لحاه فأقذعا[4]
ظعائن تسري والقلوب بأسرها ... على أثرها يجرين حسرى وظلعا
ظعائن بالأقمار تجري فحيثما ... توجّه حادي الركب أبصرت مطلعا
وفي البين عذر للكريم إذا بكى ... لذكرى حبيب إذ تشوّق مربعا[5]
خليلي ما بعد النوى من تعلة ... وقد غرّد الحادي بنجد ولعلعا[6]
فلا ترج بعد الركب إلّا مدامعاً ... تسيح وأحشاء من الضعف وقعا
وبالنفس أفدي ظاعنين تجلّدي ... لبينهم قبل التودّع ودّعا
مضوا والمعالي الغر حول قبابهم ... تطوف الجهات الست مثنى ومربعا
سروا وسواد الليل داج فشعشعت ... على لونه أنوارهم فتعشعشا
يحلّ الهدى أنّى يحلّون والندى ... فإن أقلعوا (لا قدّر الله) أقلعا
ترى الكون من آثارهم حزن روضة ... سقا نورها[7] عذب الحيا فترعرعا
مصاليت يوم الحرب رهبان ليلهم ... بوارع في هذا وفي ذاك خشّعا

---

(١) العذل: اللوم.
(٢) النوى: البعاد.
(٣) أوغل: أسرع في السير.
(٤) أقذع: شتم وفحش في القول.
(٥) لعلّه نظر فيه إلى مطلع معلقة امرىء القيس وهو:
قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل ... بسقط اللوى بين الدخول فحومل
(٦) العلة والعلالة ما يتعلل به.
(٧) النور: الزهر الأبيض. والحيا: المطر.

ترى الفرد منهم يجمع الكل وصفه ... كمالا كأنّ الكل فيه تجمّعا
وتهوى الأيامى لو تحلّ ربوعهم ... وقد تركت من حولها الروض ممرعا
رمت بهم نحو العلى المحض عزمة ... لو الطود وافاها وهى[1] وتصدعا
عشية أمسى الدين دين أميّة ... وأمسى يزيد للبريّة مرجعا
يقول بلا فضل ويفتي بلا هدى ... ويحكم لا عدلا ولا رأي أمنعا
وهل خبرت فيما تروم أمية ... بأنّ العلى لم تلف للضيم مدفعا؟
وقد علمت أنّ المعالي زعيمها ... حسين إذا ما عنّ[2] ضيم فأفزعا
رأى الدين مغلوباً فمدّ لنصره ... يمين هدى من عرصة الدهر أوسعا
فأوغل يطوي الكون ليس بشاغل ... على ما به من كفّ عل‍ياه أصبعا
أفاد الفلا وخدّ المطايا ونصّها[3] ... كأنّ السرى يجري رقاباً وأذرعا
يقود إلى الحرب العوان ضراغماً ... حواسرها أمضى من الغير درّعا
يجر من الرمح الطويل مزعزعاً ... وينضي من السيف الصقيل مشعشعا
مسطلا على الأقدار لو شاء كفّها ... لجاءته تترى حسبما شاء طيّعا
فألقى ببيداء الطفوف مشمّراً ... إلى الموت لن يخشى ولن يتروّعا
وقامت رجال للمنايا[4] فأرخصوا ... نفوساً زكت في المجد غرساً ومنبعا
تفرّع من عليا قريش فإن سطت ... رأيت أخا ابن الغاب عنها تفرّعا
بدور زهت أفعالهم كوجوههم ... فسرتك مرئى إذ تراها ومسمعا

---

(١) وهى: سقط.

(٢) عنّ بتشديد النون: اعترض.

(٣) الفلا مخفف الفلاة: الصحراء الواسعة. والوخد: سرعة سير البعير ورميه بقوادمه كالنعامة. والنص: حثّ الناقة على السير بشدة.

(٤) المنايا جمع المنيّة: الموت.

أبوا جانب الورد الذميم وأشرعوا ... مناهل أضحى الموت فيهنّ مشرعا
فأكسبها المجد المؤثل أبلج ... غشى نوره جنح الدجى فتقشّعا[1]
فتنثر أوصال الكمي سيوفها ... وتنظم بالرمح الطويل المدرّعا
إلى أن ثووا صرعى الغداة كأنّهم ... ندامى سقاها الوصل كاساً مشعشعا
وأقبل ثمّ الليث يحمي عرينه ... ببأس من العضب اليماني أقطعا
يكرّ فتلقى الخيل حين يروعها ... أضاميم[2] سرب خلفها الصقر زعزعا
فذعذع جمع الجمع قسراً كأنّما ... تجمع جمع الجمع كي يتذعذعا[3]
يصرف آحاد الكتيبة رأيه ... فلا ينثني إلّا الكمي المقنّعا
عصت أمره لمّا دعاها إلى الهدى ... وجاءت لأمر السيف تنقاد طيّعا
بطعن يعيد الزوج بالضم واحداً ... وضرب يعيد الفرد بالقطع أربعا
ولمّا رمت كفّ المقادير رميها ... وحان لشمل الدين أن يتصدّعا
بدا عن سراة السرج يهوي كأنّما ... جبال شروري[4] من علاها هوت معا
وخرّ فلا تدري المقابر أيها ... أصاب فأخطى حين أردى السميدعا[5]
وجاء سنان طاعناً بسنانه ... يرى أنّه كان الهزبر[6] المشجّعا
وأقبل شمر يعلن العجب إذ رقى ... على الليث إذ أمسى له الحتف مضجعا
وراح بأعلى الرمح يزهو كريمة ... كبدر الدجى إذ تمّ عشراً وأربعا

---

(١) تقشّع: زال وانكشف.
(٢) الأضاميم جمع الأضمامة: الجماعة.
(٣) ذعذع: بدّد وفرّق. وقسراً: كرهاً.
(٤) جبال شروري: عدّة جبال لبني سليم عرفت بالمنعة.
(٥) السميدع: الشجاع.
(٦) الهزبر: الأسد.

وعاثت خيول الظالمين فأبرزت ... كرائم أعلى أن تهان وأرفعا
فواطم من آل النبي حرائر ... بكفّ العدى أمست سواغب جوّعا
ثواكل لم يبق الزمان لها حمى ... يكنّ ولم يترك لها الدهر مفزعا
سوافر أعياها التبرقع والحيا ... ينازعها مع سلبها أن تبرقعا
دعاها إلى معنى التقنّع صونها ... وأعوزها الأعداء أن تتقنّعا
فراحت ويمناها قناع لرأسها ... وللوجه يسراها مع اللطم برقعا
عفائف إفراط الصيانة طبعها ... إذا غيرها نال العفاف تطبعها
تكاد إذا ما أسبلت عبراتها ... تعيد الثرى من وابل الدمع مربعا
وكادت إذا ما أشعلت زفراتها ... بأنفاسها يغدو لها الروض بلقعا
فما الفاقدات إلّا لفّ شتت جمعها ... غداة النوى أبدى العداة ووزّعا
نوت فرقة للغرب منها وفرقة ... إلى الشرق فالشملان لن يتجمّعا
ولا مدنف يدعو الطلول[1] فكلّما ... تصاممن لان القول منه تخضّعا
ولا نار مقر خاف أخماد ضوئها ... فأذكى لظاها في الظلام ورفّعا
ولا شنتا[2] خرقاء أبلاهما البلا ... والوى على مجراهما فتقطّعا
بأوهى قوى منها وأبين ذلّة ... وأضرم أحشاء وأضيع أدمعا
نوائح من فوق الركاب كأنّها ... حمام نأى عنه الخليط فرجعا
سبايا يلاحظن الكفيل مصفداً ... على الرحل مغلول اليدين مكنّعا[3]
وأسرتها الحامون للبيض مطعماً ... وأموالها في النهب للقوم مطمعا

(١) المدنف: المريض. الطلول جمع طلل: الشاخص من آثار الدار.
(٢) كذا في الطبعة الأُولى من الديوان، وأظنّه شنتة: كيس من جلد توضع فيه الملابس والأوراق ونحوها وهي عامية «جنطة».
(٣) المكنع: مقطوع اليد.

وأوجـــهها مكشـــوفة لعـــداتـــها ... وأطـفالها فـي الذل غـرثى وجـوّعا
إلى الله أشكـو مـعشراً ضـلّ سـعيها ... فـــجاؤا بـــها شـنعاء تـحمل أشـنعا
جـــزى الله تـــيماً واللـئيمة أخـتها ... عن المصطفى شرّ الجزاء وأفـضعا[1]
فأقســـــم لولا بـــغيها وفـــجورها ... وغصب علي ما ادّعاها مـن ادّعـى
ولا راح يدعى حجة الله فـي الورى ... يـــزيد فـــيعطي مـن يشـاء ويـمنعا
ولا راح يـــوم الطـف سبط مـحمّد ... لدى القـوم مـطلول الدمـاء مـضيّعا
وكـــانت بـنو حـرب أذلّ وجـمعها ... أقـــل ولا شـــمت بـه العـزّ أجـدعا
دعتها نفاق الدهـر حـتى تـراجـعت ... نكوصاً على الأعـتاب لن تـتنعنعا[2]
فـــقامت عـلى رغـم المـعالي أمـية ... بـنقض الذي قـد أبـرم المـجد ولّـعا
أبـــاحت لهـــم أفـعالهم سـنن الأُلى ... وعـهد عـليه سـالف الدهـر أجـمعا
أتـــاها يـــزيد بـــالذي فـجرت بـه ... وكـــــرّ عـــلى آثـــارهم مـــتوسّعا
فمن ناشد تـيماً عـلى ضـعف رأيـها ... وقـبح الذي أبـدى أخـوها وأبـدعا

---

(١) تيم: هو ابن مرة بن كعب بن لوي، جدّ جاهلي من قريش من نسله أبـوبكر، وطـلحة. وأمية: هو ابن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، جدّ الامويين في الشام والأندلس، وقد وفد مع ابن عمّه عبدالمطّلب ابن هاشم على سيف بن ذي يزن في قصره غمدان بصنعاء لتهنئته بانتصار جيشه على الحبشة. وقد كانت له قيادة الحرب في قريش وذلك أنّ قريشاً قسمت المفاخر والمراسم على بطونها وزعمائها حسب أقدارهم ومزاياهم، فانتهى الشرف إلى عشر بطون: هاشم، وأمية، ونوفل، وعبدالدار، وأسـد، وتـيم، ومـخزوم، وعـدي، وجمح، وسهم. فكانت لهاشم سقاية الحاج ولأُميّة راية الحرب، ولنوفل الرفادة، وهـي إعانة الحجاج المنقطعين بالمال، ولعبدالدار السدانة والحجابة واللواء، ولبني أسد رئاسة مجلس الشورى في مهمّات الأُمور، ولبني تيم الديات والمغانم والمغارم، ولبني عـدي السفارة، ولبني جمح الأيسار أو الازلام، ولبني سهم الحكومة والأموال المحجرة، ولبني مخزوم القبة، وهي مجتمع الجيش والأعنة، وهي قيادة الفرسان.

(٢) التنعنع: التمايل والإضطراب.

خليلي قولا وانصفا واسألا الذي ... تبرعها عن أي وجه تبرّعا
بأيّ بلاء كان منه أغصّه ... بمرّ المنايا مقدماً فتجرّعا
بادبارهم يوم اليهود وفرّهم ... غداة ابن ودّ قارعاً ومقرّعا
ولم تر في الإسلام تيم وأختها ... لها ناجماً في أُفق مجد تطلّعا
أقل عناء في العلا جاهلية ... وأخفض في الإسلام قدراً وأوضعا
وما برحت ذلّاً تشمّ بأجدع ... وترنو بعمياء وتسطو بأقطعا
مسودين أذناباً إذا جاهليّة ... تسدد نصلا حين تغرق منزعا
فباتت له ترعى الغوائل لا ترى ... له مضجعاً إلّا تمنّته مصرعا
فماذا الذي ترجوه لو عاد عودها ... على بدئها في الشرك لو ثمّ من وعى
وما ضربت في الفضل أيّام شركها ... بسهم ولا قامت مع القوم مجمعا
بني المصطفى يا خير من وطأ الحصى ... وأكرم من لبّى وطاف ومن سعى
ويا خير من أمّ المروعات ركنه ... فآمنها منّاً وراع المروعا
ويا خير من أمّته غرثى سواغباً ... فأطعمها عذب النوال فأشبعا
ويا خير من جاءته ظمئى نواهلا ... فأصدرها ري القلوب فأنقعا
ويا خير من يرجو المسيئون عفوه ... فأولى به الصفح الجميل وأوسعا
سما رزؤكم كلّ الرزايا كما سما ... على كلّ مجد مجدكم وترفّعا
فأحرزتم الغايات في كلّ حلبة ... فقصّر عن مسعاكم كلّ من سعى
سوابق في الهيجا سوابق في الندى ... سوابق إن صدّ الخصام المشيّعا
فوارس يوم البحث والخصم مانع ... فأجلب صعب النقص قصداً وجعجعا
مصابكم أضنى فؤادي من الأسى ... وأزعج عيني أن تنام فتهجعا
إذا ذكرت نفسي عظيم مصابكم ... تقسّمها الشجو العظيم ووزّعا
فقلبي لحرّ الوجد ما زال صالياً ... وطرفي بماء الدمع ريّان منقعا

أروح بأنـــفاس الســـليم تـــوجّعاً وأغـــدو بـــتذكار الســـقيم تـــفجّعا
وهل ندم يجدي على فوت نـصركم ونـــصركم للـــخلق جـــاء مشـفّعا؟

* * *

وله في رثاء الحسين عليه السلام:

لوامـــــة حـــلف المـــلامة أهـــدت إلى قـــلبي ســـقامه
لوامـــــــة نـــوامـــــة أيـــن المـنام مـن المـلامه؟!
خـــلّوا الحشـــا عـن طـارق للـــجفن مـــانعة مـــنامه
مـــتمدّد اللـــيل الطـويـ ـل كـرى وليـلي لن أنـامه[1]
فـــبدا يـــلوم ولو درى ما في الحشـا مـا كـان لامـه
بـــاللوم رام ســـلو قـلـ ـب لا تســـلّيه المـدامـه
وجمود جـفن ليس تـرقى الـ ـــغانيات له انســـجامه
لا ريـــقها المـعسول يشـفيه ولا فـــــرع البشـــامه[2]
هـــيهات ذلك ضـــعف رأ ي كـيف صـفو العـقل رامـه؟
ســـام العـــزا صبّ مـحا ل عـنده مـا كـان سـامه
لم يكـــفه الدمـع المكـفـ ـكف والجوى المبدي اضطرامـه
أفـــما بـــذاك عـــلامة لو ذو حجى يـرعى العـلامه؟
خـــل الجـــوى لمـــتيّم خـلّي الســرور لمستدامـه
لا يســتطيع ســوى الشـجو ن فكيف وهي غدت قوامـه؟

---

(١) لعلّه نظر فيه إلى قول مهيار الديلمي:

رحلتم وعمر الليل فينا وفيكم سواء ولكـن سـاهرون ونـوم

(٢) البشامة: شجرة طيبة الرائحة.

غـــدت الكآبـــة نـفسه حـــتّى أقـــامته مـقامه
تـــلقى مـــدامـــعه روا ه وحـــرّ مـهجته طـعامه
أولم يـــرعك الأكـــرمو ن وما قضت لهـم الكـرامـه؟
وقـــيامة بـــالطف قـــا مت دون أدنـــاها القـيامه
زلزالة أهـــــدت قـــوا رعها إلى الكون اصـطلامه[١]
طـــخياء كـالحة السـواد كأنّ ســـاريها حـــمامه[٢]
فـرعاء[٣] يكـتسب الدجـى مـن جـنح طـايرها ظـلامه
طـارت فأكسـبت الوجـو د غـــياهباً[٤] أوهت نـظامه
فـــيّاضة الكـــربات مـث ـــل البحر يـلتطم التـطامه
كـــالسيل أقـــدم كـلما كـفكفت زاد بـه عـرامـه[٥]
مـــــوّارة دوّارة لهـواتـها جـثث وهـامه[٦]
يـــزجـــي رحـــاها ســاهر إن عبّ بحر الحـتف عـامه[٧]
تـــلقى الجـبال تـمرّ مـن ســـطواتـه مـرّ الغـمامه
مـــــتلفتات ليس يـــد ري الفـذ مـنها مـا أمـامه
مـن مـعشر ضـرب الجـلا ل بـهم عـلى العـليا خـيامه

(١) الإصطلام: الإستئصال.
(٢) الطخياء والطخواء: الليلة المظلمة. والساري والمساري والمستري: الأسد.
(٣) الفرعاء والفارعة: أعلى الطريق ومنقطعه. والفرع من كلّ شيء: أعلاه.
(٤) الغياهب جمع غيهب: الظلمة والسواد الشديد من الخيل والليل وجلبة القتال.
(٥) العرام بضم الأول وفتح الثاني: كثرة الجيش وشدّته.
(٦) الموارة: الريح المثيرة للتراب. واللهوات جمع اللهوة: ما يلقيه الطاحن من الحب في فم الرحى بيده.
(٧) يزجي: يصلح ويسوّي. وعبّ البحر: كثر موجه وارتفع. وعام: سبح.

أدنـــى مـــنازلها السـما ك ومـــن أظـلّتها الغـمامه
ومـــوطىء الأقـدام مـنـ ـــها النسـر كـاهله وهـامه
مـن أحـمد المـختار مـنـ حـــبه وحـيدرة الشـهامه
بـــجبينه نـــور النـــبو ة بـــين عـــينيه الإمـــامه
يـــعلوه عـــنوان الجـلا ل بـــه وسـيماء الفـخامه
غـــضبان يـحتقر الوجـو د ومـا بـلت يـده حسـامه
مـوف عـلى الدفـعات عـز الله أشـــجع مـن أُسـامه[1]
مـــتبسّماً يـــلقى العـدى كـالليث إذ يـلقى سـوامـه[2]
غـــيران إمّـــا أن يـحو ز المـجد أو يـلقى حـمامه[3]
عشـــق الفـناء فـليس دو ن الحتف مـا يشـفي غـرامـه
طـرب إذا اضـطرب الغـريـ ـــق كأنّما الخـطر السـلامه
حـــتّى إذا حـــمّ الحـما م وصـوّبت يـده سـهامه[4]
وتـــصدعت نـظم الهـدى صـدعاً أبـى الدهـر التـئامه
قـرعت أسـاس المـجد نـا فـذة فأسـرعت انـهدامـه
هـــدّت ذرىٰ رضـوى وأر دت يـذبلا ورمت شـمامه[5]

---

(١) أُسامة: الأسد.

(٢) السوام: الماشية.

(٣) الغيران: ذو الأنفة والحمية. وقد أخذ هذا المعنى فأحسن أخذه السيد جعفر الحلي المتوفى سنة ١٣١٥ هجـ بقوله:

وإنّـا أُنـاس لا تـوسط بيننا لنا الصدر من دون الكرام أو القبر

(٤) حم: قصد. والحمام: الموت.

(٥) يذبل ورضوى وشمامة أسماء جبال مشهورة بالكبر والعظمة.

وأشـــمت المـــجد الأشـ ـــم برغم ماجده رغامه[1]
يـــا أُمّـــة ولغ الشـــفا ء بـــها فأركـــبها ســـنامه
ورأى الضـــلال مـــحلّه مـــنها فـــملّكها زمـــامه
مـــا راقـــبت لنـــبيّها عـــهداً ومـــا راعت ذمـــامه
قـــتلت أحـــبّته ومـــا قـــنعت أن اغـــتصبت مـقامه
وجـــرت كـــذاك فـلم تـزل أبـــداً له فـــيهم ظـــلامه
جـعلت حشـاه قـرى السـها م ومـــاء مـــهجته إدامـــه[2]
هـــاذي كـــرائـــمه تســـا ق ومـــثلها تـــركوا كـــرامـه
فـــــبناته نـــــهباً كأ ن أبـــاحها الديـــن اغـتنامه
ليـــزيد تـــنحو بـــعد كـــو فـــته بـــلا ســـتر شآمـــه
أســـرى يـــعزّ عـــليه مـــا يـــلقين مـــن بـعد الكـرامـه
هـــذا ومـــهجته بأيـــد ي الخيل قـد رضّـوا عـظامه
وكـــريمه[3] البـــدري فـــو ق قـــناته لاقـــى تـــمامه
أكـــذا بـــدور الحســـن لم تـــبرح لهـــا الخـطي قـامه؟
تـــروى الرمـــاح أوامـــها مـــنه ومـــا روت أوامـــه[4]
والمـــاء نـــصب لحـــاظه يـــلتاح نـــاظره جـــمامه[5]
يـــا للـــرجـــال لحـــادث قـــد طـــبّق الدنـــيا ركـــامه

---

(١) الرغام: التراب.

(٢) القرى: ما يقدم للضيف. والإدام من الطعام كلّ ما يؤكل مع الخبز.

(٣) الكريم من كلّ شيء أحسنه وأعلاه ويقصد الشاعر وجه الإمام الشهيد روحي فداه.

(٤) الأوام: العطش.

(٥) الجمام والجمم: الكثرة.

أرأيت مـــــبعوثاً لقـــو ... م هكـذا جـعلوا خـتامه؟
قـــطعوا عـناداً رحـمه الـ ... أدنـى ومـا خـافوا أثـامه
أهـل الشـقاء لهـم مـقام ... م مـا لنـا تـلك المـقامه
سـادوا لنـا بـالسبق والـ ... ـمأموم لا يـعدو إمـامه
أهـل العـدالة والوثـا ... قـة والجـلالة والشآمـة
مـا أن عـليهم لا ولو ... كـفروا بـخالقهم لوامـه
والصـمت عـن أفـعالهم ... حـتم قـضى الديـن التزامـه
سـبوا النـبي غـصبوا الوصـي ... ضـربوا البـتول بـلا مـلامه!!
حـرقوا المـصاحف غـيّروا ... مـن بـيت ربّـهم مـقامه
آووا طـريد نـبيّهم ... طـردوا الذي آوى فـهامه[1]

---

(١) طريد رسول الله ﷺ هو: مروان بن الحكم بن أبي العاص، وأكثر المؤرخين يعبّرون عنهما بطريدي رسول الله، فقد كان ﷺ طردهما إلى الطائف وبقيا مدة حياة النبي ﷺ وخلافة أبي بكر وعمر وقد عبّر اليعقوبي في تاريخه: ٢/١٥٠ بطريدي رسول الله عن الحكم وعبدالله بن سعد بن أبي سرح العامري فقد كان الأخير طريد النبي ﷺ أيضاً. ولم يعد مروان منهما لأنّه كان صغيراً يوم نفي أبوه وذهب معه تبعاً. والذي أشار إليه صاحب الديوان بقوله: طردوا الذي... الخ فهو الصحابي الجليل أبوذر الغفاري ﷺ فقد طرد من مدينة الرسول ﷺ ونفي إلى الربذة حتّى مات بها كمدا، وقد أجمع المؤرخون على نفيه وشذّ عنهم المنصف المعروف! ابن خلدون فقد أبى له ولاؤه لآل أمية الإعتراف بذلك قال في تاريخه ـ كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ـ ٢/٣٨٦: «استأذن أبوذر عثمان في الخروج من المدينة وقال: إنّ رسول الله ﷺ أمرني بالخروج منها إذا بلغ البناء سلعاً، فأذن له ونزل الربذة وبني بها مسجداً وأقطعه عثمان صرمة من الإبل وأعطاه مملوكين وأجرى عليه رزقاً وكان يتعاهد المدينة... الخ» وارتضى ذلك الدكتور طه حسين في ـ الفتنة الكبرى: ١/١٦٣. وكان قد سبقه منصف آخر من المغرب أيضاً وهو القاضي أبوبكر

حـــــرماته هـــــتكوا أحـــ ـــلّوا بـــاختيارهم حـرامـه
وتـــخلّفوا عـــمداً مـــع الـــ لعـــن المـؤكّد عـن أُسـامه[1]

➲ ابن عربي الأشبيلي المتوفى ٥٤٣ هجـ في كتابه ـ العواصم من القواصم ـ في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي: ٧٣ ـ ٧٦ فقد دافع عن عثمان وردّ وكذّب كلّما قال عنه المؤرّخون في كتبهم والمحدّثون في صحاحهم، ودعم ناشر الكتاب ومحقّقه محب الدين الخطيب أقواله وأيّدها ونقل كلام ابن خلدون بكامله واثبت هناك المبرّرات والتأويلات والمعاذير عن ابن تيميّة وابن حزم. وبرهن على حبّه للدين! وحرصه على الإسلام ووحدة المسلمين بما لا مزيد عليه. ولا يستغرب ذلك ممّن ينقم على أبي ذر نصحه، ويبرّر قتل معاوية لحجر ابن عدي، ويصف مروان بن الحكم بالعدل والرفق والإحسان، ويناقش الله عزّوجلّ في قوله: ﴿إذا جاءكم فاسق بنبأ... الخ﴾ ويستظهر عليه بأنّ الوليد بن عقبة ورع تقي لا فاسق. ويبرهن على أهلية يزيد للخلافة الإسلاميّة ويفضّله على الحسين بن علي، وينتقص الحسين ويلومه على ثورته ويرى أنّها كانت شؤماً عليه وعلى الإسلام والمسلمين إلى قيام الساعة. إنّ من قال كلّ ذلك والعشرات من أمثاله ممّا سوّد به الصحف لا يستغرب منه سوى قوله في ترجمة المؤلف التي قدّمها للكتاب في ص١٨: إنّ العالم لا ينضج حتّى يترفع عن العصبية المذهبيّة ويجنح إلى الحقّ والخير حيث كانا ومن كان الحق غرضه تحرّاه واحتجّ له وكان معه في كلّ حال، أمّا التعصّب للطائفيّة والمذهب وبيّنات الطريق وتمحل الحجج الواهية لذلك فمن دلائل صغر النفس وزغل العلم والأُنس بالباطل. هذا ما قاله الخطيب وقد صدق عليه المثل «رمتني بدائها وانسلّت». ﴿إنّها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾.

(١) يشير إلى قصة سرية أُسامة بن زيد بن حارثة التي وجّهها رسول الله ﷺ إلى غزو الروم وهي آخر سراياه، وكان قد اهتمّ بها وأمر للتهيّؤ لها وحثّهم كثيراً، ثمّ اعتلّ علّة الموت فشعر بتخاذلهم وتثاقلهم فخرج وهو محموم فعقد اللواء لأُسامة بيده الشريفة فخرجت السرية وعسكرت في الجرف تثاقلاً وطعن البعض في إمرة أُسامة الشاب على الشيوخ، فلمّا بلغه الخبر خرج ﷺ معصوب الرأس وصعد المنبر فخطب وحثّهم من جديد وتكرّر ذلك منه ولعن المتخلّفين عن أُسامة ولم يجد ذلك حتّى ثقل وانتقل إلى الرفيق الأعلى، وحديث السرية طويل رواه أهل السير فراجعه في: تاريخ الطبري، وتاريخ ابن الأثير، والطبقات الكبرى لابن سعد، والسيرة الحلبية، والسيرة الدحلانية وغيرها.

هـــذا وهـــم ســاداتــنا أولاهـــم ربـــي ســلامه
والفـــرد مـــنهم حـــرم الـ ـــباري عـلى الخـلق اتّـهامه
إن صـــحّ فـــالتوحيد مـ ـم ولم أجـد بـه اهـتمامه؟؟!
والجـــاحدون وأهـــل ديـ ـن الشرك لم وضعوا الخصامه؟
وعـــــلام يـــقتلهم ولم يـخلف مـــرامـهم مـرامـه؟
بـــالله حـــلفة صـــادق ألفـــاً وخـــمسون انـقسامه
مـــا أســـلموا إسـلامهم بـــل عـضبه المـاضي أقـامه
وبـــه اســـتقاموا عـنوة وعـلى الحـقيقة لا اسـتقامه
ليســـوا هـــم مـــنه ولا هـــو مـنهم قـدر القـلامه
قـــنعوا مـــن البـــاقي بـما نـــالوا مـــن الفـاني حـطامه
وصـــرير صـوت النـعل تسـ ـــتحلي سـماعهم بـغامه[1]
وزهت لهـــا الرايـــات فـو ق رؤوســهم مـثل العـمامه
واســـتعذبت بـــطباعها من فـعلها المـردي زقـامه[2]
فـــــليعلمن مـــعاشر ان تأت فـــاطمة القـــيامه
وليـــندمنّ هـــناك قـــو م حـيث لا تـغني النـدامـه
وليسألنّ عـــــن الوصـ ـي وحكمة قـضت اهـتضامه
ولأيّ أمـــــر طـــفلها فـي بـطنها رضّـوا عـظامه[3]

---

(١) البغام: الصوت الرخيم.

(٢) الزقام: الطعام القاتل، والطاعون.

(٣) إشارة إلى حادثة الزهراء سلام الله عليها حين أسقطت جنينها محسناً بين الباب والحائط نقل ابن شهر آشوب في مناقب آل أبي طالب طبعة النجف ٣/١٣٣ عن المعارف لابن قتيبة قوله: إنّ محسناً فسد من زخم قنفذ العدوي، وللحادثة تفصيلات ذكرت في مظانّها.

وبأيّ حـــــــدّ زنـــــدها بـالسوط قـد جـعلوا وشـامه
ولهـيب بـيت الوحـي بـالـ ـنيران لم وصـلوا ضـرامـه[1]
ويـــل أم هـــاشم مـــا لفـــا طـــم قـدر سـعد واحـترامـه
ويـــل قـــضى أبـــد الزمـــا ن عـــلى بـني الدنـيا دوامـه
ويـــل قـــرعت الســـن منـ ـــه نـــدامـة لا بـل غـرامـه
لتـــــرى نـــفيلة بـــل أُمـــيّة بـــل سـميّة[2] بـل حـمامه[3]

---

(١) يشير إلى قصة تهديد الإمام علي عليه السلام بإحراق داره إن لم يبايع، وهـي حـادثة مشـهورة ذكرها المؤرخون كالطبري في تاريخه في حوادث السنة الحادية عشرة، وابن قتيبة في الإمامة والسياسة في أوائله، وابن عبد ربّـه فـي حـديث السـقيفة مـن العـقد الفـريد، والمسعودي في مروج الذهب وغير ذلك الكثير، ولابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة كلام طويل عن مصادر معتبرة، وإلى القصة يشير الشاعر المعروف حافظ إبراهـيم فـي قصيدة معروفة:

وقـــولة لعـــلي قـــالها عـــمر أكرم بـسامعها أعـظم بـملقيها:
حرقت دارك لا أبقى عليك بها إن لم تبايع وبنت المصطفى فيها
ما كان غير أبي حفص بـقائلها أمام فـارس عـدنان وحـاميها

(٢) قال المسعودي في مروج الذهب ٣/١٥ ما نصّه: كانت سميّة أُم زياد بن أبيه ذات راية في الطائف تؤدي الضريبة للحارث بن كلدة، وكانت تنزل في الموضع الذي تنزل فيه البغايا في مكان خارج عن الحضر في محلة ـ حـارة البـغايا ـ. وذكـر ذلك غـير واحـد مـن المؤرخين.

(٣) جاء في كتاب ـ الأنوار العلوية والأسرار المرتضوية ـ للنقدي الطبعة الثـانية ص١٧ مـا يلي: «ويحكى أنّ عقيلاً دخل على معاوية وعنده جماعة من أصحابه فكلّموه فطعن في نسب كلّ منهم، فقال له معاوية: قل فيَّ شيئاً لأساوي أصـحابي. فـقال: اعـفني. فـقال معاوية: لابد من ذلك، فقال: خلّ عنّي يا معاوية، فقال: ليس إلى ذلك من سبيل حـتّى أُساوي أصحابي. فقال عقيل: أتعرف حمامة؟ قال: ومن حمامة؟ قال: قد قلت لك فأطلب من يخبرك عنها. وخرج من عندهم فطلب معاوية عجوزاً كانت قد أدركت الجاهلية وسألها

أضعاف ما كسبته سا ... عة يجمع الباري أنامه
والفضل عدلا والقضا ... ء بكفّ عادله انتقامه
قد قلت للساري المغـ ... ـب المحمس الوجناء عامه[1]
علق بقطع البيد[2] وصـ ... ـال السرى سئم السئامه
يزجي لها زيافة[3] ... في سيرها مثل النعامه
لبس الدجى برداً وصـ ... ـير جنح غيهبة لثامه[4]
غول السرى شربت بطا ... ح الحق وابتلعت أكامه[5]
بالله إن جئت الطفو ... ف مبلغاً عنّي سلامه
من بعد أن قبلت تر ... بته وأكثرت التثامه

عن حمامة، فقالت: لي الأمان إن أخبرتك؟ قال: لك الأمان، قالت: إنّ حمامة إحدى جدّاتك وكانت من ذوات الرايات في الجاهلية، وكانت الناس تهتدى برايتها. فالتفت معاوية إلى أصحابه وقال: إبشروا فقد ساويتكم».

وروى ابن عبد ربّه في العقد الفريد ٢/٩٦ طبعة سنة ١٣١٦ مفاخرة جرت بين معاوية وابن الزبير بمناسبة زيارة الحسين بن علي عليه السلام لمعاوية مع خادمه ذكوان منها قوله: أُمّي أسماء وأُمّه آكلة الأكباد، وجدّي الصديق وجدّه المشدوخ، وعمّتي خديجة وعمّته أُم جميل حمالة الحطب وجدّتي صفيّة وجدّته حمامة... الخ. وقد ردّ معاوية معظم أقواله وأغفل ذكر حمامة وباقي أُمّهاته.

(١) المغب: الذي يمشي يوماً ويستريح يوماً. والمحمس من حمس: هيّج وأغضب. والوجناء الناقة الشديدة. والعامة: هامة الراكب الذي يبدو في الصحراء وهو يسير.

(٢) البيد والبيداوات جمع بيداء: الصحراء.

(٣) الزيافة جمع الزيّاف: الأسد.

(٤) الغيهب: الظلام الدامس.

(٥) الغول: حيوان كما تزعمه الأساطير. وقد عقد المسعودي في مروج الذهب ٢/١٥٥ فصلاً طريفاً في ذكر الغيلان.

وشـــفيت داءك إذ مســحـ ـت بوجهك العالي رغـامه[1]
ومـــعارج الأفـلاك حـيـ ـث قـيامها يـتلو قـيامه
وسـمعت أصـوات الدعـا ء وقـولهم: لهـم الكـرامـه
فـاذكـر له الشـوق المـلـ ـح وكـيف هـيمه هـيامه
واخـــبره أن الصب بـــعـ ـد لقـاك لم يـعرف مـنامه
مـا لذّ بـرد العـيش مـن ذكـراه بـعدك وانـصرامـه
يشـــتاق بـــرقاً كـلّما اسـتعلى عـراقـياً فشـامه
أنـــفاسه قـيد الزفـ ـير وسجعة سجع الحمامه

* * *

وله في رثاء الحسين عليه السلام:

بـاتت عـليَّ مع العـوادي لوامـة خـلو الفـؤاد
وغـدت تـطيل مـلامتي يـامي كـم هـذا التـمادي؟
واهـاً لهـا لمـا رأتـ ـني مـطرقاً قـلق الوسـاد
يـامي صـبري فـوق مقـ ـدوري فخلي عـن عـنادي
ظـنّت صـلاحي فـي السلـ ـو وكـان لي عـين الفسـاد
مـا للـخواطـر والسـلـ ـو وللـنواظـر والرقـاد[2]
قـد كـنت أجـدر بـالسلو لو أنّ زاد أمـيم زادي
جـهل يـطالب سـلوة من ظـاهر الأحـزان بـادي

---

(١) الرغام: التراب.

(٢) الرقاد: النوم.

لفـــؤاده جـــمر الغـضا ولجـنبه شـوك القـتاد[1]
ولجـــفنه مـــاء الدمـو ع فـرائـح منها وغـادي
مـا بـعد يـوم ابـن النبـ ـي سوىٰ المدامع والسهاد
والثكـل والويـل الطـويـ ـل ولبس أثواب السواد
قـتل ابـن بـنت مـحمّد لرضـا يـزيد عـن زيـاد
لرضـا أمـيّة عـن سـمـ ـيّة بـالمولد عـن فساد
لرضـا ابـن آكـلة الكبو د ونـصبها عـلم الفسـاد
قـتلوه فـرداً وهـو يـا جـدّاه بـينهم يـنادي
وسـقوه مـن ورد الفـرا ت العـذب أطـراف الحـداد
حـتّى قـضى والمـاء يـجـ ـري وهـو مـلهوف الفـؤاد
قـل للـنبي المـصطفى يـا خـير مـبعوث وهـاد
هـذا الحـبيب مـعفر الـ ـخدين فـي عـفر المهاد[2]
شـلواً تـرضّ ضـلوعه بـحوافـر الخـيل الصـلاد[3]
قـل للـجياد عسـى درت لا أم للـخيل الجـياد
أشـلاء مـن قـد وزّعت بـالركض فـي ذاك الوهـاد
هـدّت قـوى المـجد الأثـيـ ـل وغارب الشـرف التـلاد
واسـتأصلت ركـن المعا لي بـعد تشـييد العـماد
كـبد الهـدى أصـمت وفـ ـرق سـهمها قـلب الرشـاد

---

(١) القتاد: شجر صلب له شوك كالأبر. يقال «من دون هذا الأمر خرط القتاد» أي أنّه لا ينال إلّا بمشقّة عظيمة وإنّ خرط القتاد أسهل منه.

(٢) العفر: ظاهر التراب. والمهاد: الأرض المنخفضة.

(٣) الصلاد جمع الصلدة: الفرس البطيئة العرق. يقال للذم.

قـــل للـــمطهرة البـتو ل وامّـــها ذات الســـداد
تأتـــي الحســـين بكـــربلا مـــلقى تكـــفّنه الغـــوادي
أشـــلاؤه فـــوق الصـــعيـ ـد ورأسـه فـوق الصـعاد[1]
تأتـــي مشـــال الرأس فـــو ق الرمـح مـقطوع الأيـادي
تأتـــي إلى الصـــدر المكـ ـسّـــر حـطمته يـد العـوادي
تأتـــي البـــدور التـــم كـيـ ـف عدا بها للـترب عـادي
تأتـــي البـــحور الفـعم كـيـ ـف تزايـلت ظـمأً صـوادي
تأتي السـحاب الجـون يسـ ـتسقي الثرى رشح الثماد[2]
تأتـــي إلى النســـوان أسـر ى نـصب الحـاظ الأعـادي
تأتـي الهـدي والمـجد سـا عـــة ألبســـا ثـوب السـواد
تأتـــي المـــعالي فـــي مـقا م الحـــزن واثكـلي تـنادي
تأتـي السـوابـق عـدن مـن ثكـــل مـطأطأة الهـوادي[3]
تأتـي الأسـود الصـلب كـيـ ـــف تـقودها بـقر السـواد
تأتـي السـوابـغ كـيف أضـ ـحت والصوارم في اتـحاد[4]
أمـنت فـري الرمـح الطـويـ ـل وضربة القـضب الحـداد
تأتـــي أبـــي الضـــيم را ح بكـــربلا ســـلس القـــياد
تأتـــي شـــريعة جـــدّه الـ ـبـــيضاء لابســـة الســـواد

---

(١) الصعاد والصعدات جمع الصعدة: القناة المستوية المستقيمة.

(٢) الثماد جمع الثمد بسكون الميم والثمد بفتحها: الماء القليل الذي يتجمع في الشتاء وينضب في الصيف. أو: الحفرة التي يجتمع فيها ماء المطر.

(٣) الهوادي جمع الهودة بفتح الواو والهودة بسكونها: السنام.

(٤) السوابغ جمع السابغة: الدرع الواسعة. والصوارم: جمع صارم: السيف.

تأتـــي الدم المســـفوح قـد ... صبغ الثـرى صـبغ الجسـاد
تأتـــي أسـارى مـــا لهـــا ... مـن عـقدة الأعـداء فـادي
تأتـــي المـصفّد فـوق قـتـ ... ـب العجف مغلول الأيـادي
يـــا للـــرجـــال لخـــطة!! ... بـــهماء حـــالكة السـواد[1]
مـــــن بـــعدكم آل النـــبـ ... ـي لحـاظر يـنحو وبـادي؟
قـــد صـــوّح الوادي وأظـ ... ـلم حـين غـبتم كـلّ نـاد
فـــمن المـــرجـــى بـــعدكم ... يـا قـوم للكـرب الشـداد؟
ومـــــن المـــؤمل للـــمنا ... قب والنـــوائب والأيـادي؟
مـــــن للـــمحافل للـــجحا ... فـــل للـــنوافـل للأيـادي؟
مـــــن للـــــفضائل للـــفوا ... ضـــل للـــنوازل للـعوادي؟
للســـــــابقات يـــــجيلها ... شعثاً تشذب[2] في الطـراد؟
للـــــوقعة الشـــنعاء طـــبـ ... ـق وقعها سـمت[3] البـلاد؟
للـــــبيض تـــقرع بـــالموا ... ضي تحت قسطلة[4] الجـلاد؟
للـــحرب ســـاعة ليس يـد ... عـــي غـير مـمتد النـجاد؟
للـــخطب ســـاعة طـــبق الـ ... ـــــدنيا بـداهـية ثآد[5]؟
للفيض في قـحم[6] السـنين ... غـــــداة طـــنّت بـــالعهاد؟

---

(١) الخطة بالضم والتشديد: الأمر المشكل الذي لا يهتدى إليه.
(٢) تشذّب: تفرّق.
(٣) السمت: الطريق والمجة.
(٤) القسطلة: هدير الجمل. وقساطل الخيل: أصواتها.
(٥) الثآد: الداهية.
(٦) القحم: المهزول.

للـــمجد يـــجمع شـــمله من بـعد مـا أضـحى بـداد؟
النـــار للســـارين مـــو قدة على أعـلا المـصاد[1]؟
العـــلم للأحـــلام للـ آداب للـــعقل المـــفاد؟؟
الحـــق لو ســـفكوه فـي الـ ـــنادي بألســـنة حـــداد؟
لمســـرة الأضـــياف تـــنـ ـظر مثل رضوى[2] مـن رمـاد
لبـــني الرجـــاء عـدت بـها آمـــالها عـــدو الجـــواد
لكـــفالة الأيـــتام أحـ ـــوط مـن أب وأخ جـواد
للـــموسرين غـــداة لا مـــناً ولا فـــاد يـفادي
للـــمثقلات يشـــلها حـــاد ويشـــفعهنّ حـــادي
للـــمِلّة الغـــراء لا تـــنفك فـي سـوق الكسـاد
هـــيهات لا يـرجـى انـحلا ل الخـطب مـن بـعد انـعقاد
لا مـــن يـــصد النـــازلا ت ولا عـن العـليا يـصادي
كـان الحسـين وقـد مـضى فـــليهنها نـــيل المـراد
يـــا بـــؤس حـظ المستفيـ ـــد بـعيد فـقد المستفاد
يـــــا آل طس ويـــا ســـين وحـاميم وصـاد
اصـــــفيتكم ودّي وأخـ ـلص في الولا لكم اعـتقادي
ثـقتي بكـم يـوم الجـزا وعـلى نـوالكـم اعـتمادي
وإليكـــم وجّـــهت آ مـالي وأعـطيت انـقيادي
أرجـوكم فـي الإحـتضا ر وفي الضريح وفي المعاد

---

(١) المصاد: الهضبة العالية، أو أعلى الجبل.

(٢) رضوى: جبل عظيم بين المدينة وينبع.

وبكـــل أحـــوالي وأفـ ـعالي الخـواتـم والبـوادي
يـــا رب مـا أنـا مـــن.. لا ولا.... الفســـــــاد
كـــــلا ولا مـــمّن يسـ ـر بسيرهم هـاد وحـادي
وبـــرئت يـــا ربّـــاه مـــن تـــقليدهم والإجـــتهاد[1]
قـــــلّدت آل مـــحمّد وعـــلى مـقالهم استنادي
قـــلّدتهم أصـــلي وفـــر عي وهو يوم العـرض زادي
يـــا رب هـــذا مـــا اعـتقد ت وأنت رحـــمان العـباد
صـــلّى المـليك عـليهم مـــا رائـــح ســـار وغـادي

* * *

وله في رثاء الحسين عليه السلام:

ترفعت أن تبكى من الدار ديـارا ألم تكفك الآثار أن تـندب الدارا؟
تـــخيّلت تـــبكيها وسكـــانها بـها على م البكا إن تلف داراً وآثـارا؟
تـــخيّلت تـــبكيها خـــلاء وأهـلها بـعينيك تـمليها شـموساً وأقـمارا
تـــبوء بـــها والليـــل غـار بـنجمه فأنجد منه البعض والبعض قد غـارا
قطعنا إليـها الليل والخـيل والفـلا ركـــائب شـوق سـائرين وعـمارا
عكوفاً وقوفاً راحـلين عـلى ثـرى تـــناوح أصـداء وتـندب أحـجارا
تلوم بها صحبي وليت الذي قـضى لها اللوم أقـضاها ولوعـاً وتـذكارا
تلوم ومن إحدى المصائب عـاشق يـــراقب عـــذالا ويـرتاب عـذارا
عشـــية أدنـى المـؤنسين مـدامـع تـــصوب وأنـفاس تـصعد تـزفارا

(١) تصريح بأنّه أخباري.

خلاء فـلا الأحـباب أهـل بـربعها ولا السالف الديـار فـيهنّ ديـارا[1]

(١) لعلّه نظر فيه إلى قول بعض القدامى:

أمست خلاء وأمسى أهلها ارتحلوا أخنى عليها الذي أخنى على لبد

وهو من شواهد النحاة في أمسى حين وتستعمل بمعنى صار. وقد أخذه فأحسن أخـذه الشاعر المعروف الشيخ قاسم الملا الحلّي المتوفى سنة ١٣٧٤ هجـ بقوله في حسينية له:

عراص الغضا أقوت ربوعك بعدما بـــهن لأبـناء الغـــرام المـجامع

وقد غزا الملا الحلي ﷺ على ما يظهر في مرثيته تلك على قصيدة للشاعر النابغة الشيخ عبدالمحسن التبريزي الشهير «بالكاظمي» المتوفى سنة ١٣٥٤ هجـ كان رثى بها الشيخ تقي سبط الإمام الفقيه الشيخ محمّد حسن آل ياسين الكاظمي مطلعها:

ألا اطلبا لي أمـرء غـير ذاهب ومستهلكا غير النوى والنوائب

وقال الكاظمي فيها:

أهل راجع عصر تقضي بقربكم وهيهات إذ ما فات ليس بآيب

ومطلع قصيدة الحلي قوله:

هل العيش بالدهناء يامي راجع وهل بقيت للشوق فيك مـطالع

وقال الكاظمي:

ديار عفت عن ساكنيها فأصبحت بـــلاقع لم أبـــلغ بـــهنّ مآربـي

وقال الحلي:

ربوع عفت من ساكنيها فأصبحت برغم أهـيل الحـي وهـي بـلاقع

وقال الكاظمي:

وقفت على تلك الديار وفي الحشا من السقم ما أعيى به وصف كاذب

وقال الحلي:

وقفت بـها والجـفن يـقطر عـندما من القلب إذ عزّت عليه المـدامـع

وقال الكاظمي:

أسائلها عن جـيرة الحـي إذ نأوا وليس بها إلّا الصدى من مجاوب

وقال الحلي:

أسائلها والوجـد يـذكي أواره وقد حنيت منّي عليه الأضالع

تـوهمت والتـوحيد ديـني أن مـن ... كرامة أهل الدار أن يكرم الجـارا[1]
وهل أنا في دعوى الصبابة صـادق ... إذا لم أرويـــها سـهولا وأوعـارا؟
وهل في البكا عار على رسم دمنة ... لبست بـها بـرد الشـبيبة أعـصارا؟
تـــركت لهـا عـيني ومـا أسـتفيده ... من الدهر أوطـاراً لقـلبي وأوتـارا
وركب سرى والليـل جـم خـطوبه ... وما اليوم بالمأمون إن سـائر سـارا
حدت بهم نحو العلى محض عـزمة ... تفيد الضيا نوراً وتوري الحصا نـارا
حـــجازية لا الثـابت العـزم ثـابت ... لديـــها ولا السـيار إن تـعد سـيارا
يـريد بـها المـجد المـؤثل أبـلج[2] ... قليل غـرار الجـفن أبـيض مـغوارا
معيد وغى يثني بـه البـيض والقـنا ... من الضرب أنـهاراً وللـطعن آبـارا
له ســبق العـلياء فـي كـلّ مشـهد ... وإن بـعد السـارين فـيهنّ مـضمارا
كأنّي بهم والحرب تذكي ضـرامـها ... وأبناؤهم بـالحرب طـائرهم طـارا
تحفّ به الأعـداء مـن كـلّ وجـهة ... فما قلّ مـن عـزم وإن قـلّ أنـصارا
يـلاقي المـنايا كـالحات وجـوهها ... (طليق المحيا باسم الثـغر) مسـعارا
على مقبل لم تـلفه الحـرب مـدبراً ... فـــما انـفكّ كـراراً ومـا فكّ كـرارا
كأن مـــن الحـــرب العـوان لعـينه ... مـخضبة الأطـراف هـيفاء مـعطارا
تـــراه ولا مـن نـاصر غـير سـيفه ... عرمرم جيش يرهب الجيش جرارا

➲ إلى آخر القصيدتين، وتراجع قصيدة الكاظمي في: الكاظمي شاعر الكفاح العربي الخالد ص ٢٥٤ وقصيدة الحلي في: البابليات ١٨٧/٢ ق٢، وخطباء المنبر الحسيني: ٩٣/١، وللحلي ترجمة في (شعراء الحلة) أيضاً ٤٥٩/٥، ورحم الله الكاظمي والحلي ورحمنا يوم نساويهما.

(١) إشارة إلى الحديث النبوي الشريف: ما زال جبرئيل يوصيني بالجار حتّى ظننت أنّه سيورثه.

(٢) الأبلج: المنير الوضاح.

تـــخال إذا جـال المـجال جـواده ... به البـحر زخّـاراً أو اللـيث هـدارا
حليف نـدى سـلماً وحـرباً فـيومه ... لدى السلم مثل الحرب منّا وايثارا
ترى الطير من حيث استقلّ ركـابه ... ووحش الفلا من حيث ما سار قد سارا
ضـــمن له أسـيافه مـا يشـاءه ... فان الفتى لم يفت للضيف منحارا[1]
وأقـصر شـيء عـنده عـمر سـيفه ... ولكـنّه مـا زال يسـقيه أعـمارا
سقى حدّه كأس الحـياة بـما سـقى ... فلو شاء أجراه على الأرض أنـهارا
وأظـمأ لا يـرويه إلّا دم الطـلى ... حريصاً ولو أسقيته المـزن مـدرارا
إذا اهـتزّ نـاجته القـلوب كأنّـما ... يفاوضها عن منطق الطـعن أسـرارا
وخـرّ عـلى وجـه التـراب كأنّـه ... رعان[2] هوى من قارع الطود فأنهارا
لقى حيث لا يلقى من الناس مشفقاً ... سوى مقتض ديـناً ومسـتأثر ثـارا
تحاماه صدر الجيش وهـو لمـا بـه ... فـيدبر إصـداراً ويـقبل إدبـارا
وتشذر[3] عنه الخـيل وهـي تـؤمه ... فـتحجم إقـدامـاً وتـقدم إصـدارا
فيا شقوة البيض البـواتـر إذ بـرت ... بـه مـرهفاً مـاضي العـزيمة بـتّارا
عشية أضحى الكلب كلب ضـبابها ... يـخضب مـن ليث العـرينة أظـفارا
فقل لأُباة الضيم خلّوا عن السـرى ... فـلا دافـع جـوراً ولا مـانع جـارا
وللخيل خلّى عن مداك فلن تـرى ... ليومك مقدامـاً عـلى الهـول كـرارا
وعاثت بها أيدي الأعادي فأبرزت ... حواسر بعد الصون عوناً[4] وأبكـارا
أتاها الجوى من حيث أعيى فؤادها ... احتمالا وأشجاها بـروزاً وإضـمارا

---

(١) المنحار: الكرم والكثير النحر.
(٢) الرعان جمع رعن: خشم الجبل.
(٣) تشذر: تفرق.
(٤) العون: المرأة في منتصف العمر.

ينازعها فرط الحيا عظم وجدها ... فتغلبه طوراً ويغلب أطوارا

وأين مراعاة الحيا من أسيرة ... ترى أوجه البلوى عشيّاً وأبكارا؟

تدافعها أيدي السهول إلى الربى ... وترمي بها الأقطار في البيد أقطارا

مهتكة الأستار حسرى تحوطها ... من الصون أعلاها حجالا وأستارا

عواري لا تلفي من الشمس ظلّة ... ولا من ظهور العجف في السير أكوارا[1]

بودي للرائين عن سوء منظر ... يسوء الأعادي ناظرات ونظّارا

تهادي بها حسادها وهي بينها ... ثواكل لا يملكن نفعاً وإضرارا

تعنّ لها فوق الرماح كواكب ... تفيد الدجى للسفر منهنّ إسفارا

لها نفحات الروض في خلل القنا ... كأنّ على الأرماح منهنّ أسحارا[2]

بعالي السنان نورها طيب الشذا ... فتشرق أنواراً وتعبق نوّارا[3]

تسير على أنوارها العيس[4] في الدجى ... فليس يبالي الركب إن سائر سارا

فيا آخذ الثار المرجى لأجله ... على فترة أفديك من آخذ ثارا

أمنتظري طال انتظاري لطلعة ... ملأت لها عيني قذى والحشى نارا

أما آن للسيف الذي أنت ربّه ... يبيد رقاباً فاجرات وفجّارا

فقم سيّدي فالسيل قد بلغ الزبى[5] ... وقد عمّت البلوى سهولا وأوعارا

---

(١) الظلة: بضم الظاء وفتح اللام وتشديدها: ما يستظل به من حر أو برد. والعجف جمع عجفاء: الدابة الهزيلة. والأكوار جمع كور: ما يلف على ظهر الإبل والخيل ليركب عليه.

(٢) الخلل جمع خلة بكسر الخاء وفتح اللام وتشديدها: جفن السيف. والأسحار جمع سحر: قبيل الصبح يشير إلى رقة الهواء وطيب ريحه عند السحر.

(٣) النوّار: الزهر الأبيض.

(٤) العيس: الأبيض يخالط بياضها سواد خفيف، الواحد منها أعيس والواحدة عيساء.

(٥) بلغ السيل الزبى: مثل يضرب عند تجاوز الحد واشتداد الأمر والزبى جمع زبية: الرابية

فمن للهدى يابن الميامين والندى ... فهذا المدى قد جاز والعقل قد حارا
علانا عداك العار والثار سيّدي ... خذ الثار يابن المصطفى واكشف العارا
لك الخير إن جئت الطفوف فبلغن ... جزيل الثنا منها ديار اً وديّارا
وقف حيث مبتلّ الثرى من نحورها ... وحيث ترى دمع الفواطم قد مارا[1]
وحيث القبور المشرقات بأهلها ... يفاوح آصالا شذاها وأسحارا
هناك فزدني إن تزدني كرامة ... ودعني وما يغني ولوعاً وتزفارا
فيا جنّتي بل جنّتي[2] يوم فاقتي ... ويا وزري إن خفت في الحشر أوزارا

وله في رثاء الحسين عليه السلام:

يا صب كم تتحسر؟ ... ولكم تنوح وتزفر؟
كم ينظم الآلام قلـ ... ـبك والمدامع تنثر؟
كم يتبع الأظعان لحـ ... ـظاً جفنك المستعبر؟
كم تندب الأطلال[3] وهـ ... ـي بندبها لا تشعر؟

التي لا يعلوها الماء. فإذا بلغها السيل كان جارفاً مجحفاً وبمعناه الأمثال التالية: (بلغ الحزام الطبيين)، (وبلغ السكين العظم)، (وبلغت الدماء الثنن).

(١) مار: جرى على الأرض.

(٢) الجنّة بفتح الجيم والنون: دار النعيم التي وعد بها المتقون. والجنّة بضم الجيم وفتح النون: الدرع الواقي.

(٣) الأطلال جمع طلل: الشاخص من آثار الدار. ولعلّ الإمام الحجة السيد محمّد باقر اللكنهوي المتوفى سنة ١٣٤٦ قد نظر إلى قول صاحب الديوان في مطلع مرثية له حين قال:

حنانيك لا تسأل ربوع المنازل ... أبت صمّها رجع الجواب لسائل
تصاممن حتّى لا يجبن لسائل ... وإن مات وجداً بين تلك الجنادل

راجع ترجمته رحمة الله عليه في آخر كتابه (إسداء الرغاب: ١٤).

كـم تـلتحيك[1] العـاذلو ... ن وكـم لهـم تـتعذّر؟؟
كم تكـتمن لظـى الفـؤا ... د ومـاء دمـعك يـظهر؟
كـم لونك المـصفر يـفـ ... ـصح بـالغرام ويـخبر؟
كم تجمل الدعوى ومـا ... تجري الجـفون يـفسر؟
كم ضعف صبرك عن أحا ... ديث الهـيام يـعبّر؟
كم طرفك المطروف يـر ... عـى النـائمين ويسـهر؟
كم ليـل شـوقك صـبحه ... بـمسرّة لا يسـفر؟
كمد الحشى تـقضي نـها ... رك والدجـى تـتزفّر؟
وبفكرك السـاري عـهد ... ت عـوارفـاً لا تـحصر
ما بـال سـمعك لا يـعي ... نـصحاً ولا يـتدبّر؟
إن كان عـن كـلف فـها ... ذي هـفوة لا تـجبر
هب كـان مـوجبه ولـ ... ـكـن ثـمّ خـطب أكـبر
أنسـيت مشـهور الطـفو ... ف ومـا هـنالك يـذكر؟
يوم على الطرف[2] الأغـ ... ـر عـلا أغـر مشـهر
حـامي الحـقيقة مـعلم ... طـلق الذراع غـضنفر[3]
ذو نـجدة عـن رأيـها ... تـرد المـنون وتـصدر
سـلطان عـزّ قـادر ... أن لا يـطيل مـقدّر
الجـد أحـمد حـين ينـ ... ـسب والمـضاهي شـبّر
والأُم فـاطمة التـقى ... والفـحل فـيه حـيدر

---

(١) لحى والتحى: عذل ولام.
(٢) الطرف بكسر الطاء: الفرس الكريم الوالدين.
(٣) الغضنفر: الأسد.

ومـــضمّخ بـــدم الوريـ ـــــد وبـــالتراب مـــعفّر
الجـو مـن صـادي دمـا ه مـــــمسّك ومـــعنبر
والليـــل مـــن أنـــواره ضـــاحي العشـيّة مـقمر
لبست أشـــــعّته الليـا لي فـــهي بـيض تـزهر
لله مـــا مـــنه يـقل الـ ـــسمهري[1] الأســمر
عـــــجباً له أنّـــى يـــقـ ـــل عـوالمـاً لا تـحصر
المـجد أدنـى مـا تـحـ ـــمل والجـلال الأكـبر
والمكـرمات الغـر طـ ـــراً والنـدي الأزهـر
ومآتـــم فـيها البـتو لة والنـــبي الأفـــخر
من أجـلها دمـع الوجـو د عـلى السـوالف يـقطر
والعـالم العـلوي مـفـ ـــتقد السـرور مكـدّر
والبـيت بـاك والمـقا م وزمـــزم والمشـعر
ومـنى وجـمع والمـعـ رَّف بـاكـياً ومـحسّر[2]
والرسـل تـبكي والمـلا ئك بـــالعزاء تـــبكّر
يـتقاسمون الشـجو غـا د بـــالعزا ومـــهجّر
أهـدى يـزيد لهـا مـلا بس بـــالدماء تـفطّر
وقـضى لهـا حـزنا يـمـ ر عـلى الدهـور ويـعبر
أبـداً لهـا الليـل الطـويـ ـــل فـليلها لا يـفجر
وبنى على ما أسّس المـ ـــتقدم المـــتأخر[3]

---

(١) السمهري: الرمح الصلب.

(٢) هو وما قبله أسماء لأمكنة محترمة في مكة.

(٣) أخذه من قول الشريف الرضي:

بنى لهم الماضون آساس هذه فشادوا على آثار تلك القواعد

خـــلف كســابقه أعـــ ـــق عـلى الآله وأكـفر
لله أيـــــة مـــحنة لقـــي النـبي الأطـهر
مـن أُمّـة عـدت الهـدى فـــطريقها مـــتحيّر
كـدرت عـليه حـياته والعـيش مـنه مكـدّر
أعطت يداً للسيف يـضـ ـــربها عـليه ويـجبر
عـــنفاً أمـــال رقـابها إذ أوشكت تـــــتكثّر
كـرهوا هـدايته وقـا لوهـــا: نـبي يـهجر
تـركوه مـلقى فـي الفـرا ش وأسـرعوا فـتأمّروا
وعـلوا بـحيث مـقامه يـبكي أسـى والمـنبر
ووصـيّه المـختار فـيـ ـــه تـجنّبوه وأخّـروا
وتـراثـه نـهب الأجـا نب يســتباح ويـقهر
وكـــتابه عـــمّا أرا د مـــحرّف ومـــغيّر
وبسـوط أعـداه كـريـ ـــمته تـهان وتـحقر
وجـنينها سـقط وأضـ ـــلعها لعـمري تكسـر
ووصـيّه قـود البـعيـ ـــر يـقاد وهـو مـزمجر
وحـبيبه كـالشاة ظـلـ ـــماً بـالمهنّد يـنحر
ورجـاله مـثل الأضـا حـي بـالسيوف تـجزّر
وبـناته فـوق الركـا ئب بـاديات حسّـر
حسرى تلاحظها الأجـا نب لم تـجد مـا يستر

مـثل السـبايا يسـتبا ح أزارهـا والمعجر[1]
ومـتونها بـيد السـيا ط يشـقّ فـيها أنـهر
وعـليله سـاقاه قـيـ ـداً بـالدما تـتفجّر
ويـتيمها بـالعنف يـقـ ـهر بـالسياق ويـزجـر
وسـؤال سـائلها إذا سأل التـرفّق يـنهر
ورؤوس سـادتها بأطـ ـراف الرمـاح تشـهر
وقـلوبها بـالثكل تشـ ـعل والمدامع تـمطر
حـال تكـاد له الشـدا د بسـبعها تـتفطّر
ويروح منها البدر منـ ـخسف السنا لا يبدر
واليـوم مـفتقد الضـيا ء وشـمسه تـتكوّر[2]
خـطب تـصاغر عـنده كـلّ الخـطوب ويكـبر
لو كـان أحـمد حـاضراً لشـجاه ذاك المـحضر
يـا قـومنا خـلّوا التعـ ـصب وانظروا وتفكّروا
أتـرون لو نـظر السبا يا في السبا تـتضوّر[3]؟
تـهدى كأمـثال العبيـ ـد إلى يـزيد وتـؤسر
ورأى اليـتامى تستغيـ ـث على الجمال وتجأر[4]
ورأى أحـبّته جسـو مـاً فـي الثرى تـتعفّر

---

(١) المعجر: ثوب تشدّه المرأة على رأسها.

(٢) تضمين للآية الشريفة: ﴿إذا الشمس كوّرت﴾ وكوّرت: جمع ضوؤها ولفّ كما تلفّ العمامة. وقيل: اضمحلّت وذهبت.

(٣) تضوّر: تلوّى من شدّة الجوع.

(٤) تجأر: تصيح.

ويـــزيد يـهتف بـالنشيـ ـــد وبـالشماتة يـجهر
مســتدعياً أشــياخ بـد ر يســتطيل ويـثأر[1]
ويـــمينه بـــقضيبه ثـــغر النـــبي يكسّـــر
وكـؤسه تـجلى فـذو سكـــر لديـــه ومسكـر
والمطرب الشـادي لديـ ـه يصيح منه المـزهر[2]
وبـــرقصها طـــرباً تـــغـ ـــنّيه البـغاة العـهّر
ويـــزيد لا مـــتهوّد فـــيهم ولا مـــتنصّر
يـدعى أمـير المـؤمنيـ ـن يـطاع فـيما يأمـر
والله يـــــعذره إذا مـــا جـاءه يـتعذّر
بـل فـعله عـين الشـريـ ـعة ليس فـيه مـنكر
أنـا كـافر إن كـان هـ ـذا مـذهباً يـتصوّر
تـالله يـابن المـصطفيـ ـن قـضيّة لا تـذكر
خـير لهـم مـن أخـذ هـ ـذا مـذهباً أن يكـفروا
سـيف أصـابك حـائد عـن قـصده مـتحيّر
وسنان رمحك نـال منـ ـك لرشـده لا يـبصر

---

(١) يشير إلى قصة يزيد بن معاوية حين وضع أمامه رأس سيدالشهداء عليه السلام وجعل ينكته بقضيب الخيزران وتمثّل بأبيات ابن الزبعري وأضاف لها قوله:

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلّوا واستهلّوا فرحاً ثمّ قالوا: يا يزيد لا تشل
لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل
قد قتلنا القرم من ساداتهم وعدلنا ميل بدر فاعتدل
لست من خندف إن لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل

(٢) المزهر: من آلات الطرب عند العرب ويقال له العود أيضاً.

قد عطّل الحرب العوا ... ن فيومها لا يذكر
وقضى الفناء على الشجا ... عة فهي ميت يقبر
وطوى بأعلام الوغى ... فلواؤه لا ينشر
لا الأبيض الماضي يعـ ... ـد ولا الأصمّ الأسمر
ذهب المقوم درها ... فلأيّ شيء يذخر
أهديتك النظم المفـ ... ـصل والثمين الجوهر
عرب لها قس يهيـ ... ـم وجرول يتحسّر[1]
لكنّها عن نيل كنـ ... ـه جلال مجدك أقصر
أكبرتها عمّن سوا ... ك فأنت منها أكبر

* * *

(١) قس: هو قس بن ساعدة بن عمرو بن عدي بن مالك، من بني أياد، كان أسقف نجران، وهو أحد مشاهير حكماء العرب، وكبار خطبائهم في الجاهلية، ويقال إنّه أوّل عربي خطب متوكّأ على سيف أو عصا، وأوّل من قال في كلامه (أمّا بعد) وكان يفد على قيصر الروم زائراً فيكرمه ويعظمه، وقد عمّر فأدركه النبي ﷺ ورآه في عكاظ، وسئل عنه بعد ذلك فقال: يحشر أُمّة وحده. مات عام ٦٠٠ للميلاد، راجع: التبيان والتبيين: ١/٢٧، وخزانة البغدادي: ١/٢٦٧، وعيون الأثر: ١/٦٨، والأغاني: ١٤/٤٠ وغيرها.
وجرول: هو جرول بن أوس بن مالك العبسي الشهير بالحطيئة، شاعر مخضرم كان هجاءاً عنيفاً لم يكد يسلم من لسانه أحد، أكثر من هجاء الزبرقان بن بدر فشكاه إلى عمر بن الخطاب فسجنه بالمدينة فاستعطفه بأبيات فأخرجه ونهاه عن هجاء الناس فقال: إذاً تموت عيالي جوعاً. وقد هجا أباه وأُمّه وكان يتشاءم منها كثيراً. وهجا نفسه أيضاً ذات يوم وقد نظر في المرآة، وديوانه مطبوع، مات نحو سنة ٤٥ هجـ، راجع: فوات الوفيات: ١/٩٩، والأغاني: ٢/١٥٧، والشعر والشعراء: ١١٠، وخزانة البغدادي: ١/٤٠٩، وشرح الشواهد: ١٦٣ وغيرها.

وله في رثاء العباس ﷺ:

هل أم طوق كذاك الطوق في السلم ... تحن شوقا إلى أيامنا القدم؟
أم عاقها بعدنا من بعدنا فسلت ... سلو البهائم عن أطفالها البهم؟
أم راعها البين فارتاعت لفرقتنا ... فالقلب في ضرم والدمع في سجم؟
هل سرحة الحي في أيام فرقتنا ... تزهو وهل للتصابي لذّة لفم؟
لا والهوى ليس بعد الظاعنين كرى ... فيستريح أخو شوق إلى الحلم
وأين من طيف من تهواه عينك والـ ... أجفان منهلة بالدمع كالديم؟
فأعجب لها إذ تجوب المومياة دجى ... نحوي وعنّي وعنها خطوة القدم
وكيف يأوى بأرض الري منزلنا ... من كان منزله الروحاء من أضم
فأعجب لمسراه والأهوال تصحبه ... حتّى الوسادة لم يهجع ولم ينم
يأتي الوسادة ليلا غير ملتفت ... إلى الرقيب ولا خاش من التهم
حتّى إذا الفجر وافي كر منفلتاً ... من حيث أقبل لم يلبث ولم يقم
يا ساكن القلب هل من رحمة لشجٍ ... مغضٍ إلى سقم مفض إلى عدم؟
ما عند ناظره والقلب من أربٍ ... بعد الحمى غير منهلٍّ ومضطرم
أسوان ليس له بعد النوى جلد ... يقوى به غير قرع السنّ من ندم[1]
صفر الأنامل بادي الغي في ضجر ... مقسم القلب بين الخمص والهضم[2]
مناه عود المطايا لو تعود له ... بما تحملن من ورد ومن عنم[3]
لا رأي للركب أن يخشى الضلال دجى ... والصبح فوق المطايا غير منكتم

---

(١) الأسوان والأسيان وآلاسي: الحزين. والنوى: البعاد.

(٢) الخمص جمع الخمصاء: ضامرة البطن. والهضم جمع هضماء: منضمة الكشحين ضامرة البطن.

(٣) العنم: شجر له ثمرة حمراء يشبه بها البنان المخضوب، والواحدة العنمة.

وكيف يبغي الشذى والروض تحمله ... أكوارها في انتشاق الشيح في الحزم[1]

في البيت من هاشم العلياء نسبتهم ... والنعت من أحمد المبعوث للأُمم

قوم إذا فخر الأقوام كان لهم ... أنف الصفا وأعالي البيت والحرم

شمّ المراعب[2] ولّاجون مزدحم الـ ... ـسهيجاء بالنفس فرّاجون للغمم

أهل الحفيظة لا يلفى جوارهم ... يشقى به الجار حفّاظون للذمم

أبياتهم حرم للنازلين بها ... تأوي المخوف ولا يخشى من العدم

عف المئازر لا عيب يدنّسهم ... ولا يخاف عليهم زلّة القدم

تلقى جفونهم تغضي حياً وترى ... أسماعهم عن هجين القول في صمم

وموقف لهم تنسي مواقفه ... وقائع الحرب في أيّامها القدم

أيّام قاد ابن خير الخلق معلمة ... لم ترد فرسانها إلّا أخا علم

حمر الضبا سود يوم النقع خضر ربى ... لرائدي الجود بيض الأوجه الوسم[3]

من كل أبيض في كفّيه مشبهه ... في الجزم والحزم والإمضاء والقسم

قريع قرم قراع البيض مطربة ... لسمعه دون قرع الناي بالنغم[4]

---

(١) الشيح: نبات أنواعه كثيرة كلّه طيب الرائحة، والواحدة شيحة.

(٢) المراعف: الأنف وما حواليه.

(٣) لعلّه نظر فيه إلى قول صفي الدين الحلي المتوفى سنة ٧٥٢ هجـ:

بيض صنائعنا سود وقائعنا ... خضر مرابعنا حمر مواضينا

(٤) أجاد السيد موسى الطالقاني المتوفى سنة ١٢٩٨ هجـ في هذا المعنى حين قال:

وليس يطرب طق الطبل أنفسنا ... حتى تدقّ ضبانا البيض واليلبا

راجع ص٣٢٨ من ديوان الطالقاني المطبوع باعتنائنا سنة ٧٦ ـ ٥٧ ومن الجدير بالملاحظة إنّنا عندما رجعنا إليه الآن لتعيين الصفحة رأينا أن ما ذكرناه يومئذ في هامشها من أنّ الشريف الرضي سبق الطالقاني إلى ذلك المعنى بقوله:

وقور فلا الألحان تأسر عزمتي ... ولا تمكر الصهباء بي حين أشرب

ماض بأبيض لماع الحديد له ... مستحكم من أديم الموت منقسم
يوم أبوالفضل تدعو الظاميات به ... والماء تحت شبا الهنديّة الخذم
الضارب القمم ابن الضارب القمم ابـ ... ـن الضارب القمم ابن الضارب القمم
يوم له والمنايا السود شاهدة ... بأنّه بدرها الوقّاد في الظلم
يسطو فقل في السبتنى[1] خلفت بشرى ... أشبالها جوعاً في غاية الألم
والجمع والنقع والظلماء مرتكم ... في ظل مرتكم في ظلّ مرتكم
والخيل تصطك والزغف الدلاص[2] على ... فرسانها قد غدت ناراً على علم
والضرب يخلق أفواهاً مفوهة ... تحكي الدما فكأنّ الكلم للكلم
والطعن يشبه عين الظبي أنجله ... لكنّه غاير الأعماق في قتم
وأقلل الليث لا يلويه خوف ردى ... بادي البشاشة كالمدعو الى النعم
فيّاض مكرمة خوّاض ملحمة ... فضّاض معضلة عار من الوصم
أخو ندى ينحر الآساد ضارية ... حسامه مطعماً للسيد والرخم
ثيابه نسج داود وعمّته ... عادية[3] أصبحت تعزى إلى إرم

➲ في غير موقعه لأنّ معنى كلّ منهما مستقلّ بذاته. كما أنّ ما ذكرناه هناك من أنّ محمود سامي البارودي أخذ المعنى من الشريف فأجاد في أخذه حين قال:

سواي بتحنان الأغاريد يطرب ... وغيري باللذات يلهو ويلعب

في غير محلّه أيضاً فهو معنى آخر. وقد يمتدّ بنا الزمن فنقف على بعض ما أثبتناه في هذه التعليقات من آراء بعد سنوات فنعدل عنه وهذا أكبر دليل على العجلة التي جبل عليها الإنسان ﴿إنّا خلقنا الإنسان من عجل﴾.

(١) السبتنى: الأسد.

(٢) الزغف: الدرع. والدلاص: الملساء اللينة.

(٣) نسبة إلى عاد بن شداد صاحب إرم ذات العماد.

يشتدّ كالصقر والأبطال شاردة ... عن جوه كظباء الضال والسلم[1]

يبدو فيغدو صميم الجمع منصدعاً ... نصفين مابين مطروح ومنهزم

أفعال منتدب في الله محتسب ... في الله معتصم بالله ملتزم

حتّى حوى بحرها الطامي فراتهم الـ ... ـجاري ببحر من الهندي ملتطم

وأصبح الماء ملكاً طوع راحته ... مصرفاً منه في حكم وفي حكم

فحازه الندب والأبطال تلحظه ... تكاد أحشاؤه تنشقّ من ورم

فكفّ كفّاً عن الورد المباح وفي ... أحشائه ضرم ناهيك من ضرم

وحرمت أن تنال الري مهجته ... كأنّما الري فيها أشهر الحرم

ولم تهم بشرب الماء همّته ... وسلب ذا الهم نفساً أكبر الهمم

وهل ترى صادقاً دعوى إخوته ... روى حشى وأخوه في الهجير رمي

وما كفاه الردى دون ابن والده ... حتّى قضى مثله وارى الفؤاد ظمي

حتّى ملا مطمئن الجاش قربته ... ثمّ انثني مستهلا طالب الحرم

فكاثروه فألفوا غير ما نكس ... ماضي الشبا غير هيّاب ولا أرم[2]

فردّها والسيوف البيض تحسبها ... برق الحيا والرماح الخط كالأجم[3]

وكلّما أقبلت تنحو جموعهم ... يبدو فينقض منها كلّ محتدم[4]

أكمى كمي ومن كان الوصي له ... أباً فذاك كمي فوق كلّ كمي[5]

---

(١) إسم موضعين.

(٢) النكس: الرجل الضعيف الدني الذي لا خير فيه. والشبا جمع الشباة: حد السيف أو قدر ما يقطع به.

(٣) الحيا: المطر. والخط: إسم مدينة بالبحرين عرفت منذ القدم بصنع الرماح. والأجم: جمع أجمة: غابة الأسد.

(٤) الغاضب: المحتدم غيضاً.

(٥) الكمي: الشجاع.

يستوعب الجمع لا مستفهماً بهل ... عنه ولا سائلا عن عدّه بكم
غيران تأبى يسير الطعن همّته ... فلا يؤم رماحاً غير مزدحم
فراح ما زال في الهندي مشتملا ... بالرمح ملتثماًمستحصف الحزم
حتّى ابتنى قلل العلياء من شرف ... ورم ساحتها الجرباء بالرمم
عموه بالنبل والسمر العواسل والـ ... ـبيض الفواصل من فرع إلى قدم
وخرّ للأرض مقطوع اليدين له ... من كلّ مجد يمين غير منجذم
يا جامعاً شمل أنسي بعد بعدكم ... قد شتّ شملي وأمسى غير ملتئم
يا أمن كلّ مخوف في حماك غدا ... بقيت بعدك في خوف بغير حمى
ما بعد جودك للراجين من أمل ... ولا وراءك للاجين من حرم
هيهات ما حرم لما قضيت ردى ... إلّا وبعدك أضحى غير محترم

* * *

وله في رثاء الحسين عليه السلام:

أهاج حشاك للشادي الطروب ... قرير العين في الغصن الرطيب؟
فكم للقلب من وجد وحزن؟ ... وكم للطرف من دمع سكوب؟
ونفس حشو أحشاها هموم ... يشيب لها الفتى قبل المشيب
تبيت وليلها بالهم هاد ... وحشو نهارها عقد الكروب
تخيل أن ضوء الصبح ليل ... به جاء الصباح من الغروب
تجهم ليس تدري ما تلاقى ... كفايتها من الصبح القريب
ترى الأحزان مثل الفرض فرضاً ... وتحريم السلو من الوجوب
وكيف يسوغ في شرع التصابي ... سلو القلب عن فقد الحبيب
تريد من الليالي طيب عيش ... وهل بعد الطفوف رجاء طيب؟

سقى الله الطفوف وإن تناءت ... سجال السحب مترعة الذنوب[1]

فكم لي عندها من فرط وجد ... وحر جوى لأحشائي مذيب

أسلوان لقلبي وابن طه ... على الرمضاء ذو خدّ تريب؟

معرى في الهجيرة لا يوارى ... مخلّى عن قريب أو حبيب

بنفسي والذي ملكت يميني ... وأحبابي وخلّي والصحيب

فديت مضيّعاً في الطف فرداً ... تراماه الحزون إلى السهوب[2]

عديم النصر إلّا من قليل ... من الأنصار والرحم القريب

تفانوا دونه والرمح عاط ... بناظره إلى ثمر القلوب

يرون الموت أحلا من حبيب ... أباح الوصل خلواً من رقيب

فتلك جسومهم في الترب صرعى ... عليها الطير تهتف بالنعيب[3]

تكفنها الرماح السمر حتّى ... كأنّ سليبها غير السليب

وتشرق بالنجيع كأن كساها ... صبيغ الأرجوان من الشجوب[4]

تخوفه المنون جنود حرب ... وهل يخشى المنون ابن الحروب[5]

أبي الضيم حامل كلّ ثقل ... عن العلياء كشّاف الكروب

أبوالأشبال في يوم التصادي ... أبو الأيتام في اليوم السغوب

مسرّة قلب فاطم لو رأته ... وإن أدّى المآل إلى شعوب[6]

---

(١) الذنوب: الدلو الكبير.

(٢) السهوب: الأراضي الواسعة المستوية.

(٣) النعيب والتناعب: صوت الغراب. وتزعم العرب: إنّه نذير البين.

(٤) النجيع: الدم الذي يميل لونه إلى السواد. والأرجوان: صبغ أحمر. والشجوب والشجوبة: تغيّر اللون من جوع أو مرض أو نحوهما.

(٥) المنون جمع منية: الموت.

(٦) الشعوب بفتح أوّله وضمّ ثانيه: علم للمنيّة، وهو إسم غير منصرف.

لســـرت لو رأتـــه كـيف يـــنحو ... مـضيق الكـرب بـالقلب الرحـيب
يـحلّ عـلى الكـتيبة وهـو فـرد ... حلول الليث في السرب السروب[1]
يـدافـع عـن مكـارمه ويـحمي ... بـصارمه عـن الحسب الحسيب
خـطيب بـالأسنّة والمـواضـي ... وقـرّت ثـمّ شـقشقة الخـطيب[2]
إذا انـتظمت يـداه الرمح راحت ... له أسـد الوغـى بـدل الكـعوب
فأحـمد حـين تـلقاه خـطيباً ... وحـيدرة تـراه لدى الخـطوب
وظـل مـجاهداً بـالنفس حـتّى ... أتـى فـعل ابـن مـنجبة النـجيب
كأنّ المـجد لا يـرضى كـريماً ... إذا لم يـغد طـعم قـنا وذيب
وولى مـهره يـنعاه حـزناً ... بـمقلة ثـاكـل وحشـاً كـئيب
وكـم مـن ثـاكـل تـهوى عـليه ... لصـبغ الوجـه بـالقاني[3] الصـبيب
ونـادبة تـعنّف فـيه شـمراً ... وشـمر مـمكن حـدّ القـضيب
ونـادت زيـنب مـنها بـصوت ... يـصدّع جـانب الطـود الصـليب:
أخـي يـا سـاحباً فـوق الثـريا ... ذيـول عـلا نـقيّات الجـيوب
ويـا مـتجمّعاً لنـعوت فـضل ... سـليم النـقص مـعدوم العـيوب
ويـا سـرّ المـهيمن فـي البـرايا ... وشـاهده عـلى غـيب الغـيوب
ويـا شـمساً بـها تـجلى الديـاجي ... رمـاها الدهـر عـنّا بـالمغيب
ويـا قـمراً أحـال عـلى غـروب ... وعـاقبة البـدور إلى الغـروب

---

(١) السرب: الجماعة والسروب: الذاهب في الأرض على وجهه.

(٢) الشقشقة: شيء كالرئة يخرجه البعير من فيه إذا هاج. ويقال للفصيح: هدرت شقشقة. وفلان شقشقة قومه أي شريفهم وفصيحهم ومنه تسمية خطبة أميرالمؤمنين عليه السلام بالشقشقية كما في نهج البلاغة لقوله فيها: تلك شقشقة هدرت ثمّ قرّت.

(٣) القاني: الشديد الحمرة.

فـــديتك لو تـــعاين مـــا أُلاقـــي ... لعـــزّ عـــليك ذلّـــي يـــا حـــبيبي
فمن نرجـو لصـعب الخـطب يـوماً ... ومـــن نـــدعوه للـيوم العـصيب؟؟
ومـــن للســـائلين يـــفيض جـوداً ... وقد محلت يـد المـولى الوهـوب؟
ومـــــن للـــــمرملات وللـــيتامى ... كســـوباً عـــند فـقدان الكسـوب؟
أخـــي لم لا يـــفارقني اصـطباري ... ومـــمّ وكـــيف لا يـــعلو نـحيبي؟؟
ورأسك فـــوق رأس الرمـــح عـــال ... تـــجاذبه الشـــمال إلى الجـــنوب
وبـــعدك يـــا أخـــي عـجب حـياتي ... وكـــم للـدهر مـن خـطب عـجيب
رمـــاني الدهـــر بـــالأرزاء فـيكم ... أمـا للـموت عـندي مـن نـصيب؟
فـــيابن القـــوم حـــبّهم نـــجاة ... لمـعتصم وحـطّة كـلّ حـوب[1]
مـــدحتك راجـــياً غـــفران ذنـــبي ... ومـــدحك فـــيه غـــفران الذنـوب
أروح وأغـــتدي نـــحو المـــعاصي ... وتـــلك ســـعايتي ولهـــا دؤبـــي
فخذ بـيدي وأعـطف وارع ضـعفي ... فـــإنّك عـــدّتي يـــابن الحـبيب[2]

* * *

---

(١) الحوب: الإثم.

(٢) نشرت في الطبعة السابقة من الديوان قصيدة في رثـاء الحسـين عليه السلام نسـبت للـمرحـوم الكعبي، ومطلعها:

ما انتظار الدمع أن لا يستهلّا ... أوما تنظر عاشوراء هـلّا؟؟

إلى تمام ثلاثين بيتاً، وهي من الشعر الحسيني المشهور يحفظها معظم الخطباء وتتلى في المجالس دوما، وليست لصاحب الديوان، وإنّما هي لمعاصره الشيخ حميد ـ تصغير حميد ـ نصار اللملومي النجفي المتوفى سنة ١٢٢٥ أو ٢٦ هجـ وقد نصّ على ذلك الإمام الجليل السيّد محسن الأمين رحمه الله في أعيان الشيعة ٢٠٦/٢٨ في ترجمته له وأثبت منها سبعة أبيات والبحاثة الفاضل الشيخ جعفر محبوبة رحمه الله في مـاضي النـجف وحـاضرها ٤٧٠/٣ عـند ترجمته أيضاً وأثبت منها بيتين مكتفياً بشهرتها، والأُستاذ البحاثة الشيخ علي الخاقاني في شعراء الغري ٢٩٠/٣ وأثبتها، وغيرهم ممّن لا يحضرنا.

وقال يصف غزو الوهابيين لكربلاء في سنة ١٢١٦ هجـ ويرثي شهداء الواقعة من العلماء والأشراف وغيرهم[1]:

---

(١) نشرت هذه القصيدة في الطبعة الأُولى في عداد مراثي صاحب الديوان لسيدالشهداء عليه السلام وهي في الحقيقة ممّا نظم في وصف الفاجعة الكبرى التي حلّت بحرم الحسين عليه السلام ومجاوري قبره الشريف يوم عيد الغدير سنة ١٢١٦ هجـ حينما هاجم سعود بن عبدالعزيز بأمر من أبيه مدينة كربلاء في جيش بلغت عدّته ١٢ ألفاً، وقد أغار عليها فجأة وباغتها مباغتة وهي على غير عدة أو أهبة، فأباح المدينة ستّ ساعات أزهق الجيش خلالها النفوس وهتك النواميس ونهب الأموال وبلغ عدد القتلى سبعة آلاف من الرجال والنساء والشيوخ والأطفال، وفيهم الفقهاء والزعماء والأشراف والأكابر وسائر الناس، وقد أهانوا الحرم المقدس والضريح وهدّوا أركانه وحرقوا الصندوق الذي على القبر كما في ملحقات الجزء الثاني من مدينة الحسين، ونهبو نفائسه، وبني بعد ذلك السيد علي الطباطبائي صاحب الرياض سوراً للمدينة في سنة ١٢١٧ هجـ كما في مدينة الحسين ١/١٥ وقد ذكر الحادثة العلامة الثبت والحبر الضليع الشيخ محمّد السماوي رحمه الله في ارجوزته (مجالي اللطف بأرض الطف) ص٨ فقال:

والحادث التاسع للنجدية ... إذ دان جاف همج الجندية
ثمّ عدا على الحسين وزحف ... وأهله زاروا الغدير في النجف
فوضع السيف بأشياخ البلد ... وبالنسا ووالد وما ولد
وهد بيتاً شاده المهيمن ... جبريل في دخوله يستأذن
واستلب النظار والطرائفا ... ومزّق الكتاب والصحائفا
وذاك في سنة ست عشرة ... ومئتين بعد ألف الهجرة

وذكر الحجة الثقة الشيخ عبدالحسين الأميني في شهداء الفضيلة ص٢٨٧ ـ ٢٨٨ نبذة مختصرة عن الوهابية وظهورها وجرائمها وهذه الوقعة بالذات وأثبت قصيدة الكعبي هذه برمّتها وأتبعها بثلاث قصائد قالها الحاج محمّد رضا الأُزري المتوفى سنة ١٢٤٠ هجـ في وصف تلك الحادثة المروعة ص٢٨٩ ـ ٣٠٣ وقد أرّخ الأُزري في اثنتين منها تاريخ الفاجعة أمّا الثالثة فكلّ شطر منها تاريخ وهي ٦٥ بيتاً وفيها ١٣٠ تاريخا، وأتبع العلّامة الأميني ذلك بذكر موجز عن هجوم الوهابيين على النجف في السنة ١٢٢١ ووقوع خسائر

←

أنت الملوم فمن يكون الألوما؟ فلك الظما هيهات معسول اللمى
ما طال ليلك بعد ليلى حيرة إلّا وكنت بها كمثلي مغرما
لك في الظعائن سلوة لو أمهلوا أنّى وقد ساق الركاب وهوما
أنّى وقد ساق الركاب وأعجل الـ ـحادي وأنجد بالفريق وأتهما

➲ في جيشه أدّت إلى هربه، ثمّ هجومه الآخر في سنة ١٢٢٢ هجـ في عشرين ألفاً على النجف وكربلاء وخيبته أيضاً وغير ذلك.

وقد أهمل الأُستاذ عبدالمنعم الغلامي ذكر المذابح والنهب في كتابه الضخم الملك الراشد عبدالعزيز آل سعود واكتفى بقوله ص١١: وفي سنة ١٢١٦ هجـ سار الأمير سعود بجيش مؤلف من عشرين ألف مقاتل إلى العراق وهاجمه من عدة نقاط ودخلت بعض قوّاته كربلا، هذا كلّ ما قاله، كما أنّه عند ما ترجم لمحمّد بن عبدالوهّاب ووصفه بشيخ الإسلام والمصلح الإسلامي وأثنى على تشريعه الجديد لم يشر إلى الإستنكار الذي قوبل به بل اكتفى بذكر مؤيّديه فقط بينما كان أخوه الشيخ سليمان بن عبدالوهّاب أوّل من ردّ عليه بكتابه الصواعق الإلهيّة وتوالت عليه الردود والنقود من علماء السنّة والشيعة.

فمن ردود السنّة: صلح الإخوان، والمحنة الواهبية لزعيم النقشبنديّة في بغداد المتوفى سنة ١٢٩٩ هجـ والأوراق البغدادية لرئيس الطريقة الرفاعية الشيخ إبراهيم الراوي البغدادي، والفجر الصادق في الرد على منكري التوسل والكرامات والخوارق للشيخ ـ يومئذ ـ جميل صدقي الزهاوي وغيرها ممّا لا يحضرنا. ومن ردود الشيعة: الآيات البيّنات للإمام الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء، والرد على الوهابيّة للإمام الشيخ محمّد جواد البلاغي، والبراهين الجليّة في الرد على الوهابية للسيّد محمّد حسن القزويني، والمشاهد المشرفة والوهابيّون للشيخ محمّد علي الحائري، والهادي للشيخ محمّد الفارسي وكثير غيرها.

وبما أنّنا ذكرنا بعض الردود على الوهابية فلا بأس بذكر بعض مصادر التعريف بالدعوة، فمنها: تاريخ نجد للسيد محمود شكري الآلوسي، والوهابيون والحجاز للسيد محمّد رشيد رضا صاحب (المنار)، وأثر الدعوة الوهابية في الإصلاح الديني والعمراني للشيخ محمّد حامد الفقي، والثورة الوهابية لعبدالله القصيمي، وابن سعود لمصطفى الحناوي وغيرها أيضاً.

أفأنت طـالب سـلوة مـن بـعدهم ... وتكون أنت كـما زعـمت مـتيّما؟
يا سعد قف بي في المـنازل سـاعة ... نـبكي، فـرب عـبرة تـروي ظـما
نبكي نفوس تقي تراق على الضبا ... ظـلماً وأجسـاداً تـغسّلها الدمـا
نبكي لصرعى فـي التـراب تـخالها ... في الليل من فوق البسـيطة أنـجما
نـبكي حـرائـر هـتكت أسـتارها ... بعد الحجاب فأصبحت مـثل الإمـا
نبكي عـلى النـفر الذيـن تـتابعوا ... نـحو المـنون مـعظماً فـمعظما
نـبكي البـدور الكـاشفات بـنورها ... ليـل الضـلال إذا ضـلال أبـهما
نفست بهم أرض الطفوف فـلم تـزل ... تـجني العـظيم وتسـتفيد الأعـظما
ولعت بكسـف النـيرات فأكسـبت ... شرفاً مدى الأيام تـحسدها السـما
قـد كـنت أحسب أنّ غـاية كـربها ... يوم قضى (ابن مـحمّد) فـيها ظـما
فـإذا الرزايـا لا تـزال بـربعها ... فـذاً تـطرق بـالخطوب وتـوأما
بأبـي غـريب (مـحمّد) وحـبيبه ... بأبي وقلّ أبـي وجـملة: مـن ومـا
لم تأل قـارعة تـحل بـربعه ... حـيّاً وتـزعجه رمـيماً أعـظما
كـتب البـلاء عـلى عـلاه كأنّـما ... فـرض البـلاء عـلى عـلاه وحـتّما
حـيّاً ومـيتاً لا يـزال مـجرّعاً ... بأكـفّ أهـل البـغي صـاباً عـلقما
يوماً كـذبح الشـاة يـذبح بـالعرى ... بـل رب شـاة مـنه كـانت أكـرما
ذبحاً عـلى ظـمأ الفـؤاد مـن القـفا ... أرأيت شـاتاً ويك تـذبح بـالظما؟
ويـروح يـوماً صـدره مـتحطّماً ... فـيهم ويـوماً قـبره مـتهدّما
خـلفاً تـوارثـه البـغاة وسـيرة ... يـقفو بـها المـتأخّر المـتقدّما
أوما سـمعت مـصابها الثـاني فـقد ... جاءت بواحدة المصائب صـيلما[1]

---

(١) الصيلم: الداهية.

تركت رجال الله قتلى جثماً[1] وحريم آل الله ثكلى أيّما[2]
لعبت بهم أيدي الخطوب فأصبحوا نهباً بأيدي الظالمين مقسما
فتراهم فيما كما شاء العدى للسمر ريّاً والصوارم مطعما
يا للرجال ولا رجال لهذه الـ أرض[3] التي أقوت من الدين الحمى
لمغسلين بما تفيض نحورهم لمكفنين مدارعاً لن تلحما
لمطرحين بغير دفن بالعرى تغدو السيوف لحومهم والأعظما
لموحدين آلههم لم يجعلوا معه سواه ولا أتوا ما حرّما
للصائمين نهارهم لم يبرحوا للقائمين بليلهم إن أعتما[4]
للواصلين هناك رحم نبيّهم تركوا تنعّمهم وعافوا الأنعما
لمهاجرين إلى المهيمن حسبة جعلوا الشهادة للسعادة سلّما
صرعى تنوش جسومهم وحش الفلا والطير تغدو من عليها حوّما
ترد السباع لحومها وجسومها فتنازع السرحان فيها القشعما[5]
الراكعين الساجدين العابدي ـن الحامدين لربّهم ربّ السما
يا ليت شعري من أنوح له ومن أبكي ومن أغدو له متألّما
لدعائم الإسلام ساعة ضعضعت أركانه الدين ساعة هدّما
لشعار أهل الحق يمحق نورها بغضاً لقبر ابن النبي مهدّما

---

(١) الجاثم: المنكب على وجهه. وفي شهداء الفضيلة: حينما.

(٢) الأيم بالتشديد جمع أيمة: المرأة التي فقدت زوجها. وفي شهداء الفضيلة: أينما. وما ذكر هنا في الموضعين أقرب وأتم معنى.

(٣) وفي شهداء الفضيلة: الطخياء.

(٤) أعتم الليل: أظلم.

(٥) السرحان: الذئب. والقشعم: الأسد.

لرجـــال ديـــن الله والقـــوم الأُلى ... بـضياء نـور بـيانهم يـجلي العـمى
لـ«مـــحمّد» عـلم العـلوم بأسـرها ... لأخ التـقى الفـيّاض غـيثاً إن هـما
للحبر «عين عـلي» مـصباح الدجـى ... في ليـلة يـتلو المـبين المـحكما[1]
لأخ النـهى والفـضل غـير مـدافـع ... عـــلم الكـمال العـارف المـتوسّما
أم للـفتى العـلوي (صـادق) قـوله ... بالسيف جسـده النـجيع وعـندما؟
أم للـفتى السـامي (عـلي) إذ غـدا ... ينحو الردى بادي الشجاعة مـعلما؟
مـا زال يـخطر بـالحسام مـجاهداً ... حـتّى غـدا بـالمشرفي مـعمّما
بأبي وأُمّـي عـافرون عـلى الثـرى ... يـقضي وتـحسبهم هـناك نـوّما
ظـــفروا بـقصدهم وبت مـعللا ... مـــابين ريـــثما وبـين لعـلما
سـبقوا إلى الجـنّات فـي غـاياتهم ... سـبق الوفـود لمـنعم لن يسأمـا
غنموا الجنان وظلّت بـعد فـراقـهم ... حـلف المـذلّة مـرغماً أو مـغرما
ربـحوا بـبيعهم الذي قـد بـايعوا ... فاعرف مقامك أين أنت من النما[2]
أفردت نفسك عن سـلوك طـريقهم ... ورجوت بعد لهم تكـون التـوأما[3]
هـيهات مـنّتك الأمـاني ضـلّة ... وأراك فـيما خـلته مـتوهّما
فارجـع فـلست أراك إلّا غـابطاً[4] ... فـيما تـركب تـالياً ومـقدّما
شأن الغواني صـار شأنك لم تكـن ... إلّا تـقيم عـزاً وتـنصب مأتـما
إن كـان هـمّك ليس إلّا بـالبكا ... فـتكون نـائحة وتسـمع مـغرما

---

(١) لم يذكر هذا البيت في الطبعة السابقة وإنّما أثبته صاحب شهداء الفضيلة نقلاً عن ديوان الكعبي المخطوط.

(٢) النما: الثمرة والفائدة.

(٣) في شهداء الفضيلة: ورجوت تعدلهم فتأتي توأما.

(٤) في المصدر السابق: خالطاً.

فلم ادّخرت من السيوف مصمّماً ... لكريهة ومن الرماح مقوّما؟
ضعفاً لرأيك حيث رأيك في البكا ... إلّا مقدماً تلقى ولا مستقدما
ظلّت أدلّة معشر سودتهم ... إن كنت متخذاً حياتك مغنما
يا للرجال ألا تقي عاطف ... يحنو على دين الإله ويرحما
يا للرجال ألا ابن منجبة[1] يرى ... أم كلّكم يا قوم أبناء الإما؟
يا للرجال ألا ابن منجبة[2] يرى ... ديناً فيغضب للإله فيقدما؟
يا للرجال ألا معود شيمة ... إن صحّ قول (سعود) أن لا مسلما[3]
إن صحّ ما منكم لربّ مسلم ... أفلم يكن فيكم فتى يحمي الحمى؟
أفلم يكن فيكم مراعي حرمة ... إن كنتم من ليس يخشى محرما؟
إن صحّ أنّ ولاء آل محمّد ... وهواهم في الله[4] شركا أعظما
إن صحّ أنّ الواصلين نبيّهم ... في آله يستوجبون جهنّما
إن صحّ أنّ المسلمين بأسرهم ... ما فيهم لله من يحمي حمى
إن صحّ لا خلفاء بعد نبيّهم ... او لا أئمّة حرّموا ما حرّما
بل كلّهم باغ مضلّ مبدع ... إلّا (سعود) فنوره يجلو العمى
وزمان ألفي عام لم يك فيهم ... أحد لوجه إلاهه قد أسلما
ويقول طاها: لم تزل في أُمّتي ... بالحق طائفة تقول المحكما[5]

---

(١) في المصدر المذكور: منجية.
(٢) في المصدر المذكور: منجية.
(٣) في الطبعة الأُولى: سلما وهو خطأ حتما.
(٤) في الطبعة السابقة: (قد كان) بدلاً من: في الله.
(٥) في الطبعة السابقة: وتحكما وهو خطأ.

فمن المصدّق منهما أنبيّنا الهادي ... الرشاد أم الجهول الأعظما[1]
يا ناصر الإسلام يابن محمّد ... أكرم به نسباً وأعظم منتمى
يابن الكرام ألا تمنّ بلفتة ... غبّ[2] البلا وتجاوز الماء الفما؟
وترى حسام البغي كيف قد اغتدى ... برقابنا متمكّنا متحكّما
لا شيبة تركوا ولا مستضعفاً ... كلّا ولا متضرّعاً مستسلما
كم حرّة مسحوبة مضروبة ... سلب اللئيم قناعها سلب الإما
مسلوبة الأطمار لم تر ساتراً ... في الناس إلّا كفّها والمعصما
تخشى النهار من العيون إذا بدت ... إذ كان يسترها الدجى إن أظلما
كم ذات خدر أخرجوها عنوة ... من خدرها فغدا حريقا مضرما
كم ذات طفل طفلها في حجرها ... ذبحوه حتّى خالط اللبن الدما
قتل الرجال لشركهم في زعمه ... فالطفل أية جرمة قد أجرما؟
فبمسمع منك الذي قد عاينوا ... وكفاهم يا سيّدي إن تعلما
قرّت عيون الحاسدين[3] شماتة ... وافترّ ثغر الشامتين تبسّما
وانصاع دين الله لعبة لاعب ... فيما يشاء تهجّما وتهكّما[4]
فإلى متى يابن النبي إلى متى ... صلّى الإله على النبيّ وسلّما؟؟

* * *

---

(١) كذا في الطبعة الأُولى، وفي شهداء الفضيلة:
فمن المحقّ أ (أحمد) في قوله ... أم جاهل؟؟ ومن المصدّق منهما

(٢) غب: مر في ص وفي المصدر السابق: عظم.

(٣) في المصدر المذكور: الكاشحين.

(٤) في المصدر السابق: تحكما.

وله في رثاء الحسين عليه السلام[1]:

أهلال شهر العشر مالك كاسفاً ... حتّى كأنّك قد لبست حدادا؟

أفهل علمت بقتل سبط محمّد ... فلبست من حزن عليه سوادا؟

وأنا الغريب ببلدة قد أحرزت ... أيّام حزن المصطفى أعيادا[2]

(١) الأبيات: ٤، ٩، ١٣، ١٤، ١٥ من هذه المقطوعة لم يسبق نشرها وهي من إضافات هذه الطبعة.

(٢) ربّما كان الشاعر في دمشق وحلّ المحرم فرأى ما ورثته عاصمة الامويين منهم وما اعتادت أن تظهر فيه في محرّم من كلّ عام من مظاهر الفرح والبهجة، وما ترتديه من حلل الزينة وجلابيب الهناء، وهي حتّى اليوم تحتفل بالعيد الذي ورثته جيلاً بعد جيل بمناسبة انتصار يزيد بن معاوية على الحسين بن علي عليه السلام، ومثلها المغرب العربي المسلم أيضاً!! فقد صادف ذلك المسلم الغيور الأُستاذ يونس صفي الدين نزيل دكار في الدار البيضاء ورأى بعينه الإستعداد لليوم العاشر من أوائل الشهر وانهماك الأطفال وشرائهم الطبول والمزامير وأدوات الزينة، والتهاني والهاديا التي يتبادلها المسلمون وتأجيل الأفراح عندهم ولاسيّما الأعراس لهذا الشهر، والتقى ببعض الجزائريّين والتونسيّين فسألهم عن ذلك فأجابه الجزائري واسمه بلحاج أبو ادريس بأنّ هذا العيد هو وراثة من الآباء والأجداد من الأندلسيّين الامويّين الذين جاؤونا هاربين من الإسبان. وحرّر الأُستاذ المذكور سؤالا للإذاعة العربية في طنجة عن هذا العيد فلم تزد في الجواب على أنّه عيد وطني تعطّل به الدوائر. ولم يجبه خطاً ليضيفه إلى مذاكراته عن رحلته، وقد شرح للناس هناك حادثة الطف ونسب الحسين وكتب رسالة مفصلة للعلامة المرحوم أحمد عارف الزين صاحب (العرفان) الغراء نشرت في الجزء الأوّل من المجلد الثاني والأربعين ص٢٩٣ وكان ذلك عام ١٣٨٠ هجرية تحت عنوان: (ما هذا العيد وما هذه البدعة!) ووجّه الخطاب فيها إلى ملك المغرب ـ يومئذ ـ محمّد الخامس، والرئيس التونسي الحبيب بو رقيبة، والرئيس الوقت ـ يومئذ ـ للجمهورية الجزائرية، ورجالهم أن يكافحوا هذا العيد الذي يأباه الله ورسوله، وذكّرهم بالخليفة العادل عمر بن عبدالعزيز حينما رفع السب عن أميرالمؤمنين علي عليه السلام وبيّن لهم أنّ العادات الموروثة لا يمكن تغييرها بالهين ولغير السلطات

فـليبغ الأعـداء عـنّي حـالة ترضي العدو وتشمت الحسّـادا
أألم شـمل الصبر بـعد عـصابة راحوا فرحن المكرمات بـدادا؟
لم تكتف العـبرات مـن أجـفانه سـحاً ولو كـان البـحور مـدادا
سبقوا الأنام فـضائلا وفـواضـلا ومآثـراً ومـفاخراً وسـدادا
ومـراتـباً ومـناقباً ومساعياً ومـعالياً وجـلادة وجـلادا
بيض كفتك أصـولهم ووجـوههم أن تسـتزيد هـدايـة ورشـادا[1]
من كـلّ وتـر إن يسـل حسـامه راحت جـموع عـداتـه آحـادا
وأخي ندى إن سال فيض بـنانه غـمر الزمـان مـغاوراً ونـجادا
رجب إذا شعبان بالغ في النـدى وهو الربيع إذا الشـهور جـمادى
لم يطو حسنهم المـدى إلّا وقـد نشـرت حسـان فـعالهم إبـرادا
لو يعقل الخـطب المـلم بـصرفه فيهم لكـفّ عـن الأنـام وحـادا
ويد أصابت مـثلهم فـي دهـرها عـجباً لهـا أن تـعلق الأوغـادا
وبـمهجتي الرشـد الذي للـقائه حشد الضـلال وجـند الأجـنادا

الحكومية. وقد ذكّرهم بأنّ التآم الشعب العربي المسلم شرقه وغـربه لا يـمكن أن يـتمّ ويتوحّد هدفه ما لم يقض على مثل هذه العادات البغيضة ونحوها، كما قـدم كـلمته إلى علماء الأُمّة في الأزهر والنجف ومفتي الديار الأُردنية الذي أجابه على إذاعة لندن جواباً وصفه بأنّه جواب مسلم مؤمن، وكذا مفتي الديار اللبنانية وغيرهم طالباً منهم العمل على محو هذه البدعة المقيتة.

(١) سبقه إلى هذا المعنى عبدالله بن جابر الأندلسي بقوله:

جـعلوا لأبـناء الرسـول عـلامة إنّ العـلامة شأن لم يشـهر
نـور النـبوة فـي كـريم وجـوههم يغني الشريف عن الطراز الأخضر

راجع ترجمته في (ريحانة الألبّا) لشهاب الدين الخـفاجي ص٣٢٨ ولا بأس بـمراجـعة القارىء لـ(ص٣٢٩) من الريحانة وقراءة ما نقله الخفاجي عن السخاوي ليعرف معدنهما الطيّب!...

يلقى القنا ثلج الفؤاد وحاله أودى القلوب وفتّت الأكبادا

* * *

وله يستنجد بالعباس بن علي عليه السلام[1]:

ميامين إن نودو لدفع ملمّة أتوا فأزالوا الضرّ طرّاً مع البلوى
لكم يا بني خير الورى لا لغيركم على كلّ حال منّي البثّ والشكوى
وإن كنت في طهران[2] والقرب شاسع فعلمي لا يخفاكم السرّ والنجوى
أباالفضل يا عباس كم لك من يد عليّ وهذي بعضها فادفع البلوى
عليكم سلام الله يا خير خلقه متى أمّ حاد نحوكم يكثر العدوا

* * *

وله مادحاً الزهراء عليها السلام:

أحب لأجلها من ينتميها ومن يعزى إليها في البلاد
وأهوى كلّ منتسب إليها وإن كان البغيض من الأعادي
وأبغض في هواها كلّ قوم وإن أصفوا بزعمهم ودادي
علقت بحبّهم كفي وقلبي فهم ذخري وحرزي في معادي

* * *

(١) من هنا إلى آخر الديوان لم يسبق نشره في الطبعة الأُولى بل هو من فوائد الطبعة الجديدة.
(٢) كذا في الأصل ولا معنى له ولعلّ الصحيح: الجسم أو نحوه.

وله في أميرالمؤمنين عليه السلام:

ألم يعلم الجاني على الليث أنّه ... أتى الليث في محرابه وهو ساجد؟
ولو جاءه من حيث ما الليث مبصر ... لخانته عن حمل الحسام السواعد
لقد فلّ ذاك السيف منه مهنّداً ... تفلّ بماضي شفرتيه الشدائد

* * *

وله في رثائه عليه السلام:

فديت قتيلا في حسام ابن ملجم ... بنفسي وما أهوى وما ملكت يدي
علياً أميرالمؤمنين وخير من ... أشارت إليه في العلا كفّ سؤدد
أخو النص والسبق القديم إلى الهدى ... وهادي الورى بعد النذير المؤيّد
فشلّت يد الجاني عليه أما درت ... غداة أصابت قلب كلّ موحّد
أطاحت به للحقّ طوداً وللعلى ... عماداً وجذّت[1] فيه كفّ الندى الندي
فتى شيّد الإسلام في كلّ موقف ... وشدّ عرى الإيمان في كلّ مشهد

* * *

وله في قبر أميرالمؤمنين عليه السلام:

فيا زائراً قبر غيث النوا ... ل وليث الكتيبة يوم الضراب
وسرّ الإله ومأمونه ... ومعنى الكتاب وفصل الخطاب
فقف أنت حيث العلى شارع ... وبحر المكارم طامي العباب
وأنوار قدس سما الحيدر ... ي مجللة بيدها والروابي

---

(١) جذّت: قطعت.

تكـــاد البـــصائر مـــن لمـعه تقيم على شامخات الهـضاب
وركب العـــقول بـــبيدائـــها حيارى أضلّت طريق الأياب

* * *

وله في أهل البيت عليهم السلام :

أهوى المعالي حيث كا نوا والصراط المستقيم
وبـــنو النـــبي وآله وهنالك الشرف القديم
والبـــدر والدهـــم وامـــ ـهم ذكا[1] وهم النجوم

* * *

وله فيهم عليهم السلام أيضاً:

بنو أحـمد أشـرف الخـافقين برغم الأُنوف أُنـوف الضـلال
ولابـــدّ يـــوماً تـــرى مـنهم على الخصم حالاً يسرّ الموالي
فـهم سـادتي وبـهم عـصمتي إذا ارتبك النطق عند السـؤال

* * *

وله في ولاية أميرالمؤمنين عليه السلام :

حلفت بسـاطح سـبعاً طـباقاً ورافـــع مـــثلهنّ بـــلا عـماد
بأنّ مـحمّداً مـا مـات حـتّى أقـــام لدينه بـالنصّ هـادي
وعـرفهم بـه نسـباً وشـخصاً وأعلم حـاضراً مـنهم وبـادي

(١) ذكاء: الشمس.

وجلى الشك حتّى ليس تلقى أخا نكر يعارض عن عناد
وجلى الشك حتّى ليس شك فنور الحق باد أيّ باد
فلم يك منكراً إلّا جحود معاد عالم بالحقّ عادي
فكيف وبعده لا شرع يرجى وغاية شرعه حتّى المعادى؟
وليس يصحّ في التكليف أمر يقصر عنه مقدور العباد
وشاء يكون تكليف بسمع قضية حكم قاض غير عادي
وكان العلم بالمسموع حتماً لتحصيل الوصول إلى المراد
وليس الناس كلّهم ثقات ولا عصم الجميع من الفساد
فلم يك قاطعاً للعذر إلّا لسان مطهّر حلف السداد
يؤدي ما تحمّل للبرايا بغير نقيصة وبلا ازدياد
وهذا ليس يعرف في البرايا بغير النص من ربّ العباد

وللكعبي رحمات الله عليه مقصورة مهمة تقرب من خمس مائة بيت نذكر نموذجاً منها ومطلعها:

يا بارقاً لاح على أعلى الحمى أأنت أم أنفاس محروق الحشى
أهدى إلى القلب الشجي ناره وإن سقى قلب الخليين الحيا
لو كنت تدري بالذي في قلبه أغناك أن تسأله كيف ذوى؟
في قلبه نار جوى لو صادفت جمر الغضا لأحرقت جمر الغضا

ويقول فيها

والصيد لا يزيله عن قصده فرط الأراجيف ولا كثر المرا
تشبث المرء بأذيال المنى من دون جدّ جدّه الداء العيا

كـــم عـــلة تحسبها تـــعلّة وكم عـناً يـحسبه المـرء غـنى
والحـازم الرأي الذي إن غـاله غول الرزايا لا بكـى ولا شكـا
مـن اكـتفى بـالله كـان حسـبه والله حسب كلّ من بـه اكـتفى
مـا لا يشـاء الله لم يكـن ومـا يشاء فـهو كـائن كـما يشـا[1]
لا تـرج إلّا الله واسـخ بـالذي أو لاكه من بـذل جـود وعـطا
ما كـنت بـالخائف مـن مـنيتي جاءت ضحى أو طرقت بابي عشا
فالموت لا يعدو الفتى إمّا على فراشه أو تـحت أفـياء القـبا[2]
والمـرء مـادام سـليما دينه وعـــرضه عـــداه لوم ولحـا

* * *

ويقول فيها مادحاً أهل البيت عليهم السلام :

أكـرم خـلق الله فـي فـضل وفـي بـذل وأعـلى مـنتمى ومـحتدا
أجـل مـن صلّى وصـام طـائعاً أفـضل مـن لبّـى وطـاف وسـعى
عـصابة لهـا النـبي المـصطفى لها (الوصـي) و(الزكـي) المـجتبى
لهـا (أبـي الضـيم) فـخر هـاشم لهـا كـذاك (البـاقر) الحـبر التـقى
لها ابنها البرّ الأمـين (الصـادق) الـ ـقول الرزين الحلم (جعفر) النـدى
لها العـفو (الكـاظم) الغـيظ الفـتى موسى لهارب الكـمالات (الرضـا)
....[3]

---

(١) واضح أنّه تضمين للآية الكريمة : ﴿ وما تشاؤون إلّا أن يشاء الله ربّ العالمين ﴾ .
(٢) تضمين للآية الشريفة : ﴿ أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيّدة ﴾ .
(٣) عدد أسماء الأئمّة عليهم السلام ولم يذكر اسم الإمامين الجواد والهادي وربّما سقط من هنا بيت تضمّن ذكرهما عليهما السلام .

لهـا الهـمام (العسكـري) نـجله ... الراقي ذرى العلياء من حيث يشا
لها ابـنة العـدل المـرجـى للـورى ... كشّاف ليل الكرب (مهدي) الهدى
مـا فـيهم إلّا إمـام قـائم ... بـالحقّ يـقفوه إمـام مـقتفى
نـبيّهم خـير نـبيّ قـد أتـى ... وصـيّهم خـير وصـيّ قـد وفـى
أبـوهم خـير فـتى شـهيدهم ... خـير شـهيد أُمّـهم خـير النسا
تعزى لها العصمة من ربّ الورى ... شهادة قـد أفـحمت أهـل المرا[1]
أقـوالهـم أفـعالهم لم يـنصرف ... قـول ومـا صـدقه فـعل زكـا
أفكـارهم مسـتنبط الوحـي فـلا ... تخطي ولو سهواً إذا السـاهي سـها
هـم هـم الحـق المـبين للـهدى ... إن بالهدى يوماً تـرى اللاهـي لهـا
يـضيء نـور الرشـد مـن قـلوبهم ... إذ راح ليـل الغـي غـاشية غشـى
لا يسأل السـائل مـن ورادهـم ... عـلماً بأنّ الحـق فـيهم قـد ثـوى
لا يـبتغي العـافي سـوى ربـوعهم ... مأوى وكلّ الصيد في جوف الفرا[2]
الحـاكـمين العـدل لم يـعدل بـهم ... حب ولم يـمـلهم عـنه هـوى
قـد أمـنت جـورهم خـصومهم ... في الحكم فالعالي مع الدانـي سـوا
أنـزر مـا تـلقاهم أن يسـخطوا ... حـتّى كأنّ السـخط مـنهم الرضـا
قـوم إذا قـيس بـهم مـن غـيرهم ... قـاس الجـبال الراسـيات بـالهبا
مـعادن الحكـمة إن قـال الخـطا ... سواهـم، قـالوا الصـواب والهـدى
جـلّ عـلاهم أن يـغالي بـعلا ... أيـن الثـريا والثـرى هـيهات ذا؟

---

(١) المراء: الكذب.

(٢) مثل مشهور أصله: أنّ ثلاثة رجال خرجوا يصطادون فاصطاد أحدهم أرنباً، والثاني ظبيا، والثالث حمار وحش (وهو الفرا) فاستبشر الأوّلان وتطاولا فقال الثالث: كلّ الصيد في جوف الفرا يعني إنّه أعظم الصيد فمن ظفر به أغناه عن كلّ صيد.

كـلّ مـديح دون سـامي مـجدهم يقصر حتى تـحسب المـدح الهـجا
.....الخ

* * *

وقال:

يا من إذا نزل العـديم جـنابه أولاه مـنهل النـوال تـفضّلا
أنا سائل الباب الذي بسـؤاله لم تفت تكرع منه عذباً سلسلا
أتراه يغلق دون قـصدي بـابه وسواي لم يره زمـاناً مـقفلا؟

* * *

وله في النبي ﷺ:

محمّد سيّد الثـقلين طـراً عليه سـلام ربك والصـلاة
أقول ولا اعتراض به ولكن بقلبي ما يحقّ له الشكـاة:
بنوك مشـتّتون بكـلّ قـطر وحوليك الأباعد والعـداة

* * *

وله:

سألتك بـالذي أولاك فـضلا فـقصّر عـنه فـضل الفـاضلينا
ألست الواحد الندب المرجّى إذا انقطعت صلات الواحدينا؟
ألسـتم خـير مـنتعل وحـاف ومن ركب المطايا والسـنينا؟

* * *

وله في العباس بن علي عليه السلام:

أباالفضل يا غوث المساكين كـلّهم وإنّـي مسكـين وأنت أبـوالفـضل
ألم ترني في بـطن طـهران مـفرداً وتـجلي، لا قـوم لدي ولا أهـلي

فخذ بيدي يابن النبي وجد ندىً على ضعف حالي إنّني مقلّ الحمل
فكم لك عندي من يد طال طولها وقصر عنها الشكر في القول والفعل

* * *

وقال في خلافة الإمام علي ونصّ النبي عليه في غديرخم:

حلفت لهم بأمثال المواضي تشذمر عن رجال كالأسود
تغير بغارتيها كلّ صبح على أهل الشقاق والجحود
بأنّ محمّداً لم يقض حتّى أقام خليفة الرب المجيد
وميّزه بيوم الدوح جهراً على رغم المعادي والحسود
وقال: هو الخليفة بعد موتي ومولى الكل من بيض وسود
فإن تابعتم فزتم وإلّا كفرتم كفر عاد أو ثمود

* * *

وله في أهل البيت عليهم السلام:

إن كان نهجكم غيّاً شقيت به فحبّذا الغي عن عمد لذي سفر[1]
إن كان نهجكم غيّاً لسالكه فليس للرشد والرحمن من أثر
رضيت ربعكم في الناس متخذاً إذا تفرّقت الآراء في البشر[2]

* * *

(١) سبقه إلى هذا المعنى الإمام الشافعي بقوله:
إن كان رفضاً حبّ آل محمّد فليشهد الثقلان إنّي رافضي

(٢) سبقه الشافعي أيضاً بقوله:
ولمّا رأيت الناس قد ذهبت بهم مذاهبهم في أبحر الغي والجهل الخ

فهرس القوافي

الصفحة	القافية	الصفحة	القافية
٨٢	منى القلب ..... مطلب	١٨٢	أهلال شهر العشر .... حدادا
٨٧	سفه وقوفك ..... نوار	١٨٤	ميامين إن نودوا .... البلوى
٩٢	إن تكن كربلا ..... ثراها	١٨٤	أحب لأجلها ..... البلاد
٩٦	هنا الربع ..... وانزلي	١٨٥	ألم يعلم الجاني ..... ساجد
١٠٢	أما طلل يا سعد ..... تنزل	١٨٥	فديت قتيلا ..... يدي
١٠٨	عدتك نجد ..... الهضب	١٨٥	فيا زائراً قبر ..... الضراب
١١٤	لو كان في الربع .... الغليل	١٨٦	أهوى المعالي .... المستقيم
١٢٢	أرأيت يوم ..... المهجودا	١٨٦	بنو أحمد ..... الضلال
١٣٤	أهاب به الداعي ..... طيعا	١٨٦	حلفت بساطح ..... عماد
١٤١	لوامة حلف ..... سقامه	١٨٧	يا بارقاً لاح ..... الحشى
١٥٠	باتت على ..... الفؤاد	١٩٠	يا من إذا ..... تفضلا
١٥٥	ترفعت أن تبكي ..... الدارا	١٩٠	محمّدسيد الثقلين .... الصلاة
١٦٠	يا صب كم ..... تزفر	١٩٠	سألتك بالذي ..... الفاضلينا
١٦٧	هل أم طوق ..... القدم	١٩٠	أباالفضل يا غوث .... الفضل
١٧١	أهاج حشاك ..... الرطيب	١٩١	حلفت لهم ..... كالأسود
١٧٦	أنت الملوم ..... اللمى	١٩١	إن كان نهجكم ..... سفر

فهرس الأعلام

(أ)

آدم: ١٣٠
إبراهيم الراوي: ١٧٦
أحمد الرسول ﷺ: ١٠٤، ١١٧، ١٢٤، ١٦٤، ١٦٨، ١٧٣
أحمد عارف الزين: ١٨٢
أحمد بن حنبل: ١٢٧
الأخطل: ١٠٧
أسامة بن زيد: ١٤٧
أسماء بنت أبي بكر: ١٤٩
ابن أبي الحديد: ١٤٨
ابن الأثير: ١٢٧، ١٤٦
ابن تيمية: ١٤٦
ابن حجر: ١٢٧
ابن حزم: ١٤٦
ابن خلدون: ١٤٥، ١٤٦
ابن دحلان: ١٢٧
ابن الزبعري: ١٦٥
ابن الزبير: ١٤٩
ابن سعد: ١٤٦
ابن شهرآشوب: ١٢٨، ١٤٧
ابن عبدالبر: ١٢٧
ابن عبد ربّه: ١٤٨، ١٤٩
ابن قتيبة: ١٤٨
ابن ملجم: ١٨٥
ابن واضح اليعقوبي: ١٢٨
أبوبكر (الخليفة): ١٣٩، ١٤٥
أبوبكر بن عربي الأشبيلي: ١٤٦
أبو تمام: ١٣٤
أبوذر الغفاري: ١٤٥، ١٤٦
أبوالفداء: ١٢٧
أبو يزيد (الأمير خالد): ١٣٤
أم جميل (حمالة الحطب): ١٤٩
امرؤ القيس: ٨٤، ١٣٥
أمرالمؤمنين ﷺ: ٨٣، ١٠٤، ١١٨، ١٣٩، ١٨٥
أميّة: ١١٠، ١١٢، ١١٧، ١٣٦، ١٣٩، ١٤٨، ١٥١

(ب)

الباقر (الإمام ﷺ): ١٢٨، ١٨٨
البحتري: ١٣٤
البخاري: ١٢٧
البستاني: ١٠٧
بشر بن عمر الأسدي: ١٠٧
البغدادي: ١٦٦
بلحاج أبو إدريس: ١٨٢

(ت)

تقي (سبط آل ياسين): ١٥٦

(ج)

جبرائيل: ١٢٤
جرول (الحطيئة): ١٠٧، ١٦٦
جرير: ١٠٧
الجزري: ١٢٧
جعفر الحلّي: ١٤٣
جعفر محبوبة: ١٧٤

جميل صدقي الزهاوي: ١٧٦
الجواد (الإمام عليه السلام): ١٨٨

(ح)
حافظ إبراهيم: ١٤٨
حبيب بن أوس: ١٣٤
الحبيب بو رقيبة: ١٨٢
الحسن البصري: ١٢٩
الحسين بن علي عليه السلام: ٨٢، ٨٧، ٩٥، ٩٦، ١٠٢، ١٠٤، ١٠٨، ١١٤، ١٢٢، ١٣٤، ١٤١، ١٤٦، ١٤٩، ١٥٠، ١٥٢، ١٥٥، ١٦٠، ١٧١، ١٧٤، ١٨٢
حجر بن عدي: ١٤٦
حرب: ٩٨
الحطيئة: ١٠٧
حمامة (جدّة معاوية): ١٤٨، ١٤٩
حمزة بن عبدالمطّلب: ٩٣، ١٢٥
حميد نصّار: ١٧٤
حيدر (الإمام عليه السلام): ١٦١
حيدرة (الإمام عليه السلام): ١٤٣

(خ)
خالد بن يزيد: ١٣٤
خديجة بنت خويلد: ١٤٩

(د)
داود (نبي الله): ١٦٩
دحلان (أحمد زيني): ١٢٧

(ذ)
ذكوان (خادم الحسين عليه السلام): ١٤٩

(ر)
رسول الله صلى الله عليه وآله: ٨٦، ١١٥، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧
الرضا (الإمام عليه السلام): ١٨٨

(ز)
الزبرقان بن بدر: ١٦٦
زعيم النقشبنديّة (الشيخ داود): ١٢٠
الزكي (الإمام الحسن عليه السلام): ١٨٩
الزهراء عليها السلام (بضعة الرسول صلى الله عليه وآله): ١١٣، ١٤٧، ١٨٤
زياد بن أبيه: ١٤٨، ١٥١
زينب (ابنة الإمام عليه السلام): ٨٤، ٨٧، ٩٥، ١٠٤، ١٠٥
زين العابدين عليه السلام: ١٠٥.

(س)
سبط ابن الجوزي: ١٢٧
السخاوي: ١٨٣
سعود بن عبدالعزيز: ١٧٥، ١٧٦، ١٨٠
سلمان الفارسي: ١٢٦
سلول (من قيس): ١١٦
سليمان بن عبدالوهّاب: ١٧٦
سميّة: ١٣٢، ١٤٨، ١٥١
سيف بن ذي يزن: ١٣٩
السيوطي: ١٢٧

(ش)
الشافعي (محمّد بن إدريس): ١٢٧
الشبلنجي: ١٢٧
الشريف الرضي: ١١٣، ١٦٢
شمر بن ذي‌الجوشن: ٩٩، ١٠٠، ١١٣
شهاب‌الدين الخفاجي: ١٨٣
شيبة بن ربيعة: ١٢٥

(ص)

صادق (الشهيد): ١٧٩
الصادق (الإمام عليه السلام): ١٨٨
صالح (النبي عليه السلام): ١٣٠
صعصعة بن معاوية: ١٠٧
صفي الدين الحلّي: ١٦٨
صفية بنت حي بن أخطب: ١٢٨، ١٤٩

(ط)

الطائي (أبو تمام): ١٣٤
الطبري: ١٢٧، ١٤٦، ١٤٨
طلحة: ١٣٩
طه (الرسول صلى الله عليه وآله): ٨٧، ١٠٤، ١٧٢، ١٨٠
طه حسين (الدكتور): ١٤٥

(ع)

عائشة: ١٢٨
عاد بن شداد: ١٦٩
العباس بن علي عليه السلام: ١٦٧، ١٨٤
عبدالحسين الأميني: ١٧٥
عبدالدار: ١٣٩
عبدالعزيز آل سعود: ١٧٦
عبدالكريم الزنجاني: ١١٧
عبدالله بن أبي سرح: ١٤٥
عبدالله بن جابر الأندلسي: ١٨٣
عبدالله القصيمي: ١٧٦
عبدالمحسن الكاظمي: ١٥٦
عبيدالله بن السري: ١٣٤
عبيدة بن الحارث: ١٢٥
عبدالمطّلب بن هاشم: ١٣٩
عبدالمنعم الغلامي: ١٧٦
عتبة بن ربيعة: ١٢٥
عثمان بن عفان: ١٤٦
عسكر (جمل عائشة): ١٢٨
العسكري (الإمام عليه السلام): ١٨٩
علي (الإمام عليه السلام): ١٠٤، ١١٨، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٤٨
علي الخاقاني: ١٧٤
عقيل بن أبي طالب: ١٤٨
علي الطباطبائي: ١٧٥
علي (الشهيد): ١٧٩
عمر بن الخطاب: ١٤٥، ١٦٦
عمر بن عبدالعزيز: ١٨٢
عمرو بن العاص: ١٢٩
عمرو بن عبد ود العامري: ١٢٦
عمير بن الأهلب الضبي: ١٢٩
عين علي (الشهيد): ١٧٩

(غ)

الغزالي: ١٢٤

(ف)

فاطم (فاطمة الزهراء عليها السلام): ١٠٤، ١٣٢، ١٤٨، ١٦١، ١٧٢
الفرزدق: ١٠٧

(ق)

قاسم الملّا الحلّي: ١٥٦
قس بن ساعدة: ١٦٦
قنفذ العدوي: ١٤٦
قيصر الروم: ١٦٦

(ك)

الكاظم (الإمام عليه السلام) ١٨٨
كرز بن جابر: ١٢٥
الكعبي (هاشم): ٨١، ١٨٧
الكميت بن ثعلبة: ١٠٧
الكميت بن زيد: ١٠٧
الكميت بن معروف: ١٠٧

(ل)

لوي بن غالب: ٨٢

(م)

مالك بن النضر: ١١٦
المالكي: ١٢٧
المأمون: ١٣٤
المبرد: ١٣٤
المتنبي: ١٣٤
محب‌الدين الخطيب: ١٤٦
محسن الأمين: ١٧٤
محمّد (النبي صلى الله عليه وآله): ١٣٢، ١٣٩، ١٨١، ١٨٢
محمّد (الشهيد): ١٧٩
محمد الخامس (الملك): ١٨٢
محمّد السماوي: ١٧٥
محمّد الفارسي: ١٧٦
محمّد بن عبدالوهّاب: ١٧٦
محمّد بن باقر اللكهنوي: ١٦٠
محمّد جواد البلاغي: ١٧٦
محمّد حامد الفقي: ١٧٦
محمّد حسن آل ياسين: ١٥٦
محمّد حسن القزويني: ١٧٦
محمّد حسين كاشف الغطاء: ١١٧
محمّد رشيد رضا: ١٧٦
محمّد رضا الأزري: ١٧٥
محمّد علي الحائري: ١٧٦
محمّد علي القاضي: ١٧٦
المختار (النبي صلى الله عليه وآله): ١٠٧
المدائني: ١٢٩
المصطفى (الرسول صلى الله عليه وآله): ٩٧، ١٣٩، ١٥١، ١٨٢
مصطفى الحناوي: ١٧٦
المصعب بن معاد: ١٢٨
معاوية بن أبي سفيان: ١٢٩، ١٤٦، ١٤٨، ١٤٩
المعتصم: ١٣٤
مفتي الديار الأردنيّة: ١٨٣
مفتي الديار اللبنانيّة: ١٨٣
المفيد (الشيخ): ١٢٥
منكر (الملك): ٨٧
موسى الطالقاني: ١٦٨
المهدي (المنتظر ـ عج ـ): ١٨٩
مهيار الديلمي: ١٤١
ميكائيل (الملك): ١٢٤
محمود سامي البارودي: ١٦٩
محمود شكري الآلوسي: ١٧٦
المرتضى (علي عليه السلام): ١١٣
المرتضى (الشريف): ١٠٧
مرحب بن الحارث اليهودي: ١٢٨
مروان بن الحكم: ١٤٥، ١٤٦
المسعودي: ١٢٥، ١٢٨، ١٤٨، ١٤٩
مسلم (الإمام): ١٢٧
مضر: ١٠٩
المغيرة بن شعبة: ١٢٩

(ن)

النبي ﷺ: ٨٨، ٩١، ٩٢، ٩٤، ١٤٥، ١٥١، ١٦٣، ١٦٥، ١٨١

النقدي: ١٤٨

نمير بن عامر: ١١٦

نوار: ٨٧

نوفل: ١٣٩

(هـ)

الهادي (الإمام عليه السلام): ١٨٨

هاشم الكعبي: ٨١

هاشم بن عبدالملك: ٨١

هند: ١١٠

هود (النبي عليه السلام): ١٣٠

(و)

الواثق: ١٣٤

الوليد بن عتبة: ١٢٥

الوصي (الإمام عليه السلام): ١٨٨

(ى)

يزيد بن معاوية: ٩٦، ١٠٦، ١٢٩، ١٣٦، ١٣٩، ١٤٤، ١٤٦، ١٥١، ١٦٢، ١٦٥، ١٨٢

يعلى بن أُميّة: ١٢٨

اليعقوبي: ١٢٦، ١٤٥

يونس صفي الدين: ١٨٢

فهرس الأمكنة والبقاع

أحد: ٩٥
إذاعة لندن: ١٨٣
إرم ذات: ١٦٩
إرمينية: ١٣٤
الأزهر: ١١٧، ١٨٣
الأندلس: ١٣٩
بدر: ٩٣، ٩٨، ١٢٥
بغداد: ١٣٤
تبريز: ١١٧
جبال شروى: ١٣٧
الدار البيضاء: ١٨٢
دكار: ١٨٢
دمشق: ١٨٢
ديار ربيعة: ١٣٤
الجرف: ١٤٦
جمع: ٨٢، ١٦٢
الجمهورية الجزائرية: ١٨٢
حارة البغايا: ١٤٨
الحرم (مكّة): ١٦٨
حصن المصعب بن معاد: ١٢٨
حومل: ٩٦، ١٣٥
الحيرة: ١٠٧
الخط: ١٧٠
الدخول: ٩٦، ١٣٥
الطـــف: ٨١، ١٠٥، ١٠٨، ١٣٩، ١٤٢، ١٧٢
الطفوف: ٩٥، ١٧١، ١٧٢
طنجة: ١٨٢
الربذة: ١٤٥
رضوى: ٩٧، ١٤٣، ١٥٤
زمزم: ١٦٢
السقيفة: ٩٠، ١١٤
السلالم: ١٢٨
سلع: ١٤٥
سوريا: ١٣٤
الشام: ١٠٥، ١٠٧، ١٣٩
الشق: ١٢٨
شمامة: ١٤٣
صنعاء: ١٣٩
الصفا: ٨٥
الضال: ١٧٠
الطائف: ١٤٥، ١٤٨
طيبة: ١٠٩
عاصمة الأمويين: ١٨٢
العراق: ١٧٦
عكاظ: ١٦٦
غمدان: ١٣٩
قبر أمير المؤمنين عليه السلام: ١٨٥
القصارة: ١٢٨
القموص: ١٢٨
كربلا: ٨٩، ٩٠، ٩٢، ٩٣، ٩٥، ٩٨، ١٠٣، ١٠٩، ١١٠، ١١٤، ١٥٢، ١٧٥، ١٧٦
الكوفة: ١٢٩
ليدن: ١٠٧
المحسر: ١٦٢
المحصب: ٨٢، ٨٥
المدينة: ١٤٥، ١٥٤، ١٦٦
المربطة: ١٢٨
المشعر: ١٦٢
مصر: ١٠٧، ١٣٤
نجد: ٨٦
نجران: ١٦٦
النطاة: ١٢٨
النجف: ١٧٦، ١٨٣
المغرب العربي: ١٨٢
مكّة: ٨٢، ١٦٢
منى: ٨٢، ١٦٢
الموصل: ١٣٤
ناعم: ١٢٨
وطيخ: ١٢٨
يثرب: ٨٢
يذبل: ٩٧، ١٠٤، ١٤٣
اليمن: ١٢٨
ينبع: ١٥٤

فهرس القبائل والأسر

آل محمّد: ١٨٠
أهل البيت: ١٨٦، ١٨٨
أسد: ١٣٩
آل أميّة: ١٤٥
بنو أحمد: ١٨٦
بنو أسد: ١٠٧
بنو أميّة: ١٠٧
بنو أياد: ١٦٦
بنو تغلب: ١٠٧
بنو تيم: ١٢٩، ١٣٩
بنو حرب: ١٣٩
بنو سليم: ١٣٧
بنو عقيل: ١١٨
بنو قريظة: ١٢٦
بنو مرّة بن صعصعة: ١١٦
بنو المصطفى: ١٤٠
بنو النضير: ١٢٦
بنو هاشم: ١٢٦
تيم بن مرّة: ١٣٩
جمح: ١٣٩
خثعم: ١٢٦
خندف: ١٠٣
الروم: ١٤٦
زبيد: ١٢٦
سلعم: ١٢٦
سهم: ١٣٩
عدي: ١٣٩
قريش: ١٠٣، ١٢٣، ١٢٤، ١٣٩
مخزوم: ١٣٩
هوازن: ١٢٦
الوادبين: ١٢٦